

قسم اللغة والأدب العربي
تخصص الدراسات الأدبية والحضارة الإسلامية

كلية الآداب واللغات
شعبة أدب وحضارة

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د)
الموسومة بـ :

المصطلحات الأدبية والاقتصادية ومفهومها
الحضاري في إقليم "توات"

إشراف الأستاذ الدكتور : محمد عباس

إعداد الطالب : عبد الله حرمة

لجنة المناقشة:

رئيساً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. دكار أحمد
مشرفاً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. محمد عباس
عضواً	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر (أ)	د. عبد القادر بن عزة
عضواً	المركز الجامعي مغنية	أستاذ محاضر (أ)	د. دواح أحمد
عضواً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ محاضر (أ)	د. فتحي محمد
عضواً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ محاضر (أ)	د. عكاشة سعيد

السنة الجامعية 2016/2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

كانت توات منذ تاريخها المبكر منا را للعلم وسط الصحراء الجزائرية الشاسعة، حيث توافد عليها الكثير من العلماء من كافة المناطق العربية، ومع مرور الأيام ازداد التواصل المستمد وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري، ومن ثمّ انكبت النفوس على الدّرس والتحصيل العلمي فراحت الأرقام تترجم هذا الشّعور، وتعبّر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التّفاعل في شتى المعارف والعلوم، كما وجّهت جلّ هذه العلوم والدّراسات في خدمة كتاب الله وسنّة رسوله عليه الصّلاة والسّلام.

واعتمد سكان إقليم توات اللّغة العربيّة الأساس الأول في بحوثهم، ذلك لأنّ اللّفظ والكلام لا يستقيم ولا يكون على وجهه الدّقيق إلا إذا تمكّن المتكلّم من إتقان اللّغة العربيّة وخاصّة النحو والإعراب، أما الحركة الشّعريّة فكانت مزدهرة بفضل علمائها الذين أبدعوا فيها، فخزائن المنطقة لدليل على ما كان عليه التّوّايّون من اهتمامٍ بجميع فنون الشّعْر من مدح وثناء وتوسّل... أسهم في تنشيط الحياة عندهم.

ولا عجب أن نجد كمّاً هائلاً من المصطلحات الأدبيّة والاقتصاديّة التي لا تزال تحمل دلالاتها واستعمالاتها من فترة طويلة، وهذا ما شغل اهتماماتي منذ أن كنت أدرس وأتعلّم، وما جادت به قريحة الكثير من الشيوخ لتوحي بما تحمله المنطقة من زخم علمي ومعرفي جليل، كشفت عنه الكثير من خزائن العلم التي يوجد بها من أصنافه المتعدّدة، وما حضور المخطوطات إلا دليل على ذلك، فإن لم تُسارع الزّمن لحمايتها وتحقيقها وإظهارها للنّور لضاع هذا العلم الكثير، وجهود الباحثين والمهتمّين متواصلة لإقناع أصحاب هذه المخطوطات بضرورة استفادة النّاس بما فيها وإبراز ذلك للصالح العام.

إنّ هذا التّراث الأدبي والعلمي المتنوّع يبيّن لنا تركيبة المجتمع ومقوماته التي توارثها جيل عن جيل تُظهر لنا عمق النّفس البشريّة وتصورها للحياة، فأداء الإنسان وممارساته الفرديّة والجماعيّة يرتبط أساساً بالتركيبة الخاصّة ببيئته، فعلومه هي نسقٌ من أنساق سلوكه في عيشه تتطلب الكشف والدّراسة لتمحيصها والعناية بها.

واللغة العربيّة كغيرها من اللّغات الأخرى لا تزال عرضة للتغيّر والتّحريف الذي يُصيبها أحياناً في بعض الألفاظ التي تنطق بها العامّة لشساعة الحيز الجغرافي والاختلاف في العادات والتّقاليد وأساليب العيش، إلاّ أنّها تحمل دلالاتها مع اختلاف التّلفظ بها، أمّا علماء إقليم توات فصنّفوا وأبدعوا، فالمساجد والكتاتيب والزّوايا وما تلقّوه على يد مشايخها ولا يزال عطاؤهم مستمراً إلى يومنا هذا من فقه ونحو وأدب وشعر ... يبيّن ذودهم عن الإسلام.

إنّ البيئة كانت ملائمة للعبادة والتّفرغ للعلم من خلال موقعها الاستراتيجي الذي يعدّ حلقة وصل بين فاس وتلمسان والسودان الغربي، بالإضافة إلى التّعاملات التجاريّة والاقتصاديّة المشتركة هيّأتها تلك الرّحلات المتعدّدة ذهاباً وإياباً وطّدت تلك الحلقة.

ومن هنا تظهر أهميّة البحث في الكشف عن المعنى الذي تحمله مختلف المصطلحات المتداولة، التي تبيّن بساطة ثقافة المجتمع البعيدة عن مظاهر التّكلف والتّعقيد، وهو ما نحاول الوقوف عليه في هذه الدراسة الموسومة ب: "المصطلحات الأدبيّة والاقتصاديّة بإقليم توات ومفهومها الحضاري"

ويعود سبب اختياري لهذا الموضوع لأسباب ذاتيّة وموضوعيّة أهمّها:

فمن الدّاتية أنّي أنتمي إلى هذه البيئة وأحاول أن أسهم في إحياء إقليم توات الضّارب في التاريخ بتسليط الضوء على بعض مجالاته المتنوعة.

ومن الموضوعية حالة الإهمال التي يُعانيها التّراث العلمي بمنطقة توات.

- إثراء القاموس اللغوي للتّواتيين بالوقوف على بعض المصطلحات اللّغوية في منطوق العامّة وارتباطها بالفصيحة.

- إظهار البعد الحضاري لمنطقة توات من فنون العلم المتنوعة.

- كوني شديد الاحتكاك بالمجتمع وممارساته الكلاميّة.

كما أن المنطوق التّواتي ومصطلحاته الموجودة في عمق الحياة الاجتماعية يبرز مدى المحافظة على الفصاحة، لأنها كثيراً ما صُنّفت على غير حقيقتها بأنّها عاميّة، ولا يكون ذلك إلا بالعودة إلى أمّهات الكتب والمعاجم لبيان أصلها.

يعد إقليم توات من المناطق التي أدّت وظيفةً علميةً حضاريةً امتدّت إلى المناطق المجاورة له، بوصفه منطقة عبور والتقاء بين الشّمال والجنوب والشرق والغرب بالنّسبة للمغرب الإسلامي، وبما تعاقب عليه من حضاراتٍ وثقافاتٍ مختلفة من الصحراء الكبرى خاصة والقارة السّمراء عامّة، فهو امتداد للوطن الجزائريّ الذي عُرف بارتباطه الشّديد بالإسلام الذي عرّف طريقه إليه منذ القرن الأوّل الهجري/ السابع الميلادي على يد التّجار المسلمين والمهجرات العربية التي بدأت تتدفّق على المنطقة.

تميّزت منطقة توات دوماً بكثرة العلماء والزّوايا التي مكّنت حاضرة توات من الإشارة إليها من لدن المؤرّخين وأصحاب المسالك والممالك كأصطخري وابن حوقل وابن بطّوطة...، فقد شهد القرن الثّاني عشر والثّالث عشر الهجري/ الثّامن عشر والتّاسع عشر الميلادي حركةً ونشاطاً علمياً وفكرياً هاماً، كان من ورائه مجموعة من العلماء أصبحوا أقطابَ علم وأصحاب رسالةٍ.

ويحاول البحث أن يُجيب عن أسئلة قد يطرحها إشكاليةً للموضوع مع محاولة الوقوف على الكثير منها: ما طبيعة الحياة العلمية بإقليم توات؟ وما هي أبرز مصطلحاته الأدبيّة والاقتصاديّة التي تتداولها العامّة؟ وهل ولها ارتباط بالفصيح؟ وما المظاهر اللّغوية التي أصابت منطوقه؟

اعتمدتُ في الدّراسة خطّةً مكوّنةً من مقدمة وأربعة فصول، تناولت في الفصل الأوّل التّعريف بإقليم توات وأصل التّسمية، ثم أقوال المؤرّخين فيه، وتاريخ المنطقة من خلال الرّحلات التّجارية، بعدها الموقع الجغرافيّ للإقليم وأحواله الطبيعيّة، إضافة إلى مناطقه وطرقه التّجارية ثمّ تضاريسه.

أما الفصل الثّاني فوضّحت مصطلحي الإبدال و القلب ودواعيه، كاختلاف اللّهجات بالرّجوع لاختلاف العوامل الجغرافيّة والاجتماعيّة واحتكاك اللغات مع بعضها في تطور الأصوات وقوانينها وتغيّراتها.

وفي الفصل الثالث ضمّته الحركة اللغوية بإقليم توات كعلاقة الدّرس اللّغوي بالعلم الشرعي أو بعلم النّوازل والأنواء مستعيناً ببعض الشّواهد، بعدها الحديث عن مصادر الدّرس اللّغوي، ثمّ أنتقل إلى الحركة الأدبيّة بتوات مهتمّاً بالزوايا والمدارس القرآنية وخزائن المخطوطات التي أبانت عن مختلف فنون النّثر وأغراض الشّعر، لأعرّج بعدها على الجانب المعجمي للّهجة التّواتيين في مستوياتها الإفراديّة في القواعد والبنيات والحركات والحروف، مُنتقلاً إلى المصطلحات الشائعة في منطوقهم.

بينما درست في الفصل الرّابع الوضع الاقتصادي وعناصره مشيراً إلى بعض الرّحلات والمقاييس والموازن والنّشاط التجاري مع القوافل، ثمّ الإشارة إلى بعض الأزمات الاقتصاديّة، مع التّركيز على أهم المصطلحات الاقتصاديّة في المنطوق العامّي المرتبطة بالفصيحة. لأذيل البحث بخاتمة ضمّت أهمّ النتائج المتوصّلة إليها.

أما المنهج الذي اعتمده فهو المنهج الوصفي مع الاستعانة ببعض الموازنات بين الظواهر اللّغوية والصّرفيّة، كما لا يخلو البحث من المنهج التّاريخي لتفسير هذه الظواهر بالرجوع إلى أصلها.

وتمثّلت الصّعوبات التي واجهتني في هذا البحث: قلة المصادر والمراجع مما أدّى إلى شح المعلومات وقلة المعطيات عدا القليل منها وبعض الرسائل الجامعية، بالإضافة إلى التّقارب بين بعض المفاهيم ممّا قد يُخلط بينها.

وقد اعتمدت في ذلك على بعض الدّراسات أهمّها: ما جاء مخطوطاً مثل: كتاب القاضي محمد ابن عبد الكريم بن عبد الحقّ (درّة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام)، تضمّن هذا المصدر بعض الأحداث التي مرّت بها منطقة توات، ويعدّ مصدراً مهمّاً في التّعرف على تاريخ المنطقة، وكذلك كتاب محمّد الطيّب بن الحاج عبد الرّحيم (القول البسيط في أخبار تمنيط)، وأما المطبوعة كتاب العبر لابن خلدون، ورحلة ابن بطّوطة...

أمّا المراجع فقد تنوّعت وتعدّدت بحسب موضعها من البحث منها: كتاب توات والأزواد لصاحبه محمد الصّالح حوتية ويعدّ كذلك هذا المرجع مهمّاً في التّعرف على تاريخ وأوضاع المنطقة، والنّبذة في

تاريخ توات وأعلامها لعبد الحميد بكري، وكتاب اللهجة التواتية الجزائرية لأحمد جعفري في جزأين وقد أفدتُ منه كثيراً.

وأخيراً فإنني بذلت قصارى جهدي في هذا البحث، ولن أزعج أنني وقَّيت الموضوع حقّه، سائلاً من المولى عزّ وجلّ أن يلهمني التوفيق والسداد، شاكراً للأستاذ الدكتور محمد عباس جهد الإشراف والمتابعة والتوجيه، وقد نصحني أنّ البحث العلمي هو "قراءةٌ وصبرٌ وأخلاقٌ وأمانةٌ ومنهجٌ"، فجزاه الله أحسن الجزاء، ولا أنسى شكري وتقديري للجنة المناقشة.

وعلى الله قصد السبيل.

عبد الله حرمه

تازولت/أدرار في: 2017/05/16م.

الفصل الأول

التعريف بالمنطقة

توات

المبحث الأول: دراسة جغرافية واقتصادية لمنطقة توات.

1- الدراسة الجغرافية:

- سبب تسمية المنطقة " توات ":

البحث في تاريخ منطقة توات يحتاج لكثير من الصبر والجهد، وهذا لندرة المصادر والدراسات المتخصصة في تاريخ المنطقة، وخاصة البحث في التراث المعنوي الذي يجد الدارس نفسه ينطلق من الروايات الشفوية التي يعوذها الدقة والتوثيق كمصدر رئيسي في دراسته، وهذا ما يضاعف من صعوبة البحث، وما يمكن أن يجده هو جمل متناثرة في كتب الرحالة الذين كانت أرض توات محط رحالهم لأيام قليلة لم تمكنهم من التعرف على سكان المنطقة أو طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية بها، ولهذا جاءت أحكامهم ذات صبغة تعميمية لا تروي غليل الباحث في أخذ صورة عن أرض توات أو طبيعة الحياة بها.

وحسب كثير من الباحثين فإن أول ذكر لاسم توات كان على لسان الرحالة ابن بطوطة في القرن 14هـ/14م، وقبل هذا التاريخ كانت المنطقة توصف بأوصاف تعميمية داخل الصحراء الشاسعة، كوصفها بالصحراء القبلية مثلاً، لذلك نجد فترة طويلة من تاريخ المنطقة يسودها الغموض حتى لا نكاد نجد فيها نصوص قطعية سوى ما جاء من اجتهادات الباحثين وتخميناتهم، وبهذا يبقى موضوع البحث في تاريخ المنطقة من جميع الجوانب أمر ملح، خاصة بعد الحقيقة الكبيرة التي توصل إليها الباحثون من أبناء المنطقة وغيرهم، والمتمثلة في المساهمة الكبيرة للمنطقة في شتى جوانب الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ومن المؤرخين الذين تعرّضوا لإقليم توات في كتاباتهم ومصادرهم نجد:

- ابن بطوطة¹ في كتابه تحفة النظّار فيقول: "...ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام بين تكدي وتوات ثم وصلنا إلى بودة وأرضها رمل وسبخ وتمرها كثير لكنّه ليس بطيب لكن أهلها يفضّلونه على تمر سجلماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت ... وأقمنا في بودة أياماً"².

إشارة ابن بطوطة هي أقدم ذكر صريح لأرض توات باسمها في كتب المؤرّخين، وهذا خلال رحلته التي زار فيها الإقليم عام 754هـ/1353م، ولم يذكرها قبله أحد من الرّحالة والجغرافيين باسمها الذي هي عليه اليوم حسب رأي بعض من الباحثين³.

- أبو سالم العياشي في كتابه ماء الموائد يشير إليها بقوله: "... ودخلنا أول عمالة توات وهي قرى تساييت وزرنا بأول قرية منها قرية الولي الصّالح سيدي محمد بن الصّالح المعروف بعريان الرّأس"⁴. وكان ذلك خلال عبوره بالمنطقة في رحلته إلى الحجاز سنة 1669م. وللخدمات الكبيرة التي كان يجدها المسافر في أرض توات كإخفاض الأثمان، وحسن الضيافة، وتوفير العلف للرّواحل والدّواب، ووفرة الإبل التي كانت تعرض في أسواق المنطقة، كل هذا جعل المسافرين يمكنّون بالمنطقة أيّاماً قبل المغادرة، ورحّلتنا العياشي مكث ستّة أيّام بالمنطقة، مما رسّخ في ذاكرته تلك الأحداث التي صادفته حين وجوده بالمنطقة.

- ابن خلدون⁵ في " كتابه العبر " يقول: "...وفواكه بلاد السّودان تأتي من توات وتيكورارين..⁶"

¹ ابن بطوطة: هو محمد بن عبد الله اللواتي، ولد بطنجة سنة 1304م، قضى 28 سنة يتجول في الأفاق شرقاً وغرباً، قطع مسافة لم يقطعها رّحالة في قرون العصور الوسطى تقدر ب120000كم، قام بعدة رحلات منها إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج والأخرى إلى بلاد السودان الغربي سنة 1352م وعاد منها إلى فاس سنة 1354م فأقام بها حتى توفي بها سنة 1377م. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، أحمد أمين، مصطفى عفت وآخرون، دار الجيل بيروت، القاهرة، تونس، ط2، 2001، 15/1.

² تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 2001م، ص406.

³ ينظر: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، عبد الله حمادي الإدريسي، ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011م، ص266.

⁴ الرحلة العياشية، أبو سالم العياشي، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، أبو ظبي، ط1، 2006م، 79/2.

⁵ ابن خلدون: هو عبد الرحمن بن محمد كنيته أبو زيد ولد بتونس سنة 1332م ألف كتابه المقدمة الذي اشتهر به في قلعة بني سلامة الواقعة جنوب قسنطينة، تقلّد عدة مناصب توفي 1406م ينظر: موسوعة عباقرة الإسلام، محمد أمين فرشوخ، دار الفكر بيروت، 1989، ص68.

⁶ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم، عبد الرحمن بن خلدون: تحقيق سهيل ذكار و خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2000، ص730.

وكلام ابن خلدون هذا يؤكد مركز توات التجاري، فتعدّ نقطة استقبال وتصدير للمنتجات باتجاه الشمال والجنوب، فاستقبلت فواكه ومنتجات الشمال إضافة إلى منتجاتها المحلية، وعملت على نقلها إلى بلاد السودان التي كانت في ذلك الوقت من أغنى بلدان الدنيا بمنتجاتها النفيسة والتي يأتي الذهب على رأسها، وبهذا كانت المنطقة عبارة عن ميناء صحراوي لتنشيط الحركة التجارية بين بلدان إفريقيا، وربما لولا تلك الأهمية لما كان للمنطقة أن تجد مكاناً لها في تاريخ ابن خلدون.

ويصف المؤرخ الكبير سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحقّ في كتابه "درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام" أرض توات بقوله: "توات هي صحراء في أعالي المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوماً... وعدد قصورها في القرن 11 هجري 200 قصر أوسطها بودة، تمنطيط، تيمّي"¹

ومن النتائج الأخرى التي خلفها الجهل بالتاريخ الدقيق للمنطقة، أن دار خلاف كبير بين الباحثين حول أصل تسمية هذه الجزء من الصحراء بهذه التسمية، ومما عقد الأمر أكثر الاشتقاقات الكثيرة التي تحملها التسمية من الناحية اللغوية والدلالية، وبهذا جاءت عدّة روايات لتفسير سبب تسمية الإقليم "توات"، وأول الروايات:

- رواية الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه تاريخ السودان فيقول: "إنّ سلطان مالي كنيان موسى² كان ذاهباً إلى الحجّ رفقة جماعة كبيرة من أهل بلده فلما وصلوا إلى هذه الديار أصيب البعض منهم بمرض معروف عندهم باسم توات، فانتظروهم السلطان ومن معه لعلهم يشفون بسرعة من مرضهم لكن أبطأهم المرض وصار الحال إلى ما لا يرضون فتركهم السلطان في هذه الأرض وسار بمن معه، وهؤلاء

¹ درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، القاضي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحقّ (1374هـ/1955م)، مخطوط، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي، كوسام ولاية أدرار الجزائر، ص 01.

² كنيان موسى: ملك مالي كان مسلم من إفريقيا جنوب الصحراء (1307-1332م) حج ما بين (1324-1325م) محاط بأفخم وأعظم أئمة في زمانه، فترك وراءه انطبعا قبيض أن يدوم ملكه طويلا. ينظر: الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، ماليز روتقن، ترجمة سامي الكعك، أكاديميا لبنان، 2007م، ص 73.

الذين بقوا وجدوا هذه الأرض مخضرة ذات واحات فمكثوا بها واستقروا وصاروا يسمونها بالمرض الذي أصيبوا به وهو "توات"¹.

فرواية السعدي تربط تسمية المنطقة باسم المرض الذي أصاب أصحاب السلطان كنان موسى عند وصولهم للمنطقة، وبهذا يكون الاسم من اللغة الإفريقية التي كان يتخاطب بها حينئذ². وبذلك يكون تخليداً لذكرى تلك الحادثة، وهذه الرواية ليست قطعية لأن ذكر اسم توات ورد قبل تاريخ رحلة السلطان كنان موسى المذكور (1324-1325م) بنحو مائة سنة، وحتى في الوثيقة اليهودية المخطوطة التي يرجع تاريخها إلى سنة 632هـ/1235م، وقد ذكرت عند ابن بطوطة في رحلته 1353م، وكانت يومها بلاداً قائمة عامرة، وابن بطوطة معاصر للسلطان موسى المذكور³.

والرواية الثانية للمؤرخ الكبير والقاضي الفقيه سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري، فيرى أنّ سبب تسميتها بهذا الاسم يعود لعهد الدولة الموحدية⁴، فملوك هذه الدولة ما عرفوا هذه المنطقة أو هذه الأرض إلا كونها منطقة مليئة بالخيرات، فدأبوا على أخذ ما فيها من أتوات، فيقول: "فصدر الأمر منه في العام الثاني بتخريص الأشجار وقبض الأتوات كيلاً ووزناً على حسب التخريص فعرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات لأنّ السلطان قبلها منهم في المغرم وهذه الرواية أصحّ... ومن يومها غلب عليها الوصف فصار أهلها يُعرفون بأهل الأتوات ثم حذفت أداة التعريف مع

¹ تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، طبعة هوداس، باريس، 1964، ص 07.

² ينظر: تعددت اللغات التي كان يتحدث بها ببلاد السودان، ويشير بذلك الحسن الوزان بقوله: أما في بلاد السودان اللغات متباينة تسمى إحداها سونغاي وتستعمل في عدة نواحي كولاتة، وتمبكتو، وجني، ومالي، وكثاوا، بينما تدعى لغة أخرى كوبر، وتستعمل في بلاد كانو، وكوبر، وكاسنا وبرزكوك، وهناك لغة في بورنو (لهجة الكنوري) تشبه المستعملة في كاكاو (لهجة الكنمبو). ينظر: وصف إفريقيا، حسن الوزان، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، المغرب، 1983م، 39/2.

³ ينظر: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، عبد الله حمادي الإدريسي، المرجع السابق، ص 194.

⁴ الدولة الموحدية: تنسب إلى الجماعة الإسلامية التي كوّنّها محمد بن تومرت المهدي بالمغرب الأقصى. وترجع الكلمة إلى قولهم بأن الله تعالى وحده لا يمكن أن تتصوره المحسوسات، فهو فوق التشبيه، وكل تصوير لله تعالى يعد مجازاً، على خلاف أصحاب التشبيه والتجسيم، فالموحدون في نظرهم مخالفون للحقيقة، بل هم يرون رأيهم كقراً، وهم لذلك يعتقدون أنّهم هم المؤمنون حقاً، الذين يوحدون الله وينزهونه عن كل تشبيه له بالخلق وتعود مؤسسها المهدي ابن تومرت ولد سنة 491هـ هجرية، ببيع من طرف مصمودة يوم الجمعة الرابع عشر من رمضان سنة 515هـ هجرية. ينظر: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، الزركشي، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط 2، 1966م، ص 06.

مرور الزمن أصبحت توات. فعَدَّ هذا الاسم علماً على هذا القطر الصّحراوي من تملكوزة إلى عين صالح¹.

أما الرّواية الثّالثة فترجع الأصل إلى سير حركة الفتح، ومّا جاء فيها: أن عقبة بن نافع الفهري² بعد فتح بلاد المغرب ووصوله إلى ساحله، وعند عودته عبر درعة³ وسجلماسة⁴ ووصول خيله إلى منطقة توات بتاريخ 62هـ/681م، سأل عقبة جنوده عن هذه البلاد وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضّعف هل تواتي لنفي المحرمين؟ فأجابوه أنّها تواتي، وبعد تردّد اللفظ على ألسنة الجند خُفّف اللفظ من تواتي إلى توات.

وهناك من يعتقد أن أصل التسمية "توات" هو أعجمي بربري زناطي اتخذها لها من احتطها من قبائل بني يالديس من بطون بني ومانو البربر الزناتيين، ويعزّز هذا القول ما لفت انتباه الرّحالة الألماني رولف فيرهارد الذي أفادنا في رحلته صيفاً إلى بلاد توات لعام 1281هـ/1864م، وجود تسميات ترقية صنهاجية لكثير من القصور والأشياء والتمور بالبلاد التواتية، ومن بلدانها مثلاً: تنان، تيمي... إلخ، ومن أنواع التمور مثلاً تنحوت، تنسوة، تنومرت... إلخ ممّا يفيد أن قبائل التّوارق، أو بني عمومهم من صنهاجة اللّثام كانوا يوماً ما أهلاً لهذه البلاد لوجود مثل هذه التّسميات، أو ما هو على وزنها المبتدئة ب"تن" في بلادهم الحالية بصحرائهم الشاسعة المعروفة.⁵

¹ ينظر: درة الأعلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، المصدر السابق، ص20.

² عقبة ابن نافع: هو عقبة بن عبد القيس بن لقيط قرشي من فهر، ولد قبل الهجرة بسنة واحدة يتصل نسبه بعمر بن العاص من ناحية أمه، وإلى هذه القرابة يرجع كثير من الفضل في ظهوره على مسرح التاريخ فاعتبر لذلك صحابي المولد، تولى إمارة جيش إفريقية مرتين الأولى سنة 50هـ إلى 55هـ/الثانية 60هـ إلى 64هـ في عهد معاوية بن أبي سفيان. ينظر: تاريخ إفريقية والمغرب، الرقيق القيرواني، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحاني، القاهرة، ط1، 1994م، ص40.

³ درعة: مدينة بالمغرب في جهة سجلماسة تبعد عنها بثلاث مراحل، وتعرف باسم واديها "وادي درعة". ينظر: وصف إفريقية، حسن الوزاني، المصدر السابق، ص165.

⁴ سجلماسة: مدينة مندسة في أقصى جنوب المغرب الأقصى بالقرب من مدينة الريسان في مقاطعة تافيلالت على طرف الصحراء، بنيت عام 140هـ/هجري، تمتاز بكثرة نخيلها وأغابها وقصورها. ينظر: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، عبد اللطيف عصمت، دار الغرب الإسلامي، المغرب، ط1، 1988م، ص33.

⁵ ينظر: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والضعف السوداني، عبدالله حمادي الإدريسي، المرجع السابق، ص180.

ويؤكد ذلك الشيخ محمد باي بلعالم بقوله: " وغالب أسمائها أسماء بربرية مثل، تجازة، تلمسو، تناصر، ورقلية، مسعودية، بمخلوف، أحرطان، ترزاي، تنعكشت، تقربوش، تمليحة، بفقوس، تنقسري... " ¹.
والمؤكد في كل هذا إن المنطقة ضاربة في أعماق التاريخ، ويرجع تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام وكانت تسمى بالصحراء القبليّة ثم كثرت عمارتها بعد جفاف نهر قير ² وكان ذلك خلال القرن الرابع الهجري ³.

وبعد وقفنا مع التسمية، وإيرادنا لأهم المصادر التي ذكرتها، واجتهادات المؤرخين في تحديد الأصل الذي اشتقت منه الكلمة، وتعدد تلك الآراء واختلافها وارتباط كل رأي بدلالة أو حادثة تاريخية يتضح لنا بأن المنطقة لم تكن فقط نقطة عبور ليس لها أهمية في تحريك الأحداث على الساحة المغربية عبر مراحل تاريخ البلاد، وهذا ربما ما سنعرفه بعد تعرّفنا على طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بها.

2- الموقع الجغرافي لمنطقة توات وأهميته الحضارية:

منطقة توات هي إحدى مناطق الإقليم التّوّاتي الثّلاث (فورارة، توات، تيدكلت)، ونظراً للمكانة الكبيرة التي كانت تحظى بها المنطقة مقارنة بجيرانها، أطلق اسم الإقليم عليها، وهي تقع ما بين نهايات الهضبة العليا للقرارة التي تشكّل الحافة الشرقية لودي مسعود، والحافة المقابلة له المسماة العرق الغربي، فتوات العليا تبدأ من أعالي مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رقان، موقعه بين هضبة تادميت شرقاً. وعرق

¹ الرحلة العلية إلى منطقة توات، محمد باي بلعالم، دار هومة، الجزائر، 2005م، 77/1.

² نهر قير: نهر كبير ينبع من جبال الأطلس الكبير يتجه نحو الجنوب ماراً في المفازات، ثم يدخل في إمارة بني كومي، ومنها في رمال ليبيا والصحراء حيث يتحول إلى بحيرة يجول حولها مجموعة من الأعراب والأفارقة بقطعانهم. ينظر إفريقيا، مار مول كرىخال، تر محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، المغرب، 1984م، ص47

³ ينظر: محمد ابن أبا المزمرى 1160 هجري، أحمد أبا صافي جعفري، دار الكتاب العربي الجزائر، ط1، 2004م، ص25.

الرمل¹ غرباً، ومن الشمال منطقة فورارة، ومن الجنوب منطقة تيدكلت، وتضم المنطقة كثير من القصور²، وهو يتوسط الأوطان التالية: المغرب الأوسط والأقصى وجميع بلاد السودان³ وبلاد الهقار.

موقعها الفلكي ينحصر بين خطي طول 01° شرقاً و 03° غرباً، وبين دائرتي عرض 20 و 30° شمال خط الاستواء⁴، ويعرف هذا الحيز الجغرافي باستواء سطحه وقلة ارتفاعه.

- تضاريس المنطقة ومناخها:

تعدّ البلاد واقعة في المجال الصحراوي، فإنّ السّمة الغالبة عليها استواء أرضها، فهي مسطّحة الشكل تتألف من الرّق والعرق والسّبخة والهضبة والحماة والوديان. فالرّق هو سهل مغطّى بالحصى الجافة تنتشر منها الرّمال لتكوّن العرق، الذي هو: عبارة عن رمال تمتدّ سهولها وكثبانها بين المغرب والسّودان، وينطلق من المحيط الأطلسي إلى النّيل شرقاً، وأشهر العروق عرق شاش وعرق إيكيدى والعرقان الشرقي والغربي، وتتخللهم هضاب صخرية أفقية الاتجاه تدعى الحماة.

أما السّبخة فهي عبارة عن بحيرة تتبخّر مياهها صيفاً وتتحول إلى ضاية من الملح تسمّى بـ"الشّط" أو "السّبخة" أو "زاغز"، وأهمّ سبخات توات سبخة تمنطيط وسبخة تيمي وأزلماتي بجنوب رقان. كما أنّ هناك بعض الهضاب من أهمّها هضبة تادميت وهضبة الإقلاب التي ينبع منها وادي شناشن ويختفي في عرق شاش.

1 وهي الكثبان الرملية المسماة بعرق شاش.

2 القصر: في الاصطلاح المحلي هو القرية المحصنة بالأسوار، والأبراج، ويظهر هذا من خلال احتواء أغلب قرى توات على قصور قديمة بأبراجها، مما يثبت أنّ تلك القصور كانت تحصينا لسكان القرية قبل اتساعها يوما ما.

3 بلاد السودان: تطلق كلمة السودان على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى فسّموا بلادهم ببلاد السودان، يجدها من الشمال الصحراء الإفريقية وجنوبا درجة 10 درجة شمال خط الاستواء، والمحيط الأطلسي غربا، وينقسم إلى السودان شرقي وسودان غربي، هذا الأخير يطلق على افريقية الغربية التي تقع إلى الجنوب، يجدها شرقا بحيرة التشاد، وغربا المحيط الأطلسي، وجنوبا خليج غنيا. ينظر: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية -16-20م، يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، ص 09.

4 ينظر: التاريخ الثقافي لإقليم توات، حاج أحمد الصديق، دار الخبر، الجزائر، ط2، 2011م، ص40.

وكانت توات في العصور الأولى بجزراً فكان بها المحارات والآثار البحرية، تَمَزَّ بها الزوارق ما بين تمانين إلى بودة، ثم إلى أوفروت¹. وكما يقول صاحب درة الأقاليم من أن القطر التواتي قبل الإسلام كانت أغلب قصوره مجرى لوادي كثير وأن من السبخة التي بين تيمي وتمنيط إلى تمانين² التي في بلاد رغان كانت تقطع بالسفن³، وهذا إشارة لوفرة مياه واد مسعود وطول امتدادها.

ويقول الأستاذ نيكولو عبد القادر: "وقد استمر المناخ الرطب قديماً خلال العشرة آلاف سنة الماضية إلى غاية التحولات التدريجية في المناخ حيث يبدأ التصحر المستمر، الذي كان له سببان هما: فعل الطبيعة، وفعل الإنسان نفسه، وقد ساعد ذلك المناخ المعتدل والأمطار الفواردة في القديم على تكوين طبقات المياه الجوفية الكبيرة المعروفة الآن بحوض الماء الجوي الألبيني «ALBIEN». ومن حظ هذه المنطقة أنها تتربع على مثل هذا الحوض الذي يمتد على مسافة كبيرة تقدر بحوالي 2 مليون كم² ويمتد إلى تونس وليبيا، ولعل نهرها العظيم يستمد قوته من هذا الحوض، وهذه الأحواض هي التي تجعل الماء يكون قريباً من السطح كما هو الشأن بنواحي أدرار أو تعلقو على السطح تماماً كما هو الشأن في بعض مناطق تميمون"⁴.

وتنتشر بتوات مساحات شاسعة مغطاة بالرمال، تعتبر تهديداً خطيراً للأراضي الزراعية والفقارات والقصور⁵، فزحف الرمال يؤدي إلى إتلاف الأراضي وانسداد فوهات الفقارات، واندثار القصور التي هجرها أصحابها، كقصر أولاد ميمون الذي زاحمته الرمال من الجنوب⁶. ولوقف زحف

¹ ينظر: التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها، محمد باي بلعالم، أعمال الملتقى الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار. أدرار في: 13-14 شعبان 1405هـ/3-4 ماي 1985م، ص 43.

² تمانين هو إحدى قصور دائرة رغان يبعد عن الولاية أدرار 150 كم.

³ ينظر: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، المصدر السابق، ص 04.

⁴ غاية الأمان في أجوبة أبي زيد التنلاني (1189هـ) دراسة وتحقيق، رشيد بايوسف، مخطوط مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2012. 2013م، ص 54.

⁵ ينظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره 870-909هـ/1465-1503م، أحمد الحمدي، رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الحضارة الإسلامية، 1999-2000م، ص 08.

⁶ ينظر: القول البسيط في أخبار تمنيط، محمد الطيب بن عبد الرحيم، تحقيق فرج محمود فرج، الجزائر، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1977م، ص 17.

الرمال عمل أهل توات على صنع حواجز من جريد النخل تسمى "أفراك"¹ لحماية النخيل والفقارات والقصور.

الأودية: وهي: وادي مسعود² الذي ينتهي بمنطقة توات، ووادي قاربت³ بتيدكلت، ووادي مقيدن⁴ بالقرارة. وتزخر توات بمياه جوفية كثيرة تسقى بها البساتين والجنان، كما اهتم التواتيون بحفر الفقارات والاعتناء بها لتوفير المياه اللازمة للشرب ولسقي المزروعات. لأن تلك الوديان، وكذا الأمطار مياهها متذبذبة وغير كافية.

أما التربة فهي رملية غير صالحة للزراعة باستثناء بعض الواحات، التي عرفت زراعة النخيل وبعض أنواع الحبوب كالقمح والشعير والدخن والذرة البيضاء، ومختلف الخضر والفواكه. أما بالنسبة للنباتات فهي نادرة الوجود بسبب ندرة الأمطار، لذا لا توجد بالإقليم إلا النباتات الشوكية القصيرة⁵ المقاومة لارتفاع درجات الحرارة، كنبات السبط الذي ينمو غالبا على منحدرات العرق، وهو كالألغوم والجمال والبعر. أما الشجيرات فهناك شجرة الفرسيق وهي شجرة متوسطة الطول تنمو على ضفاف السبخات والمناطق الرطبة، تأكلها الجمال ويستفيد منها التواتيون للتدفئة، كما يستخرجون منها القطران. إضافة إلى نباتات أخرى كدراق النوم والأوراش وتبلكومت وغيرها، ومع خط عرض 10 شمالا تبدأ حشائش السفانا بالظهور⁶.

¹ أفراك: هو السياج بلغة البربر، ويتكون من جريد النخيل اليابس، وهو فعال في صد الرمال، إضافة إلى تكلفته المنخفضة. ينظر: أثر القبائل العربية في الحياة الغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، مصطفى أبو ضيف، مطبعة دار النشر المغربي، المغرب، ط1، 1982م، ص 242.

² وادي مسعود: يتكون من اتحاد وادي قير مع وادي زوزفانة عند فحيج، يتجه نحو الجنوب وهناعتد مشارف قرية إقلي والتي هي أول قرى وادي الساورة بالجنوب الغربي الجزائري، وهذا الأخير يجري نحو الجنوب إلى مشارف بلاد توات، وبالتحديد عند قصر تاسفاوت، وهنا يسمى وادي مسعود. ينظر: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصدية للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، عبد الله حمادي الإدريسي، المرجع السابق، ص 204.

³ وادي قاربت: يأتي من الشمال الشرقي لمنطقة تديكلت، يتجه جنوبا غربا ويصل في نهايته بوادي مسعود ويصبح رافدا له. ينظر: المرجع نفسه، ص 02.

⁴ وادي مقيدن: هو امتداد لوادي سفور، ينبع من المنيعه ويتجه غربا حيث يتلاشى، ويظهر من جديد باسم وادي شيدون، وينتهي بالقرارة مكونا سبخة قرارة. ينظر: المرجع نفسه.

⁵ ينظر: التاريخ الثقافي، الصديق حاج أحمد، المرجع السابق، ص: 37.

⁶ ينظر: توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، 47/1.

واشتهرت المنطقة بتجارة التّمور فكانت السلعة الرئيسيّة التي يرغب فيها تجّار الشّمال الجزائري بمختلف أنواعها من تين نقور وحرثان وتلمسو وتزرزي، وغيرها من التّمور ذات النوعية الجيدة والرّخيصة¹، إضافة لشجر الحنّاء والتّبغ اللذان يضاحيان في جودتهما ونوعيتهما ذلك الموجود بمنطقة سوف، لذا استعملا كوسيلة مقايضة مع بلاد السودان.

- المناخ: باعتبار توات واقعة في النطاق الصحراوي فمن البديهي أن يسودها المناخ الصحراوي، والذي يتميز بالجفاف وارتفاع درجة الحرارة صيفا وانخفاضها شتاءً، إذ تصل درجات الحرارة لغاية 50 درجة مئوية أحيانا².

أما تساقط الأمطار فهو قليل، لذا يعتمد أهل توات وغيرهم من سكان الصحراء كتيديكلت وثورارة وورثلة وتبلالت وتندوف على مياه الفقارات، وهو ما ذكره المؤرخ مولاي أحمد الإدريسي الطاهري في مؤلفه "نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات" إذ أشار إلى كيفية استخراج المياه الباطنية، حيث قال: "توات أرض سبخ كثيرة الرمال والرياح، لا يحيط بها جبال ولا أشجار، شديدة الحرارة المفرطة، لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها، والماء فيستخرجونه من باطن الأرض بالفقاقير، بواسطة الآبار بكيفية عجيبة، ويقسمونه على الحقول بكيفية أعجب من ذلك"³.

وتعصف بالمنطقة رياح جنوبية جافة تسمى "الشهلي" تعرف محليا باسم "أريفني"، وكانت تتسبب في حدوث الزوابع الرملية⁴، ووجد الصحراوي حلا في إيقاف تلك الزوابع وذلك عن طريق بناء أفراك¹.

¹- ينظر: الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (من خلال نوازل الغنية للبلبالي)، بن عبد المؤمن بهية، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم الحضارة الإسلامية، وهران، 2006م، ص 70.

²- ينظر: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977م، ص 35.

³- التاريخ الثقافي، الصديق حاج أحمد، المرجع السابق، ص 33.

⁴- ينظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي، أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 37.

- المقاطعات الجغرافية المشكلة لمنطقة توات:

تضم المنطقة عشر مقاطعات رئيسة هي: بودة، وتيمي، وتمنيط، وبوفادي، وفنوغيل، وتامست، وزاوية كنتة، وسالي، وأنزجير، ورفان. وكل مقاطعة تحتوي على مجموعة من القصور والواحات.

أ- مقاطعة بودة:

وهي أولى المقاطعات التي تواجه الخارج من منطقة ثورارة إلى توات، تقع بواد موازية لواد مسعود، وتبعد بحوالي أربعين كلم شرق قصور تيمي، وتقع غرب مدينة أدرار، وتبعد عن مقر الولاية بحوالي ثمانية وعشرين كيلومتر، وتبلغ مساحتها 4143 كم²، وتنقسم بدورها إلى مقاطعتين بودة الفوقانية، وبودة التحتانية، وتفصل بين المقاطعتين مسافة ثمانية كيلومترات.

وتضم المقاطعة اثنا عشر قصرا سبعة منها ببودة الفوقانية وخمسة ببودة التحتانية²، ولعل من أهم قصورها: الفوقانية (لقصيبة، لغمارة، لعمارين، باخلا، بن دراعو، زاوية الشيخ، بني للو)، والتحتانية (بني وازل، غرم علي³، زاوية سيدي حيدة، المنصور، حي هواري بومدين)، ومن بين هذه القصور يعد قصر بن دراعو القصر المركزي بمنطقة بودة لمكانته الهامة، يليه قصر المنصور.

ب- مقاطعة تيمي: هي قلب الإقليم وأكبر مقاطعات المنطقة، وتعتبر مدينة أدرار⁴ عاصمة الإقليم ومركزه، بعدما كانت مدينة تمنيط تحتل هذه المكانة، وقد عين السلطان المغربي الحسن الأول الشيخ حسون بن الحاج محمد قائدا على تيمي والقصور سنة 1309هـ/1892م.

¹ - ينظر: الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، بن عبد المؤمن بجمية، المرجع السابق، ص 08.

² - ينظر: توات والأزواد، حوتية محمد الصالح، المرجع السابق، 32/1.

³ - غرام علي أو غرم علي: قصر قلم كان يقيم به اليهود، وقد تعرض للتخريب والتدمير.

⁴ - أدرار: كلمة بربرية معناها الجبل، وهي هضبة كبيرة قليلة الارتفاع مقسمة إلى قسمين، بواسطة وادي عريض كبير ومنه تنفرع عدة أودية. وتوجد أدرار على بعد 650 كلم جنوب شرق بشار، وهي منطلق القوافل التجارية نحو السودان، وبعد احتلال فرنسا لإقليم توات 1900م شيدت مدينتها الأوروبية (كديدها) قرب قصر أدغاغ، واختارت لهذه الأخيرة اسم أدغاغ، فكان كتاب الدول الأوروبية في هذه الديار يسمون التسمية هكذا Adrar إلا أن التسمية حُرِفَتْ بالاستعمال والتعريب عن التسمية الفرنسية إلى أدرار، بينما الأصل هو أدغاغ، وبالتالي صار يطلق على الإقليم كله اسم أدرار من باب

وتضم مقاطعة تيمي سبعة وثلاثين قصراً¹ منها: تنلان²، ووينة، وبوزان، وملوكة³، وكوسام⁴، وباريع سيدي المهدي، وباريع سيدي التاقي، وباريع أولاد سيدي أحمد، وباريع المرابطين، وزاوية كرزاز، وباريع أبا أزور، وأقديم، وعرك كرامة، وأدغاغ، وأولاد أنقال⁵، وأولاد أوشن، وأولاد علي، وأولاد أحمد، وبدریان، وأولاد إبراهيم، وبني تامر، والمنصورية، وأقبور، وأولاد بوحفص، ومهدية، وأولاد عمور، وأولاد عيسى، وأولاد عروسة، وزاوية سيدي البكري⁶، وباعبد الله.

ج- مدينة تمنطيط: تقع جنوب شرق سبخة تيمي، وتبعد عنها بحوالي 12 / كم، وهي من مدن توات العتيقة اجتمع فيها العلم والإمارة والرئاسة. وإثر الصراع الناشب بين القبائل العربية من أولاد يحي وأولاد نسلام وأولاد أحمد، انتقلت العاصمة إلى تيمي في نهاية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي. وتضم تمنطيط خمس عشرة قصراً منها قسبة أولاد الحاج المأمون، وأنكير، وبالحاج، ثلاثة منها عبارة عن حصون متصلة فيما بينها⁷.

تغليب الجزء على الكل للشهرة. ينظر: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، عبد الله حمادي الإدريسي، المرجع السابق، ص 167-168.

¹- ينظر: توات والأزواد، حوتية محمد الصالح، المرجع السابق، 33/1.

²- تنلان: تقع شمال مدينة أدرار، وتبعد عن مقر الولاية بـ 2 كلم، أسسها الشيخ سيدي أحمد بن يوسف التلاني عام 1058هـ/1648م، وبها زاوية المشهورة "رزق الله الواسع لعباده النافع"، وتنان القديمة ليست تنلان الحديثة، فالأولى اندثرت وتفرقت سكانها إثر هجمات وغزوات الرحل عليها. ينظر: قطف الزهرات من أخبار علماء توات، عبد العزيز سيدي عمر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط 1، 1985م، ص 46.

³- ملوكة: تقع غرب مدينة تمنطيط وتبعد عنها بـ 5 كلم، برزت في منتصف القرن 12هـ/18م، فأصبحت مركز علمي وحضاري، من أشهر علمائها الفقيه القاضي محمد بن عبد الرحمن البلبالي وابنه عبد العزيز. ينظر: إقليم توات خلال القرنين 18 و19 الميلاديين، فرج محمود المرجع السابق، ص 15.

⁴- كوسام: سطع نجمها مع نهاية القرن 13هـ/19م وأصبحت مركز حضاري بفضل الشيخ سيدي عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي المولود بملوكة سنة 1250هـ/1834م، والمتولي للقضاء سنة 1328هـ/1919م. ينظر: التاريخ الثقافي، الصديق حاج المرجع السابق ص 93.

⁵- أولاد أنقال: يقع جنوب أدرار، واشتهر هذا المركز بفضل الشيخ سيدي محمد بن عبد الله الأدغاعي الونقالي (1140-1175هـ/1727-1761م). ينظر: المرجع نفسه، ص 112.

⁶- زاوية سيدي البكري: تقع شرق تيمي، اشتهرت بفضل الشيخ سيدي محمد بن البكري بن عبد الكريم مؤسس الزاوية البكرية، وسكان الزاوية من الأشراف الأدارسة. ينظر: التاريخ الثقافي، الصديق حاج أحمد، المرجع نفسه، ص 106.

⁷- ينظر: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، عبد الله حمادي الإدريسي، المرجع السابق، ص 170.

د- واحات بوفادي وأمقيد: توجد غرب تمنطيط، ومن بين قصورها قصر توكي، والقصر الكبير، وأبنكور¹، ونومناس.

هـ- قصور فنوغيل: تاسفة، واعباني، والعلوشة، وودغة، وبنهمي، وعزي، والمنصور، ومكرة، وقصبة أولاد مولاي الحسن، وأولاد برشيد، وقصبة الأحرار، وقصبة أولاد مولاي بوفارس، وزاوية سيدي عبد القادر، و سيدي يوسف، باعمر.

و- مقاطعة تامست²:

تضم قصر أولاد بويحي الفوقانية، وقصر أولاد بويحي السفلانية، وقصر الحديد، وأولاد عنتر، وتمالت، والأحمر، واكيس³، وتماسخت، وأغيل، وغرميانو، وتيطاف.

ز- مقاطعة سالي: تضم قصور الزوا، وبوانجي، وأغرما ملال⁴.

ح- مقاطعة أنزجمير: تقع جنوب أدرار بالمنخفض الأيسر لواد مسعود، وتلقب بتوات الحنة لإنتاجها الوفير لورق الحناء، وتبلغ مساحتها حاليا حوالي 5.690 كيلو متر مربع، تضم ثلاث عشرة قصرا من بينها: زاوية بلال، وتدمين، والخلفي، وتطاوين، والخراس، وتيلوين، وأولاد باحو، وأنزكولف، وتمدين، وبريش، وزاوية لحشف، وأهمها قصور أنزجمير⁽⁵⁾.

ط- مقاطعة أولاد سيدي حم بن الحاج أو قصور زاوية كنته: جميع قصور هذه المقاطعة تقع على الجهة اليسرى لواد مسعود، وتضم حوالي خمسة عشر قصرا، منها: مكيد، وتوريرن، والبيض،

¹ - قصور توكي والكبير وأبنكور: أقام بما أحفاد أولاد الحاج، وأصلهم من منطقة ملوية، سكن أجدادهم أول الأمر بوادي مقيدن وأولف، ثم انتقلوا إلى منطقة بوفادي.

² - تامست: من قصور المنطقة الوسطى في إقليم توات.

³ - كيس أو إكيس: ينتسب سكانه إلى العباس بن عبد المطلب، ويطلق عليهم اسم بوتدارة، وحرب القصر من قبل عرب عام 1281هـ/1864م.

ينظر: الموقع الجغرافي والعمراني لإقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، نعيمة طيب بوجعة، أعمال الملتقى أدرار تيهرت، 2009، ص 3-22.

⁴ - سالي: تقع جنوب أدرار، وتبلغ مساحتها حوالي 16683 كم². ينظر: التاريخ الثقافي، الصديق حاج أحمد، المرجع السابق، ص 130.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 123.

وزاقلو¹، وأولاد الحاج، وزاوية كنته، وتبركانت، والمناصير، وتازولت، وزاوية سيدي بن عبد الكريم، وبوعلي، وتطاوين الشرفاء، والمحفوظ، وأدمر وتخيفت².

ط- رقان: تعتبر آخر مقاطعات توات، وتقع في أقصى جنوب توات وجنوب سالي، وتضم حوالي خمس عشرة قصرا من بينها: قصر آيت مسعود، وتولفت، وتعرابت، وأنتهت، وتاوريرت وقصر تيمادانين.

دراسة اقتصادية:

النشاط الفلاحي بمنطقة توات:

تتميز منطقة توات بمساحة شاسعة ساعدت على تنوع المنتجات الفلاحية، كما تعتبر هذه الأخيرة الحرفة الأساسية للمجتمع باعتباره مجتمعا زراعيا بالأساس، لكن الفلاح التواتي واجهته مجموعة من العوائق حالت دون تطور إنتاجه و من أهمها:

- ارتفاع درجة الحرارة مما يؤدي إلى تبخر المياه وزيادة عمل الجفاف في المنطقة.

- الرياح القوية التي تؤدي إلى إفساد المنتجات .

- اعتماد الفلاح التواتي على الوسائل التقليدية مما يؤدي إلى الحد من الإنتاج، إضافة إلى انتشار الأمراض التي أدت إلى إفساد الإنتاج، وانعدام الأسمدة المضادة لذلك.

إضافة إلى العوائق التي اشرنا إليها هناك عوائق أكثر خطرا حدت بصفة قهرية الفلاح التواتي على رأسها الكوارث الطبيعية مثل الجفاف وحملات الجراد التي كان القرن 17م والقرن 18م من أكثر القرون التي عرفت فيه الجزائر عامة حملات منه مثل سنوات 1663م - 1710-1716-1724-

¹ زقلو: يوجد بمقاطعة زاوية كنته، ويسكنها العرب الذين جاءوا من الساحل، وهناك زقلو العرب وزاقلو المرابطين والتي يسكنها المرابطين أحفاد سيدي بن حنيني. ينظر: الموقع الجغرافي والعمري لإقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، نعيمة طيب بوجمة، المرجع السابق، ص14.

² تخيفت: توجد بمقاطعة أولاد سيدي حم بن الحاج (مقاطعة زاوية كنته)، كان يقيم بها اليهود ثم انتقلوا إلى تماسخت إحدى قصور تامست، وهي من أقدم المراكز اليهودية وبجانبه يتواجد تزلت، وهي أنقاض مركز يهودي بربري عتيق. ينظر: المرجع نفسه، ص15.

1725-1760-1778-1779-1780-1784م وما بين 1787م و 1798م وبالنسبة لفترة الجفاف فهي ممتدة من 1579 إلى 1580م ومن 80/جوان/1612 إلى غاية 1610م. وفي سنة 1987م اجتاحت المنطقة التواتية حملة من الجراد كادت أمن تقضي على نخيل المنطقة بأجمعه.

ولقد انعكس هذين العاملين الأخيرين على الوضع الاجتماعي لسكان الجزائر عامة، فعرفت البلاد المجاعة عامي 1579 و 1580م حيث تذكر المصادر أن الناس كانوا يموتون أثناءها بأعداد كبيرة، حتى قدر بعض الرواة أن عددها في مدينة الجزائر وحدها بلغ 5656 في فترة قصيرة لا تتعدى الشهر¹.

سنحاول في دراستنا هذه الوقوف على النشاط الزراعي بالمنطقة، مبرزين النظام الذي اعتمد عليه في الري. وأهم المنتجات الفلاحية.

1- نظام الري بالمنطقة (الفقاير).

اعتمد سكان الإقليم عموماً على هذا النظام منذ لقدم، إذ يشير ابن خلدون بقوله لذلك: " في هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق طريقة غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلال المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى، وتطوى جوانبها إلى أن يصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقتها عن الماء فينبعث صاعدا فيعم البئر ثم يجري على وجه الأرض وادياً، ويزعمون أن الماء بسرعه عن كل شيء، هذه الطريقة الغربية موجودة في قصور توات وتنجورارين وورقلة وريغ، والعالم أبو العجائب والله الخلاق العظيم"².

كان يتم توزيع مياه الفقارة بتنظيم الحصص المائية حسب نظام التكييل، الذي يعتمد على تقنين كمية المياه بوحدين قياسيتين الأولى تعرف "الماجن" ويتم بواسطتها كل العمليات من بيع وكراء وتمليك وكراء، وتقسّم إلى أربع وعشرين قراطاً والقيراط يجرأ هو الآخر إلى أربع وعشرين جزء يسمى كل جزء منه

¹ - ينظر: الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي، ناصر الدين سعيدوني، مجلة الثقافة، عدد 92، الجزائر، ابريل 1986، ص 107.

² ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، ابن خلدون، المصدر السابق، 7/77.

قراط القراط، تسمية هذه الوحدة تختلف من منطقة إلى أخرى، والثانية يطلق عليها "قراط النحاس" وهي وحدة القياس الأساسية الموجودة على آلة القياس والتي تسمى بالحلافة أو "الشفقة"، وهي عبارة عن قطعة من النحاس مستطيلة الشكل توجد بها ثقب تمثل الوحدة التي يقاس بها الماء وتتجزأ هذه الوحدة إلى "النصف - الربع - الثمن" وبها ثقب تعتبر مضاعفات لهذه الوحدة "عشرون قراط - خمسون قراط - مائة قراط"¹

أما عملية التّكّيل في حد ذاتها فهي إجراء يتم بمقتضاه توزيع المياه بين الملاكين وهذه العملية تتم على القسرية أو المصرف، وهو المكان الذي يتم فيه توزيع المياه بين السواقى الفرعية، ولإجراء عملية التّكّيل لابد من حضور الكيال الذي يستعمل آلة التوزيع مع حضور الشاهد الذي يراقب العملية ويسجلها في زمام الفقارة، وهو عبارة عن دفتر يتم فيه تسجيل جميع عمليات التسجيل بحضور مجموعة من أهل الفقارة وكبار الملاكين الذين يتمتعون بثقة جميع سكان القصر.²

2-المنتجات الفلاحية .

زراعة النخيل : النخلة هي الشجرة المباركة التي قال فيها النبي "صلى الله عليه وسلم " أكرموا عمّتكم النخلة"، قيل أنها حلقة من فصيلة طينة أبونا آدم "عليه السلام"، وإنها تشبه الإنسان في أمور كثيرة أولا استقامة قدها كاستقامة قدم الآدمي، والثاني تمييز ذكرائها عن أنثاها، والثالث أنها لا تثمر في الغالب إلا باللقاح الذكر، كما أن الأنثى من الآدميين لا تحمل إلا إذا لقحة من الذكر، ورائحة طلع ذكرها كرائحة مني الرجل، وإذا قطع رأسها هلكت كالآدمي، والغلاف الذي تكون فيه الطلعة كالمشيمة التي يكون فيها الولد، وسابع خاصية أن الجمار الذي في وسط رأسها إذا أصابته آفة هلكت كدماغ الإنسان ومخه، وإذا قطع منها غصن لا يرجع بدله كعضو الإنسان، وعليها ليف كالشعر الذي يكون على الإنسان.³

¹ القراط بمنطقة توات يعطي 1,7 لتر في الدقيقة .

² ينظر: توات والأزواد، محمد الصلح حوتية، مرجع سابق، 91/1.

³ ينظر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، إبراهيم العامري بن محمد الساسي، تحقيق الجيلاني بن براهيم العوامري، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977م، ص64.

تكثر زراعة النخيل في المنطقة لتلاؤمها مع المناخ فلا يوجد أفضل منها ،وانتشرت هذه الزراعة في كامل مدن وقصور الإقليم، وأصبح الثمر هو الغذاء الرئيسي للفقير والغني ،ولم يقتصر الأمر كونه مادة غذائية هامة بل صار من السلع التجارية الرئيسية ،فكان يتم به التبادل مع السلع التي يحتاجها السكان من الخارج ،وكانت التمور التواتية من الأنواع الجيدة التي يشتد عليها الطلب في الخارج، وهي تختلف عن تلك المتواجدة بورقلة وغرداية وعين صالح، و ازداد نمو النخيل سريعا حيث بلغت في أواخر القرن 19م ثمانية ملايين نخلة من مختلف الأنواع¹.

فيما يخص أصناف التمور في المنطقة فهي كثيرة كما تختلف أسماءها بين مناطق الإقليم الثلاث، وأغلب هذه الأسماء زناتية كما أشرنا لذلك سابقا، ومنها نجد :

" تنقور- تقربوش - تلمسو -- تادمام- تنهود - " هذه الأصناف جيدة سواء كانت رطبة أو جافة .

أما التمور ذات الاستهلاك الواسع والتي تنتج في معظم الواحات وهي مخصصة لتصدير فتتمثل فيما يلي :

" تلمسو- تناصر- تقازة- تمليحة- ترزراي- لدهم- أغمو- أغراس- أحرطان-"

وهناك أصناف مؤقتة الاستهلاك إذ هي معرضة لتلف بسرعة معا أنها من أجود تمور المنطقة ، وهي من أول التمور التي تنضج. " بنخلوف- الشيخ محمد - حمدو حمو- " وأصناف التمور كثيرة بسعة مساحة الإقليم².

القمح: تحتل هذه الزراعة المرتبة الثانية بعد غرس النخيل ،ويزرع القمح في مختلف مناطق الإقليم بين النخيل في فصل الشتاء ، المناطق التي تعطي أهمية لإنتاجه هي " تنجورارين - تساييت -توات العليا

¹ ينظر: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادين، فوج محمود فرج ، المرجع السابق، ص 70.

² ينظر: توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، مرجع سابق، 108/1.

(بودة) - أولف - عين صالح - " ، والمناطق الغنية بالحبوب فهي بودة - توات السفلى " ، وعموما توجد الحبوب في جميع المناطق لان كل الفلاحين يسعون لتحقيق اكتفاء ذاتي من هذه المادة الحيوية¹.

واشتهر القمح التواتي بجودته وصلابته ، إذ كان البعض يتاجرون به في الأسواق الخارجية بأثمان مرتفعة ويشترون مقابل ذلك أنواع أخرى أقل جودة وبذلك يستفيدون بفارق السعر².

كما كان هناك منتجات صناعية وغذائية في آن واحد عرفتها المنطقة، مثل الحناء التي أصبح جزء من الإقليم مرتبط بها فعرفت منطقة توات باسم " توات الحناء " ، وكذلك إنتاج الجزر واللفت والفلو والعدس والحمص والكرنب والقربييط والقرعة والكوكاو "الفلو السوداني " إلى جانب الرمان والكرموس" التين" والعنب، وتعتبر هذه المنتجات الأخيرة قليلة، إذ لا تحقق حتى الاكتفاء الذاتي لسكان المنطقة. يقدم أبو القاسم ابن أحمد الزياني(ت1249هـ/1833م) في كتابه الترجمانة الكبرى الذي أتم تأليفه عام 1233هـ/1817م في حديثه عن حدود المغرب العربي الجغرافية وصفا للمستوى الفلاحي بالمنطقة فيقول: " ويقابل تازة خلف جبل درن إقليم وطاطا على نهر ملوية قصور وقرى وأمم لا تحصى، وخلفه إقليم قير على واديه الأعظم المنحدر من درن...وبعده على عدة مراحل إقليم تيفورارين، وبعده بمراحل إقليم توات مدن وقصور وقرى لا تحصى، وكلها بلاد النخيل والفواكه والمياه العذبة في الآبار المتصلة³ إلى أن تخرج على وجه الأرض"⁴.

3- الثروة الحيوانية :

إلى جانب الاهتمام بالفلاحة اهتم التواتيين بتربية الحيوانات كالأغنام والإبل خاصة، رغم المناخ الصعب والغير ملائم لذلك ،فندرة الأمطار أدت إلى ندرة المراعي، و بعض المراعي توجد حيث تطفو بعض المياه الجوفية أو في مجاري الوديان بعد جفافها، وفي هذه الأماكن تنمو بعض الحشائش

¹ ينظر: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص70-71.

² ينظر: توات والازواد، محمد الصالح حوتية، مرجع سابق، 116/1.

³ يقصد بالآبار المتصلة تقنية الفقارة التي لا تزال إلى اليوم تروي بساتين القصور التواتية ، وكذا السكان بمياهها. وأشرنا إليها قبل.

⁴ الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، أبو القاسم ابن أحمد الزياني، تح عبد الكريم الفيلاي، دار نشر المعرفة، الرباط المغرب، ط1991، 2، ص68.

والشجيرات ومن ثم تصبح أماكن صالحة لرعي، ومن المناطق التي اشتهرت بالرعي في الإقليم منطقة تيدكلت، إذ بها مراعي يطلق عليها السكان اسم الغابة.

وتنتشر بقصور المنطقة تربية أعداد قليلة من الأغنام والماعز من نوع "الدّمان"¹ إلى جانب أعداد من الحمير والخيل، والإبل، وكان نوى التمر يستخدم كعلف للحيوانات، وتربية الأبقار كانت شبه معدومة هناك بسبب قلة المراعي القادرة على تلبية حاجة البقر من الكأ، وبالرغم من قلة أعداد الأغنام مع توفر المراعي والمناخ المناسب. ومع رداءة صوفها فإن التواتيين استغلوا صوفها في الغزل، أما ألبانها فاستخدمت في إنتاج الزبدة والجبن واللبن، وكان اللبن مع التمر عند سكان الإقليم يعد من الوجبات الغذائية الرئيسية في مختلف فصول السنة. خاصة الصيف الذي تتواجد فيه التمور من البساتين.

النشاط التجاري:

أهمية المنطقة في التبادل التجاري:

تحدث كثير من المؤرخين عن الدور الكبير الذي ساهمت به المنطقة في النشاط التجاري، وكذا التبادل، فيقول ابن خلدون: "وطن توات... وهو بلد مستجر في العمران، وهو ركاب التجار إلى مالي، وبينه وبين ثغر مالي المسمى "غار"، المفازة المجهلة، لا يهتدي فيها للسبيل ولا يمر الوارد إلا بالدليل الخبير من المثلثين الظواعن في ذلك القفر يستأجرهم التجار على الدربة"²، ويقصد بالبرقة الحقارة من النقود. ويتحدث كذلك في موضع آخر عن أهمية الإقليم في النشاط التجاري فيقول: "ومنها انطلق نشاطهم الحضاري إلى أوروبا والسودان، مثل توات وبودة وتمنيط و ورجلان وتنكورارين شرقاً"³.

¹ الدمان: حيوان يشبه الخروف إلا أنه في حجم العجل المتوسط، له أذنان طويلتان متدلّيتان، وصوفه لينة جدا ولو أن فيها شيء من القصر يوجد هذا الحيوان بكثرة في صحاري ليبيا، وهو نادرا ما يشاهد في نوميديا وبلاد البربر. ينظر: إفريقيقا: مارمول كرنجال، تر، محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، المغرب، 1984م، ص80.

² ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، ابن خلدون، المصدر السابق، 77/7.

³ المصدر نفسه، 120/6.

ويتحدث كذلك الفشتالي عن دور منطقة توات وتنكورارين (قورارة) في تمكين القوافل من التوغل في أرض السودان، كما فعل المنصور الذهبي بعدما قاد حملته لسيطرة على بلاد السودان فيقول:

"والقُطران توات وتنكورارين من أعظم أقطار المعمورة، بما جمعه من الأمم والقصور، أولهما أقرب إلى السودان، والثاني يعد من أعظم وأضخم أقاليم المغرب، فقد كان أمام المنصور طريقين للوصول إلى السودان، أولهما توات وتنكورارين في الجنوب الشرقي، والآخر عبر الصحراء الجنوبي إلا أنه فضل الطريق الأول شعورا بأهميتها، فالقُطران عالم من عوالم الأرض وإقليم الدنيا لما جمعه من الأمم وتراكم من القصور وأهل من العمران وتخلله من العيون ذات الآبار والنخيل ... زيادة على أهمية طرقها في التجارة بين بلاد المغرب والأقطار الإفريقية"¹.

وموقع المنطقة الاستراتيجي عاملا مساعدا للتجارة، فهو الممر الطبيعي لتجارة السودان الغربي ولبضائع بلدان المغرب، إذ أصبحت المنطقة بحق همزة الوصل بين الشمال والجنوب، فاستغل السكان هذا الموقع فاشتغلوا كتجار وسطاء في سلع هذه الأسواق، في الوقت الذي أصبحت فيه توات نقطة لالتقاء وتجمع التجار القادمين من هنا وهناك مع قوافلهم المحملة بالسلع للتبادل، فيشير العياشي لذلك بقوله: "... وهذه البلدة هي مجمع القوافل الآتية من تنبكتو ومن بلاد اكيدز من أطراف السودان، ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك شيء كثير، والسلع التي تجلب من الغرب مما هو خارج السودان نافقة في هذه البلاد كالخيل وملابس الملف والحريز، فإذا قدم الركب إليها كان السوق حافل"².

فالقافلة التواتية كانت تضم عند سيرها أكفاء لتقديم الخدمات الضرورية للمسافرين، تشتمل على الدليل الذي له دراية ومعرفة بمجاهل ومسالك الصحراء، كما هو متقن لعلم النجوم، وكذلك الطبيب العارف بالأعشاب المفيدة لعلاج بعض الأمراض التي تواجه التجار أثناء رحلاتهم في مجاهل الصحراء، والفقيه بالأمور الشرعية فيستفتى عما لبس من مسائل أثناء السفر في ما يخص المسائل الدينية خاصة،

¹ مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا، عبد العزيز الفشتالي، تحقيق كريك عبد الكريم، الرباط، 1972م، ص 73.

² الرحلة العياشية، العياشي، المصدر السابق، ص 80.

وما يتعلق بالأمور التجارية وحدود البيع والشراء، كما تحتوي على الحراس المكلفين بحراسة القافلة من اعتداء اللصوص، وإبعادها عن الخطر¹.

لهذا نجد أغلبية المدن والقصور التواتية نشأت، أصلاً على طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء، وعند سير هذه القوافل داخل الإقليم قاصدة الأسواق الرئيسية يحتم عليها التبادل مع أسواق بلاد توات الداخلية التي يمرون بها للحصول على احتياجاتهم لمواصلة سفرهم الطويل.

كما كانت توات منذ القرن 15م من أكثر المناطق نشاطاً في تسيير القوافل التجارية بين السودان الغربي وبلدان الشمال، فقد زارها سنة 1447م الرحالة الجنوي "مالقنت" وكان هدفه الوصول إلى السودان الغربي للتعرف على بلاد الذهب التي يجني منها التجار المغاربة أرباحاً كثيرة، ربما يكون قد ذهب إليها عبر تلمسان في الوقت الذي كان فيه مرفأً هنيئاً يعرف نشاطاً كبيراً في التبادل التجاري بين أوروبا ومملكة تلمسان، ومنه كانت تنتقل الكثير من البضائع التي تأخذ طريقها إلى بلاد السودان عن طريق توات.

وعمل سكان توات منذ ما قبل القرن 10هـ/16م إلى تشكيل جالية كبيرة تعمل في التجارة في منطقة نهر النيجر الأعلى وتتولى استقبال القوافل القادمة من الشمال وتوزيع بضائعها على مختلف مدن السود.² خاصة بعد اشتداد الطلب على شراء العبيد، فازداد من ثمة إقبال تجار الشمال على أسواق توات لشرائهم إلى جانب الذهب الخام، وريش النعام، والعاج، وهي سلع لا تقل أهمية عن تجارة العبيد وكانت مثل هذه السلع متوفرة في أسواق توات الكبرى، ومن هذه الأسواق نذكر سوق تمنطيط وعين صالح وتيميمون وغيرها من الأسواق، كما كانت تسوق بها سلع كانت تجلب من شمال المغرب الإسلامي كالخيل والملابس المطرزة والحريرية³، وكان قصر بودة مخزناً للبضائع في توات، فيستقبل البضائع

¹- ينظر: العلاقة بين المغرب والسودان في العصر المريني، ماجد كرمي، رسالة لنيل الدبلوم العالي في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1987-1988م، ص 79.

² ينظر: تاريخ السودان، عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 128.

³ ينظر: الرحلة العياشية، العياشي، المصدر السابق، ص 20.

من الأسواق الأوروبية القادمة عن طريق تلمسان وتمنطيط، تم تحول من القصر إلى مختلف أسواق السودان الغربي.

وتمثلت المنتجات التواتية في هذه الأسواق التي كان طلب تجار السودان عليها كبيرا في التمر والحناء. ورغم بُعد أسواق توات وتوغلها في قلب الصحراء إلا أنها جلبت إليها قوافل المسافرين فيصف لنا العياشي أحد أسواق توات، والمتمثل في سوق تسايت الذي يقام بقصر برنكان وذلك عندما مر بها في طريقه لتأدية فريضة الحج فيقول: "ثم ارتحلنا منها ودخلنا أول عمالة توات، وهي قرى تسايت ...، وأقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا واشترينا ما نحتاج إليه من تمر، وبها من التمر أنواع كثيرة، ووجدنا التمر فيها رخيصة"¹، وهذا ما يؤكد أن المنطقة كانت محطة يتوقف عندها المسافرين ليتزودوا بكل ما يحتاجونه من سلع ودواب، حتى يصبح بإمكانهم مواصلة السفر، كما اشتهرت أسواق توات بتنوع السلع وانخفاض أثمانها، وهو ما جعل قوافل الحجاج من سجلماسة وتافيلالت وشنقيط كل عام تتعمد المسير عبر إقليم توات، وغالبا تشتري هذه القوافل حاجتها من المؤن من أسواق الإقليم، وكانت تؤخر صرف الذهب إلى أن تبلغ توات لأن الصرف كان فيه اخص من غيره من الأسواق، فيؤكد ذلك العياشي بقوله: "... إن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخرجوا الصرف إلى توات لان الذهب فيها اخص، وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر"².

وساهمت مدينة تمنطيط هي الأخرى في إنعاش النشاط التجاري بالمنطقة، وهذا لأنها كانت مكان استقرار الجالية اليهودية لمدة طويلة من الزمن، ويشير لذلك ابن بابا حيدة بقوله: "... فاعلم إن مدينة تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات، لقد اجتمع فيها العلم والعمارة والولاية والديانة والرياسة وانتصب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع، وكان لا يستغني عنها غني ولا زاهد ولا يقنع ذو سلعة وعرضها إلا سعرها"³.

¹ الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص79.

² المصدر نفسه، ص80.

³ القول البسيط، ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص03.

وشكل رجال المنطقة شبه اتحادات مستقلة يتولى رأسها حكام المنطقة الذين كان السكان يطبقون في مقدرتهم على تسيير أمور المنطقة، فاستطاعت هذه القوة المحلية أن تكلف جيوش المنصور الذهبي حين داهمتها سنة 1581م خسائر كبيرة¹، وتفهمت القبائل السودانية دور تجار توات في النشاط التجاري من خلال تلك المبادئ الإسلامية القائمة على تعاليم دينية وأخلاقية رفيعة المستوى مبنية على الصدق في القول وتجنب الغش في المعاملة، والوفاء في العهد وإخراج الزكاة، وهذا ما ساعد تجار توات على كسب ثقة الجميع فقاموا بدور الوسيط التجاري بين مناطق غرب إفريقيا والمناطق الشمالية، وتشمل المبادلات على المنتجات السودانية المتمثلة " ريش النعام - الذهب - العاج - واللحوم - يؤتى بها من حوض نهر النيجر وتعرض في الأسواق الكبرى في تمنطيط وعين صالح وتيميمون وغيرها، ومنتجات الشمال المتمثلة في " التمر - التبغ - الملح - والمصنوعات النحاسية - والحلي - وأدوات الزينة - والعطور - والقمح - والمنسوجات.

ولتوزيع هذه البضائع سلكوا الطرق الصحراوية المتعارف عليها ما بين غرب إفريقيا وإقليم توات، وزاد نشاط هذه القوافل عبر هذه المسالك والطرق منذ القرن الثاني للهجرة مستفيدة من الآبار التي حفرها الفاتح العربي المسلم عبد الرحمان ابن حبيب نفسه بن أبي عبيدة عقبة بن نافع².

مناطق التبادل التجاري بين توات والخارج :

ظلت طرق القوافل التجارية القديمة التي كانت تسلكها القبائل المغربية، عند اجتياز الصحراء الكبرى إلى إفريقية الغربية بقصد المتاجرة لغزا محيرا لمدة طويلة من الزمن، لاعتقاد الكثير أن الحياة بين بلاد المغرب وبلاد السودان منعدمة، في حين كانت القبائل الصحراوية تروح وتجي آمنه حاملة معها السلع المختلفة، وأهمها الملح والأقمشة والأوعية الفخارية والمعدنية والحبوب وفي مقدمة هذه القبائل الطوارق الصنهاجية وقبائل لتونة وغيرها تحمل هذه المنتجات العربية الإسلامية إلى قلب السودان القديم

¹ ينظر: تاريخ السودان، السعدي، المصدر السابق، ص128.

² ينظر: المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، البكري، الجزائر، 1911م، ص158.

"مالي"¹ والنيجر والسنغال وغيرهم من الأقطار الإفريقية ، ثم تعود محملة بالذهب والفضة والمعادن والأحجار الكريمة والريش والطيور الجميلة والقردة والحيوانات الداجنة والمفترسة أحيانا².

التبادل بين توات وأسواق السودان الغربي:

استعمل التجار التواتيين وكلاء خاصين بهم في جميع المناطق التجارية خصوصا ببلاد السودان ومما يدل على أهمية توات وتجارتها من الناحية الاقتصادية تلك الرسالة التي أرسلها أمير برنو في منتصف القرن التاسع الهجري يشتكي لعلماء توات من قلة توارد قوافل تجار توات على بلده في تلك السنة والتي قبلها، ويرجوهم ويطلب منهم العمل على حث تجار قصورهم كي يبعثوا تجارتهم إلى بلده³. واشتملت السلع التواتية على القهوة والسكر والملابس المطرزة والأسلحة النارية والتمور والحناء والشمة التواتية، ومقابل ذلك يحصل التواتيون على العبيد والذهب الخام وريش النعام والعاج والقطن وغيرها، ويعودون بهذه السلع لعرضها في بأسواق توات الكبرى، وفي كثير من الأحوال يواصلون السير نحو أسواق حواضر المغرب مثل تافيلالت وسجلماسة ومراكش لمبادلتها بالخيول والأسلحة النارية لعرضها بأسواق توات⁴.

كما كان لتجار دور كبير في نشر الإسلام وذلك لاحتكاكهم الشديد مع سكان بلاد السودان، فانتشر الإسلام انتشارا سريعا وهادئا، دون اللجوء للعنف عبر تلك الطرق التجارية الممتدة من بلاد المغرب عبر الصحراء الكبرى أو على طول المحيط الأطلسي إلى بلاد السنغال وأعالي النيجر ومنطقة بحيرة التشاد وكان لتجار المسلمين دور كبير في هذا المجال ، فاحتكوا بالزنج، حتى أثروا فيهم بسلوكهم الشخصي وأمانتهم ونظافتهم، وكثيرا ما انتهى هذا الاحتكاك بدخول الكثير من الزنوج في الإسلام، وعدد غير قليل من التجار كان يجمع بين التجارة والعلم، فإذا ما ستقر بهم المقام أنشأوا حلقات لتعليم

¹ مالي: تأسست في مالي إمبراطورية إسلامية كبيرة بعد دخول الإسلام إليها في القرن 10م، وامتدت من السودان الغربي بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي، يعود لها الفضل في انتشار الإسلام في بلاد الهوسا في القرن الثامن الهجري، أشهر ملوكها منسي موسى. ينظر: موسوعة المدن الإسلامية، أمانة بوججر، ط2، دار أسامة ، الأردن ، 2010، ص425.

² ينظر: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، نجيب زيب، تح أحمد بن سوادة ، دار الأمير ، بيروت، ط1، 1995، ص65.

³ ينظر: النبذة في تاريخ توات وأعلامها، عبد الحميد بكري، الطباعة العصرية، الجزائر، 2010م، ص45.

⁴ ينظر: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص83.

القرءان الكريم أو للعبادة، وقاموا بمزاولة النشاط التعليمي والدعوة لاتباع مبادئ الإسلام بجانب نشاطهم التجاري .

وهكذا دخل الإسلام إلى كثير من بلدان غرب إفريقيا في ركاب التجارة وكنتيجة لنشاطهم التجاري، وانتشر بعد ذلك أكثر بانتشار نفذ المسلمين، حتى أصبح بمثابة تصريح بالمرور لمن يريد التجارة بنجاح في إفريقيا الغربية¹.

وإذا حاولنا وصف طبيعة التبادل التجاري والأسواق التي كانت تقام لذلك عند القبائل الصحراوية نجد الحسن الوزان أفضل من يتحدث عن ذلك بقوله: "... وعندما يقترب يوم لسوق تعقد هدنة، ويختار رئيس كل جماعة قائدا ومائة من الرجال للقيام بالحراسة والمحافظة على الأمن في السوق يقوم هذا الجيش الوقي بالحراسة ويعاقب الجناة بحسب أهمية جرائمهم، يقتل السارقون على الفور فيطعنون برمح قصير وتترك أشلائهم للكلاب"².

ويدقق الوصف بقوله: "تعقد السوق في سهل يكتنفه جبلان، ويضع التجار بضائعهم في خيام أو أكواخ صغيرة من أغصان الأشجار، ويجمعون بحسب أصناف بضائعهم كل صنف على حدة، بحيث تجد هنا تجار النسيج، وهناك تجار الأقمشة والخردوات وهكذا، أما تجار الماشية فيكونون خارج الخيام، وبجانب كل خيمة أغصان من الشجر، وفي هذه الأكواخ يقيم الأعيان ويقدم الطعام للغرباء ورغم النفقات الكثيرة التي ينفقها أهل السوق فإن بيع البضائع يدر عليهم مبالغ النفقات مضاعفة مرتين، لأن سكان الناحية يأتون إلى هذا السوق، بل وحتى بلاد السودان فيقومون بأعمال تجارية مهمة"³.

¹ ينظر: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، دار الثقافة، القاهرة، 1996م، ص 87.

² وصف إفريقيا، الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 145.

³ المصدر نفسه، ص 146.

التبادل بين توات و غدامس وغات و طرابلس و جنوب تونس.

كذلك عرف الإقليم نشاط تجاري بين هذه المناطق، فكانت القوافل القادمة من غدامس وغات و جنوب تونس المحور الثاني في نشاط التجارة التواتية مع الخارج، إذ تضع هذه القوافل حمولتها من قهوة وسكر، و فلفل أحمر، و صمغ عربي بسوق قصر العرب الكبير فهو يعتبر أكبر أسواق مقاطعة عين صالح، وهذه السلع إما أن تباع داخل هذا السوق أو تحمل مرة ثانية للسير بها نحو أسواق السودان الغربي، فيذكر الشيخ محمد الحشاشي في رحلته عن النشاط التجاري بين توات و غات فيقول: " ثم نرجع للكلام على غات فهي مركز عظيم للتجارة الصحراوية، و مرسى السودان، ولها تجارة كبيرة مع أهل توات"¹.

التبادل بين توات و قبائل البربر و الطوارق .

تشكل المحور الثالث في التجارة الخارجية للإقليم، فكانت تتم عن طريق وصول تجارة هذه القبائل إلى أسواق عين صالح و تمداين، وكانت تشتمل على الإبل و الحمير و خراف الدمان و الماعز، لمبادلتها بالتمور و الشمة التواتية و الحناء، وكذلك بعض المنتجات القادمة من الشمال كالسكر و القهوة و بعض الثياب.

التبادل بين توات و أسواق الشمال الجزائري .

يتمثل في مجيء قوافل التجارة من الشمال في موسم جمع التمور (الخريف)، فكانت القوافل التجارية المزابية مثلا تأتي من غرداية لتبادل سلعا بالتمور التواتية في أسواق منطقة القواررة وهي اقرب المناطق للراحل إلى الإقليم عن طريق تملكوزا، و أثناء مرورها داخل الإقليم تبادل سلعا من قهوة و سكر و جزات الصوف بالتمور و الشمة التواتية، و غالبا ما ينتهي مساراها بسوق تميمون.

أما القوافل القادمة من سعيده و البيض و سيدي الشيخ و المشربة و عين الصفراء فكانت تقصد أسواق توات في شهر ديسمبر غالبا، و تأتي بالسلع الاستهلاكية الغذائية لمبادلتها بالمنتجات التواتية و تشتمل تلك

¹ جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، محمد بن عثمان الحشاشي، تحقيق علي مصطفى المصرا، لبنان، 1965م، ص118.

السلع على " السمن الزيوت والشحم والصابون والشمع والقمح والدقيق والبقول الجاف وجزات الصوف والقطن المغزول والفلفل وغيره، وكانت هذه القوافل تدخل توات عن طريق قصر أولاد عيسى الذي يقع في أقصى شمال غرب منطقة القواراة ويلي العرق الغربي الكبير مباشرة وتقصد من هناك أسواق توات"¹.

ازدهرت تجارة القوافل بين حاضرة الزيانيين، وإقليم توات، وممالك السودان الغربي إبان القرن السابع إلى غاية القرن التاسع الهجريين (الثالث عشر إلى غاية الخامس عشر الميلاديين)، فارتحل تجار القوافل مرة في الحول انطلاقاً من تلمسان ومرورا بإقليم توات ليصلوا إلى ممالك بلاد السودان الغربي. وقبل ارتحال الركب، يجتمعون ويتهيأون للسفر بتوفير وسائل النقل، وضبط طرق ومسالك الرحلة، والتزود بالماء والغذاء واكتراء الدليل. وبعد ذلك ينشغل كل تاجر بأمته فينظمها فوق راحته لتبدأ رحلة القافلة، فتقطع مسافات شاسعة، تواجه فيها بعض المخاطر كندرة الماء والرياح والعواصف الرملية والضياع وقطاع الطرق.

تتفرع من تلمسان مسالك برية تسلكها القوافل التجارية إلى إقليم توات ثم إلى ممالك بلاد السودان الغربي، فالأودية المنحدرة من الأطلس الصحراوي، نحو الجنوب، والجنوب الغربي أو الشرقي، تشكل دروبا تنمو بها بعض الأعشاب لاسيما في الحمادات والعروق، مما يعطي قابلية للحياة سواء للإنسان أو الحيوان فيها ولو لمدة قصيرة خلال السنة، ويفضي إلى فتح ممرات تيسر التوغل في فيافي الصحراء، وكذلك الواحات الموزعة في صورة خطوط متوازية بين جبال الأطلس الكبير بأقصى المغرب وبين التحوم التونسية- الليبية، وتمثل بؤر للتقاطع والالتقاء، وهي المحطات المهمة للتبادل التجاري في المنطقة، وكانت الصحراء محطة عبور مستمر ومنظم، وثقت الصلة في العصور الوسطى بين أهالي الشمال والجنوب، كما وطدت الصلة بين الكثير من المدن المغربية بإقليم توات وبلاد السودان الغربي،

¹ إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فوج محمود فوج، المرجع السابق، ص 83.

منها تلمسان التي راجت التجارة فيها بعد دخول الهلاليين¹ إلى بلاد المغرب في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).

المبحث الثاني: دراسة اجتماعية وثقافية للمنطقة:

1- دراسة اجتماعية .

1 - التشكيلة البشرية لمنطقة توات: تتشكل منطقة توات من تركيبة بشرية مختلفة، انعكس هذا الاختلاف على ثراء المنطقة وغناها على المستوى الحضاري ثقافيا واقتصاديا، وساهم في تشكل هذه التركيبة المختلفة عدة عوامل من أهمها:

- الموقع الممتاز: تمثل المنطقة همزة ربط بين دول الساحل جنوب الصحراء الغنية بالمواد التجارية كالذهب، وريش النعام، والعبيد، ودول المغرب الغنية بالسلع المختلفة والمحتضنة لمراكز ثقافية هامة مثل: جامع الزيتونة بتونس والمدرسة التاشفينية² بتلمسان، وجامع القرويين بفاس، وهذا ما جعل كثير من التجار والطلاب يستقرون بالمنطقة، وخير مثال على ذلك استقرار اليهود بالمنطقة، واستئناسهم لأهلها رغم ما للمنطقة من صعوبات طبيعية كالحرارة والرياح لا يقدر اليهود الذين نزحوا في أغلبهم من الأندلس، لكن سهولة النشاط التجاري بالمنطقة خفف من مشاق الاستقرار. وصحت المقولة التي تقول: (إذا سألت عن وطن اليهود فاسأل عن مكان الأموال و مراكز العبور التجاري)، وربما كانت أرض توات نموذجا رائعا في التمرکز والازدهار التجاري.

- الأمن والاستقرار: هذا العامل يعد أساسيا لقيام أي دولة أو حضارة إذ لا يمكن ممارسة أي نشاط سواء كان اقتصاديا أو اجتماعيا إلا بتوفره، وتعتبر المنطقة نموذجا في ذلك، إذ عرفت عزلة عن تلك

¹ الهلاليين: هم بطن من بطون هوازن العربية، ينتسبون إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان بن مضر، نزحوا من الجزيرة العربية إلى مصر في القرن 4هـ، ومن هناك نزحوا إلى بلاد المغرب سنة 442هـ، من فروعهم "الاثيج، رياح، جشم، زغبة". ينظر: موسوعة القبائل العربية، محمد سليمان الطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001م، 445/3.

² التاشفينية: هي من أغنى وأثرى المدارس الزيانية، أمر بتشييدها أبو تاشفين عبد الرحمن الأول بن أبي حمو موسى الأول (718-736هـ)، وكانت بجانب المسجد الجامع الأعظم، سخر لبنائها أشهر البنائين والمهندسين.

الصراعات التي عرفتها بلاد المغرب العربي في مراحلها المختلفة القديمة بين البربر والرومان، أو الوسيطة في فترة حكم الموحدين وخاصة فترة الدويلات الثلاث القائمة على أنقاضها - الحفصية، المرينية، الزيانية¹ - لذلك كانت المنطقة نقطة جذب للقبائل الباحثة عن الأمن والاستقرار. فكثير من الأسر العلمية نزحت للمنطقة واستقرت بها، معلنة عن استقرارها ميلاد نهضة فكرية، والأسرة الكنتية خير مثال على ذلك².

- طبيعة السكان: يمتاز سكان المنطقة بطبيعتهم الهادئة المضيافة القابلة للامتزاج والتعايش بينها وبين العناصر الوافدة للمنطقة.

- شساعة المساحة و ذلك ما جعلها قابلة لاستهلاك جميع الوافدين عليها.

وبعد إشارتنا لبعض العوامل التي ساهمت في خلق تركيبة بشرية مختلفة في المنطقة سنقوم بالإشارة للتشكيلة البشرية التي يتركب منها المجتمع التواتي، وهي مرتبة حسب أسبقية التواجد بالمنطقة:

البربر: هم أول السكان استقراراً بالإقليم التواتي، وتعتبر قبيلة زناته في مقدمة القبائل التي وطئت قدمها الإقليم بفروعها المختلفة وذلك قبل الفتح الإسلامي بسنوات، ودانوا في بادئ الأمر بالديانة اليهودية ثم المسيحية، وبعد الفتح الإسلامي اعتنقوا الإسلام، وكانت قبيلة "المتونه"³ هي أول القبائل البربرية استقراراً بالمنطقة، فيقول محمد بن بابا حيدة في ذلك: "إن أول من نزل بالمنطقة هم اللمتون أولاد يوسف بن تاشفين حين انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس على يدي العبيدين⁴ ومالكهم ابن تومرت،

¹ - عندما تداعت الدولة الموحدية، وضعفت قبضة المصامدة على ما سادوه من بلاد المغرب، أتاحت الفرصة للزناتيين ليتخلصوا من سيادة المصامدة والصنهاجيين عليهم، ويتخففوا من المغارم التي أثقلوهم بها، ويعودوا لما ألفوه من السيطرة على أرياف المغرب وحواضره، والإثقال على كاهلها بالمغارم التي أثقلوهم بها، ويعودوا إلى ما ألفوه دهوراً طويلة من السيطرة على أرياف المغرب وحواضره، والإثقال على أهلها بالمغارم والغارات دأب البدو مع من يجاورهم من الحضرة في كل زمان ومكان. ينظر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ابن الأحمر، تحهاني سلامة، مكتبة الثقافة، مصر، ط1، 2001م، ص3.

² كنتة: تنتسب إلى عقبة بن نافع الفهري، يتمركز أبناءها في صحراء الجزائر، وموريتانيا، وليبيا ومالي. استقرت الأسرة بالمنطقة مع قدوم الجد الأول للأسرة في القرن 10هـ/16م، وهو أحمد بن محمد الرقادي، الذي استطاع أن يؤسس زاوية لا يزال إشعاعها إلى اليوم في المدينة التي أخذت اسمهم تبركا بهم "زاوية كنتة"، وهي من أهم مدن أدرار الحديثة نشاطاً وحيوية. ينظر: توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، 223/1.

³ لمتونة: هم فرع من القبائل البربرية التي سكنت صحراء المغرب، عرفوا هم وقبيلة جدالة باللمثمين لانتخاذهم للثام شعاراً لهم يميزهم عن سائر قبائل المغرب لاعتقادهم بأن ظهور الفم عورة يجب إخفائه. ينظر: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، عبد اللطيف عصمت، المرجع السابق، ص29.

⁴ انكسرت دولة المرابطين على يد الموحدين، وليس العبيدين وبالتحديد سنة 541هـ/1146م.

فجاءوها فارين وهارين إلى أن بلغوا أرض توات، فوجدوا بها الجذب فعرفوا أنها أرض أمان لأن الجند لا يستطيعون المقام بها، وكان أول قصر بنوه "تيلوة"¹.

ولسبب أسبقية الاستقرار للبربر بأرض توات رجح بعض الباحثين أن يكون أصل تسمية توات بربريا، مستدلا بقول محمد العنابي يشير في هامش تحقيقه لفهرسة قاضي الجماعة بتونس ومفتيها محمد بن قاسم الرصاع المتوفي عام 894هـ/1489م، قال محمد العنابي بأن كلمة توات هي اسم لقبيلة من قبائل البربر من صنهاجة اللثام بالصحراء قائلًا:

"والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق، ومنهم قبائل الطوراق، وملتونة، والتوات..."².

واشتهر البربر بزراعة الأرض لتوفر المنطقة على وديان استعملوها في سقي المزروعات، ومارسوا الرعي وسكنوا الخيام حيث اعتصموا بالأماكن المنعزلة، وقاموا بحفر ما يعرف بالفقارة بسبب انخفاض منسوب المياه من الوادي الكبير وما يدل على اشتغالهم بالزراعة أسماء الوسائل الزراعية التي تأخذ مصطلحات بربرية، زيادة على توقيت زراعة بعض المحاصيل مثل "توبر" غوشت "...الخ، كما اشتغلوا بالتجارة خاصة مع بلاد السودان الغربي، وبنوا القصور والأسوار والخنادق في حالة الحرب وأهم هذه القبائل أولاد يعقوب وأولاد يحيى.

ومن القرى التي اختطوها بالمنطقة بعد استقرارهم نجد: قصر واجّ، وودرارو، وبموسى، وامغر ويوسف، وولعزو، وسعد الله، ويحيى، وأنكوس، وقصر الجير، وأم اصباح وأنكد، ومكرة، وغرميانوا، وتويرير، وأقبور...³، وهذه القرى هي واقعة في قبلة المنطقة التواتية من مشرق الشمس.

¹ تيلوت: المزود، ينظر: القول البسيط في أخبار تمنطيط محمد بن بابا حيدة، تح فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص187.

² الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصحق السوداني، عبد الله حمادي الإدريسي، المرجع السابق، ص192.

³ ينظر: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، المصدر السابق، ص6.

وعن بعض القبائل البربرية التي دخلت المنطقة وتاريخ دخولها نجد: من اللمتون "قبيلة دكوان" دخلت سنة 536هـ، وجاءت أولاد حسين 528هـ، وأولاد بن سليمان 531هـ، أولاد خير الله 516هـ، أولاد عياش 502هـ، أولاد بن يدر 520هـ...¹.

العرب: هم ثاني من استوطن بالإقليم بعد البربر بفعل الفتوحات الإسلامية التي عرفتها بلاد المغرب في القرن الأول الهجري، ودخل العرب أرض توات بقصد نشر الإسلام وتعاليمه السمحة، وممارسة التجارة فاستقروا بالمنطقة، وكان أول قبائل العرب استقرارا هم "المعقل"²، واستطاعوا النمو بسرعة لدرجة أنهم تمكنوا من السيطرة على أبرز القصور، وربما يرجع سبب ذلك لحالة الفوضى التي كان يعيشها البربر قبلهم، وعدم وجود قوة مركزية يتحد تحت رايها الكل، ويشير صاحب الاستقصاء إليهم بقوله: " أقام بنو المعقل هؤلاء في القفار وتفردوا في البيداء، فنموا نموا لا كفاء له وملكوا قصور الصحراء مثل قصور السوس غربا ثم توات ثم بودة ثم تمنطيط ثم وركلان ثم تسايت ثم تيكورارين شرقا وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وانهار أكثر سكانها من زناته وبينهم فتن وحروب على رياستها"³.

ثم دخلت قبيلة كنتة، ثم قبيلة أولاد علي بن موسى القرشية⁴ الذين أشار إليهم محمد الطيب بن عبد الرحيم بقوله: "هم من أكابر الناس دلت على ذلك حالتهم وسيرتهم فهم أهل سنة ومروءة ورياسة"⁵

ومن القبائل الأخرى قبيلة "المقابل" التي أشار إليها ابن خلدون إذ تمكنت هذه القبيلة من بسط نفوذها على المنطقة خاصة في الفترة التي عرفت فيها المنطقة صراعات على الرياسة فيقول: "وبعدما

¹ ينظر: المصدر السابق، ص 07.

² المعقل: هم من عرب اليمن ينتسبون إلى ربيعة بن كعب بن الحارث ينقسمون إلى ثلاثة بطون رئيسية: ذوي عبد الله، ذوي منصور، ذوي حسان.

³ الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، أحمد أبو العباس الناصري، تح جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954، ص 159.

⁴ أولاد علي بن موسى: هي من أعظم قبائل تمنطيط منهم، أولاد بابا، موساوي، وقاد يري.

⁵ درة الأفلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، محمد الطيب بن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص 178.

بسطت هذه القبيلة نفوذها على المنطقة وبدأ سير الضعف في أمراء بني مرين على مناطق الصحراء، استطاعوا أن ينفذوا إلى المدن والقصور والواحات الواقعة في مجالات سيرهم في الصحراء"¹.

وبسبب الضعف والتفكك الذي كان عليه المجتمع التواتي، استطاع العرب السيطرة عليه بسهولة، وأوجبوا على أهله أتوات، ويشير لذلك محمد بن عمر بن المبروك الجعفري نسبا البوداوي منشأ بقوله: "وقيل أن أمة العرب لما خرجوا من جزيرتهم ودخلوا المغرب، وعمروا أمصاره، دخلوا بلاد توات وتغلبوا على أهلها من زناته، فوضعوا عليهم الأتوات، فسموها بذلك بلاد الأتوات"².

ومن القبائل العربية التي سيطرت على البربر نجد: أولاد محمد، والحنافسة، والمجازرة، وأولاد طلحة، وأولاد بحم، وأولاد ملوك، وأولاد غانم، وأولاد الحاج، وأولاد عايد، وغيرهم ممن نزل المنطقة من عرب الساحل³.

اليهود: استوطن اليهود في مختلف المناطق الخاضعة للمسلمين نظرا للمعاملة الخاصة التي لقيها اليهود من المسلمين، فأمنهم المسلمون على أرواحهم وممتلكاتهم مقابل جزية يدفعونها لدولة الإسلامية، فامتزج اليهود بالعرب في بلاد الحجاز، حيث تخلقوا بأخلاقهم وتأثروا بعاداتهم ومن ثم اتبعوا سبيلهم في العادات والتقاليد الاجتماعية، وجاءت الدعوة الإسلامية واتسعت حركة الفتوح فامتزجت حضارات البلدان المفتوحة مع الحضارة العربية، وافرز هذا الخليط الحضارة العربية الإسلامية التي أثرت بدورها على السكان اليهود بالشمال الإفريقي بطبيعة الحال وتشير المصادر إلى قيام مجتمعات يهودية بالمغرب الإسلامي مثل: " القيروان -المهدية -أشير - تلمسان - فاس - وسجلماسة" عاشت بين أهل المغرب الإسلامي من العرب والبربر المسلمين وتأثروا بهم واثروا فيهم ، خاصة انه لم يفرض على اليهود مكان لسكن وإنما وفرت لهم السلطات الإسلامية حرية السكن والتنقل بسبب سماحة الإسلام ،ورغم طبيعة اليهود القائمة على المكر والخداع لم يتعرضوا في بلاد المغرب إلى الاضطهاد إلا نادرا حتى اعتبر بعض المستشرقين ما

¹ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، ابن خلدون، المصدر السابق، 120/6.

² نقل الرواة عن من أبداع قصور توات، محمد بن عمر البوداوي، مخطوط، خزانة بن حسان تنلان، أدرار، ص5.

³ ينظر: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، المصدر السابق، ص08.

حدث لهم من اضطهاد حدثا عابرا¹، ودخل اليهود بلاد المغرب بعدما أجبرتهم اسبانيا والبرتغال على الرحيل من مملكتيهما، فقصده نحو 100 ألف نسمة بلاد المغرب الأقصى، و50 ألف في بقية بلاد المغرب العربي².

وفد على الإقليم التواتي هجرات يهودية مبكرة إلى كل من تاخيفت وتمنيط، ويذكر يعقوب وليل (Jacob oliel) في كتابه يهود توات أن المنطقة شهدت ثلاث هجرات يهودية، أولها كانت في القرن 2م، وانطلقت من السرانيك ومرت بجبال نفوسة ومزاب إلى أن دخلت توات. أما الهجرة الثانية فقد انطلقت من الموصل في القرن 6م، والتقت مع جاليتين أخيرتين في الصحراء الليبية أولا أتت من الحجاز في القرن 7م، والثانية جاءت من خيبر واتجهوا نحو توات.

أما الهجرة الثالثة فكانت من الجهة الشمالية الغربية وانطلقت من الأندلس في القرن 10م، واستطاعوا أن ينشعوا مجتمعا يهوديا قائما بذاته واستغلوا مهاراتهم في تدبير المال.

وكانت أرض توات قبلة لكثير من الأسر اليهودية فاستقروا بالمنطقة ليشكلوا الشريحة الثالثة بالمنطقة بعد البربر والعرب، و نزحوا إلى المنطقة لتوفرها على العوامل الأساسية لنشاطهم خاصة الأمن والاستقرار كما تعتبر المنطقة محطة تجارية لمختلف القوافل العابرة لصحراء في الفترة الوسيطة والحديثة خاصة.

فعرف الإقليم هجرات اليهود قبل الفتح الإسلامي فاستقروا بعد نزولهم بمناطق مختلفة من الإقليم مثل: " تمنيط، تيطاف، تخفيف، تاسفاوت، غير أن شوكتهم علت بتمنيط فزكت أمواهم بها وسيطروا على التجارة والأسواق فيذكر عبد الحميد بكري نقلا عن محمد بن الطيب: "... إنه كان بتمنيط وحدها ما يفوق 363 سائغا يهوديا يبيعون ويشترون في الذهب والفضة ..."³.

¹ ينظر: اليهود في المغرب العربي 642-1071م، عبد الرحمن بشير، عين الدراسات والبحوث الإسلامية، مصر، ط1، 2001، ص111.

² ينظر: أضواء على المغرب العربي، عبد الملك خلف التميمي، دار البصائر، الجزائر، 2011م، ص69.

³ النبة في تاريخ توات، عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص14.

ويضيف يحي بوعزيز بقوله: "... وسيطر اليهود في القرون الوسطى على واحات توات وبسطوا نفوذهم على كل النشاطات الاقتصادية والسياسية والقضائية ولم يعد للتواتيين أي سلطة في الإقليم..."¹.

وانقسم اليهود في الإقليم إلى قسمين:

- يشتمل القسم الأول على اليهود الأصليين الذين كانوا من أهل الذمة والمشرفين على قضايا جالياتهم ، وهم الذين عاثوا في الأرض فسادا بسبب ما كان عليه اليهود من السوء وتدمير المكائد والأذى للمسلمين، مع أن المسلمين آمنوهم على تجارتهم وأموالهم حتى صار في بعض الأزمنة أن أصبح التجار يضعون على رأس قوافلهم يهوديا، لكنهم خانوا الأمانة واقتفوا بذلك اثر أجدادهم وآبائهم².

- والقسم الثاني هم كذلك من الأصليين الذين اعتنق آباءهم الإسلام واندمجوا مع المسلمين، وكانوا يترددون على المساجد ويصومون رمضان وكانت تجري عليهم أحكام الإسلام وذلك لامتزاجهم بالمسلمين من سكان البلاد، فاتبعوا الحرف والتقاليد الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع التواتي من طعام وشراب ونظافة وطهارة وزي³.

وفي الأخير نقول أن اليهود كانوا يؤدون شعائرهم الدينية بحرية تامة دون مضايقة من المسلمين وأنهم ملكوا بيع تأسست منذ القديم، كما أن الفقهاء المغاربة قالوا بان الوفاء لأهل الذمة واجب وأباحوا لكل طائفة منهم بناء وحدة لإقامة شعائرها ولكن منعوهم من دق النواقيس⁴.

¹ أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الخروسة، يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1995م، 146/2.

² ينظر: النبذة في تاريخ توات، عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص14.

³ ينظر: اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، عطاء أبو ربية، أترك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص25.

⁴ ينظر: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال المعيار المعرب لرونشيسي، كمال أبو مصطفى السيد، مركز الإسكندرية، مصر، 1996م، ص37.

وبسبب ما كان عليه اليهود من طغيان وسيطرة على مجريات الحياة بالمنطقة خاصة الأمور التجارية، أصبحوا أهل العقد والحل، ذو كلام مسموع ورأي متبوع، يخدعون الناس بالأموال فتبعهم في ذلك الغوغاء فعانى المسلمون منهم كثيراً لكن دون ناصر أو معين، لأن أصحاب الرأي بالمنطقة كانوا تحت سيطرة اليهود لما قدمه هؤلاء لهم من أموال ومتاع زائل، واستمر الحال إلى أن قدم محمد بن عبد الكريم المغيلي لتمنيط من قصر أولاد سعيد¹ حاملاً على عاتقه إنهاء سيطرة اليهود على المنطقة، لكنه وجد معارضة شديدة من قاضي تمنيط حينها إذ وهو عبد الله بن أبي بكر العصوني(ت1520م)²، فحدث بينه وبين هذا الأخير نقاش شديد حتى وصل إلى خارج حدود المنطقة³، وخارج المغرب الأوسط (الجزائر) أحياناً أخرى⁴، وفي النهاية تمكن الإمام المغيلي من وضع حد لسيطرة اليهود لتتطهر المنطقة منهم إلى وتخرج آخر دفعة بعد الاستقلال خوفاً على نفسها، كما أن هناك من الباحثين من يرى بأنه لا يزال في المنطقة بقايا لبعض الأسر اليهودية ولكن اعتناقها الإسلام حفظ حقوقهم كغيرهم من المسلمين، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم.

الفرس "البرامكة": استقرت بالبلاد التواتية أيضاً بعض القبائل العجمية الفارسية الأصل، وهم المسمون بالبرامكة وقصتهم شهيرة في تاريخ الدولة العباسية حيث نقم عليهم الخليفة هارون الرشيد⁵

¹ أولاد سعيد هي إحدى قصور منطقة قورارة، دخل المغيلي لها 856هـ/1452م، خلف فيها آثار لا تزال باقية إلى اليوم منها، قبر زوجته "زينب" وابنه "علي"، ومسجده، والسوق، ومصلى العيد، والكرسي الذي أقامه في وسط السوق لحل النزاعات. ينظر: المنهج الدعوي للإمام المغيلي، نور الدين حاج أحمد، مخطوط رسالة ماجستير، قسم أصول الدين، جامعة باتنة، ص41.

² هو العلامة الجليل سيدي عبد الله بن أبي بكر بن عثمان العصوني.

³ وكان ممن أيد المغيلي في رأيه (أبو عبد الله محمد التنسي "ت899هـ/1493م" و الشيخ محمد بن قاسم الرصاع "ت894هـ/1488م") مفتي الديار التونسية، والذين أيدوا رأي العصوني (أحمد بن محمد بن زكريا التلمساني "ت899هـ/1493م" والقاضي أبو زكريا يحيى الغماري التلمساني "ت910هـ/1504م" وغيرهم. ينظر: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، عبد الله بن حمادي الإدريسي، المرجع السابق، ص20.

⁴ و أيد المغيلي من خارج الوطن (العلامة أحمد بن يحيى الونشريسي "ت914هـ/1508م" نزيل فاس)، والذين أيدوا العصوني من الخارج (العلامة المغربي مفتي فاس أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي الفاس "ت896هـ/1490م" والعلامة أبو إسحاق إبراهيم بن هلال السجلماسي "ت903هـ/1497م"). ينظر: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم شريف، المطبعة الثعلبية، الجزائر، 1908م، ص245.

⁵ البرامكة: هي إحدى القبائل الفارسية كانت على الجوسية قبل اعتناقها الإسلام، واستطاعت هذه الطائفة من أن توسع نفوذها داخل الدولة العباسية، ويعد خالد بن برمك من الشخصيات البارزة في بغداد على عهد الخليفة المنصور، وأدى ازدياد نفوذ البرامكة إلى التناف الناس حولهم دون الرشيد، وتغنى بجدوهم وفضلهم الشعراء والأدباء، ولذلك استاء الرشيد من ازدياد نفوذهم واستبدادهم بأمر الدولة دونه فنقم عليهم وانتقم منهم، وحكم الرشيد ما بين (149هـ، 191هـ/766م، 806م). ينظر: معالم التاريخ الإسلامي، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دار الفكر، القاهرة، دت، ص198.

حيث كان أعيانهم قد تولوا الوزارة بالدولة يومها، فمن قبضوا عليه كان مصيره الهلاك، ومن نجو منهم تفرقوا هاربين في البلاد ومنهم هذه الطائفة التي وصلت من بلاد المشرق إلى بلاد توات سنة 656هـ/1258م، كما ذكر ذلك صاحب درة الأقاليم¹، وكانوا أنصار للإمام المغيلي بالبلاد التواتية، وهم من أنزله بداره وزاويته بوادي بوعلي بتوات الوسطى².

الأشراف :

وهم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من بناته وأحفاده رضي الله عنهم أجمعين، ومن الأشراف بالمنطقة:

- الأدارسة: وهم من ذرية إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل، واصطلاح في بلاد توات على تسيدهم بتقديم كلمة سيدي، ومنهم من يضيف إلى أسمائهم كلمة مولاي .
ولجأ الأدارسة إلى بلاد المغرب بعد موقعة فخ³، واستطاعوا تأسيس دولة عمرت 216 سنة (172هـ/788م إلى 375هـ/985م)، وأجداد الأسرة الإدريسية الذين تفرعت عنهم السلالة هم أبناء إدريس الأكبر وهم: (القاسم ، محمد، عيسى، عمر أحمد، عبد الله، داود، يحيى، جعفر، حمزة، علي، كثير، وزاد العشماوي عمران، وزاد بعضهم الحسن والحسين)، وتفرعوا ببلاد المغرب الإسلامي فرارا من بطش بن أبي العافية، ويشير لذلك السيوطي بقوله: " خرج من مدينة فاس سبعمائة رحيل من الشرفاء فارين إلى جبال غمرة واثنا عشر رحيلاً إلى جبال تادلة وسبعة إلى فجيح⁴ وأربعة إلى

¹ ينظر: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، المصدر السابق، ص07.

² ينظر: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، عبد الله حمادي الإدريسي، المرجع السابق، ص425.

³ دارت هذه الواقعة بين العباسيين والعلويين بالمشرق، وتعرض العلويين لنكبة كبيرة راح ضحيتها الكثير منهم حتى أوشكوا على الاندثار، ولهذا فر إدريس الأكبر دفين زهون فدخل المغرب 172هـ/788م، فاستقر بوليلي، فبايعه البربر أميراً عليهم ، واستمر كذلك حتى توفي سنة 177هـ/793م مسموماً، وترك زوجته كثر حاملاً في شهرها السابع ، وبعد ما ولدت سمو الولد إدريس الأصغر واصل ما بدأه أباه إلى أن توفي 212هـ/827م معقبا من الأولاد بضعة عشر، ومنهم تفرعت السلالة الإدريسية الشريفة. ينظر: المرجع نفسه، ص428.

⁴ فجيح: فقيق.

سجلماسة وعشرة إلى السوس الأقصى وأربعة إلى ذكالة وأربعة إلى تامسنا وسبعة إلى أوطاطا وسبعة إلى وادي عزة وثمانية إلى الساقية الحمراء وعشرة إلى الأندلس¹.

الأشراف العلويين: سكن هؤلاء الأشراف بلاد المغرب بعد الأدارسة بقرون، وهاجر جدتهم المولى الحسن بن القاسم من بلده ينبع النخيل بجزيرة العرب إلى بلاد سجلماسة" تافيلالت" بطلب من أهلها، وهذا في أواخر القرن 07هـ/13م وبالتحديد سنة 664هـ/1265م كما ذكره بعض المؤرخين²، والجد الذي أخذ الأشراف العلويين النسبة إليه هو الولي الصالح مولاي علي الشريف بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخلة...الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. توفي 847هـ/1443م، ومنهم بأرض توات مولاي عبد المالك بن مولاي عبد الله الرقاني³.

وفد الكثير منهم إلى المنطقة وامتلكوا البساتين والحدائق التي يعمل فيها العبيد وكان لهم نفوذ وسلطة قوية باعتبارهم حماة الدين⁴. لذلك حرص سكان الإقليم على اكتساب رضاهم والتبرك برؤيتهم وعمل وخدمة بمناسبة وفاة جد الأسرة الشريفة يحتتم فيها القرءان ويقدم أصحاب القصر الطعام والشراب للزائرين.

الأشراف القادريون: وهم من بني مولانا عبد القادر الجيلاني دفين بغداد، وهو من حفدة سيدنا موسى الجون أخ المولى إدريس الأكبر جد الشرفاء الأدارسة المذكورين، ويوجد بتوات بعض العائلات الشريفة من غير من ذكرنا فصل الحديث عنهم صاحب درة الأقلام وصاحب نسيم النفحات. وكان السبب في استقرار الكثير من هؤلاء الأشراف بالمنطقة هو لأجل الدعوة وتعليم الناس، فكان أغلبهم أصحاب زوايا دينية تنورت بها البلاد وسعد بها العباد. ولذلك نجدهم هم أصحاب

¹ ينظر: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، المرجع السابق، ص 432.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 434.

³ مولاي عبد الله الرقاني: هو الولي الصالح مولاي عبد الله بن علي بن الزين بن محمد المدعو حمو بن الحاج، كان له كرامات جليلة توحى برفع قدره عند الله، توفي 1148هـ/1735م بزوايته الشهيرة ببلاد رقان، واشتهر بالزهد والعلم والتقوى والكرامات الظاهرة، أخذ مولاي عبد المالك الرقاني الطريقة الزيانية القنادوية عن والده مولاي عبد الله. ينظر: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، أبو عبد الله الطالب محمد البرتلي، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1981م، ص 201.

⁴ ينظر: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 46.

الرأي والحل والعقد في جميع القصور التواتية، فهم بالنسبة للتواتيين خليفة رسول الله من بعده، وتتجلى فيهم بركته صلى الله عليه وسلم. كما أن الكثير منهم لجأ للمنطقة فرارا من البطش الذي لاقوه في الشمال.

د (النازحون من السودان " عبيد وأحرار ومحررين": عرفت المنطقة نزوح أفواج كبيرة من بلاد السودان الغربي، وذلك جراء عوامل كثيرة دفعتهم نحو الشمال، ويعتبر الجوع والفقر إضافة إلى الاسترقاق من أبرز العوامل التي أثرت في ذلك، كما كانت هناك أفواج أخرى لجأت إلى المنطقة مهاجرة تبتغي أرضا غير أرضها، أو بدافع طلب العلم بفعل ما كانت تذخر به المنطقة من نهضة فكرية.

ومنهم الأحرار كقبيلة فلان مثلا وهؤلاء منهم الشيخ محمد باي بلعالم، ومنهم العبيد الذين تم جلبهم من بلاد السودان الغربي عبيد أرقاء، وكانت بلاد توات عبر تاريخها شهيرة بالتجارة فيهم، وألف فيهم أحمد بابا التنبكي رسالة سماها "معراج الصعود"، والتي أجاب فيها بعض من سألته من بلاد توات عن حكم تملك هؤلاء العبيد، ثم إن هؤلاء العبيد المذكورين من تحرر منهم اصطلاح على تسميته بـ "الحرطاني"، والكلمة هي تصحيف لكلمة " الحر ثاني" أي أنه حر من الدرجة الثانية، وفي هذا يقول السلاوي في الاستقصاء: "واعلم أنه قد وقع في هذه الأخبار لفظ الحرطاني، ومعناه في عرف أهل المغرب العتيق حرثان ثم كثر استعماله على الألسنة فقليل الحرطاني على ضرب من التخفيف"¹.

هذا ومن العلماء من كان يرى في كثير من هؤلاء العبيد السودانيين الحرية وعدم جواز رقهم، وذلك أنهم استرقوا بطريقة مخالفة للشرع إذ كانوا على الإسلام، وإنما اعتدى عليهم بنو جلدتهم ببلادهم فضربوا على رقابهم الرق وهم أهل إسلام، ثم باعوهم بأسواق النخاسة بالبلاد المغاربية، إذ ربما كان يعتقد جل من اشتراهم من التجار أن مجرد السواد هو كاف في جعلهم أرقاء، وفي بيان خصالهم يقول السلاوي: "قد تبين لك بما قصصناه عليك من أخبار السودان ما كان عليه أهل تلك البلاد من الأخذ بدين منذ لدن قدم، وإنهم من أحسن الأمم إسلاما وأقومهم ديناً، وأكثرهم للعلم وأهله تحصيلاً ومحبة، وهذا الأمر

¹ الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، أبو العباس الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، 58/7.

شائع في جل ممالكهم الموالية للمغرب كما علمت، وبهذا يظهر لك شناعة ما عمت به البلوى ببلاد المغرب من لدن قدس من استرقاق أهل السودان مطلقاً¹.

وعموماً كان الرقيق من الفئات التي قامت بدور هام في المجتمع المغربي، فكانت أسواق النخاسة وتجارة الرقيق رائجة في المغرب الإسلامي بصفة عامة، ويذكر الونشريسي أن بعض الجوارى كن يتمتعن بموهبة الغناء، فيشير إلى أن رجلاً من أهل المغرب كان يقتني جارية تغني في الأعراس وغير ذلك من المناسبات الأسرية السعيدة مقابل أجر معلوم، ويضيف بأنه لم يكن يجوز لمولاهما أن ينتفع بأجرها، وكان عليه أن يتصدق بهذا المال إذا ما توفيت، كذلك تقيد إحدى النوازل بهروب بعض الرقيق من أسيادهم، ولذا كان السيد يضع في قدم مملوكه خلخالاً من حديد ليعرف بذلك من رآه إنه آبق².

ومن خلال ما أشرنا من التشكيلة الممثلة للمجتمع التواتي يتبين لنا الخليط الكبير الذي انسجم في بيئة عرف كيف يتعامل معها ليلي حاجيته، فمع مرور الزمن تحول إلى طينة واحدة يصعب الآن التمييز بين مكوناتها، كما أن هذه التشكيلة توحى بغنى المنطقة تاريخياً وحضارياً واقتصادياً.

I. نماذج من التراث الشعبي بمنطقة توات:

أ) الحكم والأمثال التواتية:

يقول أبو هلال العسكري عن المثل بأنه: من أجل الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقللة ألفاظه وكثرة معانيه، ويسير مئونه على المتكلم، مع كبير عنايته وجسيم عائداته³.

والأمثال ليست ضرباً من غير نفع أو فائدة، حيثاً به للاستئناس فقط، بل هو أكثر من كل ذلك فنجده يصور لنا بعض العلاقات الاجتماعية القائمة بين أبناء المنطقة كالسعادة والزواج والشقاء وغيرها، وهي علاقات تجسدها الأمثال العربية الأخرى كما تقول فوزية دياب:

¹ الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، أبو العباس الناصري، المصدر السابق، 131/5.

² ينظر: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي، كمال أبو مصطفى السيد، المرجع السابق، ص36.

³ ينظر: جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، 10/1.

" أنها بشرية وواقعية تتحدث عن السعادة والشقاء، الغنى والفقر، اليسر والعسر، الجميل والقبيح، والقوة والضعف، والكرم والبخل"¹.

وأما الحكمة كما ورد في تعريفها فهي: "كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح، وقيل هي إصابة القول من غير نبوءة"².

وإذا حاولنا تحديد الفرق بين الحكمة والمثل فنجد ذلك من العسير، وهذا لأن الحكمة والمثل لهما من التشابه ما يجعل التفرقة بينهما عسير، وعن الفرق بينهما يذكر اليوسي أنه يظهر في ثلاثة أمور هي: أن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال، والمثل خاص بالأقوال، والمثل وقع فيه التشبيه دون الحكمة، والمقصود بالمثل الاحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ³.

ولسهولة توظيف الحكمة والمثل في كلام العامة، وكذا الفائدة الكبيرة من وراءها في تبليغ الرسالة إلى شريحة أكبر من المجتمع نجد كلام العامة مليء بها، وفي هذا يقول الأستاذ أحمد جعفري: "يعتبر المثل والحكمة من أهم وأكثر الأشكال الشعبية حضورا عند العامة، وذلك لما يتميز به من جودة الصياغة، وإيجاز العبارة إضافة إلى محتواها الهام الذي يلخص غالبا تجربة عمرية بكاملها أحيانا"⁴.

ولا يمكن حصر أمثال وحكم المجتمع التواتي في عنصر صغير من هذا البحث، بل الأمر يحتاج إلى بحث خاص، وما يمكن الإشارة إليه كذلك هو وجود بعض الحكم والأمثال المتشابهة بين المجتمع التواتي وغيره من المجتمعات الشعبية الجزائرية أو حتى العربية، وربما هذا ما يؤكد عالمية الثقافة الشعبية والتراث المعنوي للشعوب، فنجد تلك المعارف تتحول من غير رقيب أو حد، ومن الحكم والأمثال التواتية نجد:

¹ القيم والعادات الاجتماعية - بحث ميداني في بعض العادات الاجتماعية فوزية دياب، دار النهضة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص184.

² زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1401هـ/1981م، 25/1.

³ ينظر: المرجع نفسه.

⁴ اللهجة التواتية الجزائرية، معجمها بلاغتها أمثالها وحكمها عيون أشعارها، أحمد جعفري، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2013م، 432/1.

- اللَّي صَكَ¹ عَلَيْهِ بَعِيرُو² مَا يَنْحَرُوا : ويقصد بهذا أن الأب إذا فعل ابنه مخالفة تستدعي العقاب، عليه أن لا يبالغ بذلك مما يعرض ابنه للهلاك. وفي هذه الحكمة دعوة إلى التعقل وأخذ الأمور بحكمة وبعد نظر.

- أَلِّي دَارٌ³ مَخْفِيَةٌ⁴ مَا يَعُودُو⁵ إِيدَامَهَا⁶: هذه حكمة تدعو إلى إتمام العمل وإتقانه ، وهذا لأن عمل خير أو صدقة من غير نية وحسن نفقة يضعف من ثوابها وقبولها عند الله والعامه.

- أَحْبَبِي الْيَوْمَ وَاقْتَلْنِي غَدَوِي: ويضرب للحث على العمل في الآن وترك المستقبل لحين وصوله.

أَخْرَجَ لِرَبِّي عَرَبَانَ يَكْسِيكَ: ويضرب في التوكل على الله في طلب الرزق، وعدم الاتكال على الخلق.

إِذَا جَاتِ⁷ تَحْيِيهَا شَعْرَةٌ وَإِذَا مَشَتْ مَا يُحْيِيهَا تَقْطَعُ السَّلَاسِلَ: ويضرب هذا في أن الإنسان يحصل على نصيبه من الدين بنذر يسير من الجهد، ولا يمكن أن يحصل على ما لم يقدر له ولو بإفناء جسمه في العمل، وهذه الحكمة تدعو إلى القناعة والرضاء بما قسم الله.

إِذَا غَابَ الْمَشُّ أَلْعَبَ بِهَا الْفَارُ: ويضرب هذا في الأمة التي يخلوا فيها الحاكم العادل الذي بيده الأمر والنهي، وبقدرته الاقتصاص من الظالم للمظلوم وإعطاء كل ذي حق حقه، فبفقدانه يعبث الفساد بأملك وحقوق العباد.

إِلَى كَانَتْ أَنْتَ مِيرٌ وَأَنَا مِيرٌ أَشْكُونُ أَيَسُوقُ الْحَمِيرُ:، ويضرب هذا إلى أن الوظائف في الحياة متكاملة وليس هناك فضل لوظيفة على أخرى لأن الحياة لا تكتمل إلا باجتماع الوظائف جميعا، فالطبيب مثلا

¹ صك: ضرب وقذف، و يقوم بهذا عادة البهائم والجمال تكون عادة بالقدم الخلفية.

² بعير: بمعنى الجمال، وهو من اللهجة التواتية.

³ دار: من اللهجة التواتية بمعنى فعل أو عمل.

⁴ مخفية: كل عمل يخفى عن أعين الناس بيتغي به صاحبه الإخلاص لله تعالى.

⁵ يعودو: من اللهجة التواتية بمعنى لا ينقص أو لا يتمم العمل.

⁶ إيدامها: من اللهجة التواتية بمعنى الدسم ، أو ما يضاف للأكل ويجين من طعمه كالتوابل والدهون.

⁷ جات: قدمت وهنا إشارة إلى الدنيا.

لا يستغني عن الفلاح والعكس، والأستاذ لا يستغني عن البناء والعكس...، وفي هذه الحكمة دعوى للرضاء بما قسم الله والإخلاص في العمل وعدم النظر للغير ونسيان ما في اليد.

الْجَارُ قَبْلَ الدَّارِ: يضرب في الدعوة إلى اختيار القريب الذي نسكن إليه ونجاوره من بيت أو زوجة أو صديق، قبل الوقوع في الأمر، لأن بعد فوات الأوان سنندم ولا ينفع الندم.

الزَّيْنُ يَتَمَشَّى وَيَتَكَمَّشُ وَالْقَبِيحُ يَتَمَشَّى وَيَتَفَلَّسُ: يضرب هذا المثل في صنفين من النساء، الأولى زينها يتكلم عليها، لذلك هي ليست بحاجة لكشف نفسها، وغير مبالية بمن ينظر إليها، والثانية هي ذات الوجه القبيح فنجدها تتبختر في مشيتها وتكشف على جسدها، فهي بذلك تسعى لتعوض قبحها بكشف جسدها لتجلب الأنظار إليها.

الرِّزَّاقُ فَالْسَمَاءُ وَالْقَطَاعَةُ فَالتَّرَابُ: ويضرب هذا في نبذ ما عليه الناس من تحاسد على رزق الله، فالله يرزق من فوق سبع سموات، والناس في هذه الدنيا تتخذ السبل بكل ما أوتيت من قوة لقطعه عن الخلق.

نَسِيَهُ أَوْ سَقْسِيَهُ يَنْطَقُ لَيْكَ بِاللِّي فِيهِ: وهي حكمة في معرفة الكذاب لأن الكذاب من عاداته نسيان كذبه، كما قال الشاعر:

ومن عادة الكذاب نسيان كذبه وتلقاه ذا حفظ إذا كان صادقاً

السَّائِتُ مَا رَضَعْتُو مُو: ويضرب هذا في من لا يطالب بحقمة، وهو يراه يذهب من بين يديه، وفي هذا دعوة إلى عدم السكوت عن المكاره والأموال التي تتعارض مع القيم والأخلاق.

ب) العادات والتقاليد: إن الدارس للمجتمع التواتي ليلاحظ بأنه يتميز بعادات وتقاليد مختلفة، ساهم في تكوينها وإثرائها عدة عوامل منها المناخ والشخصية الفريدة للفرد التواتي، ميزه هذا الموروث عن بقية المجتمعات المجاورة له سواء في الشمال أو الجنوب، تجلت مظاهر هذه العادات في مختلف جوانب الحياة المادية والروحية ولعل أبرزها ما يلي:

- الزواج: يتم في المنطقة وفق تعاليم الإسلام ، فتكون الخطبة أولاً ثم تتبع بمراسيم الزواج إلا أن اللافت في الأمر هو أن الزواج كان يتم بين الأقارب¹ غالباً ، وقدما كان يقدم الزوج عادة ملابس وحلي إلى زوجته وي طرح المهر المحدد بين يدي العروس، ومبلغ المهر يختلف من مقاطعة إلى أخرى ويخضع للأحوال الاجتماعية، وهو عموماً من خمسين إلى خمس مائة فرنك نقداً أو مواد أو سلعا. أما حديثاً فالمهر يقدم نقداً في أغلب الأحيان، ويختلف من قصر إلى آخر ومن عائلة إلى أخرى، وإن كانت بعض القصور قد حددت ذلك تخفيضاً لتكاليف العرس.

ومنذ إعلان الخطوبة تشغل أم العروس في إعداد ابنتها للانتقال إلى بيت زوجها، فتشتري لها لوازم البيت من أثاث وأفرشة، وتضعها في مكان خاص من البيت لانتظار اليوم الذي تنتقل فيها العروس إلى بيت زوجها ومعها تلك اللوازم، وربما هذه خاصية من خواص الزواج بمنطقة توات ، فحتى العروس تشارك زوجها في تجهيز البيت، فإذا كان هو المسئول عن بنائه، فنجدها تعمل على تجهيزه خاصة المستلزمات التي يحتاجها المطبخ ، وعادة لا يكون هناك فاصل كبير بين إعلان الخطوبة ويوم الزفاف إلا نادراً خاصة عند الأشخاص المسورين الحال، والعكس عند غيرهم فقد يصل التأخر إلى سنتين أو ثلاث، ومما زاد في هذا الوضع التكلف في بناء وتجهيز البيت.

ويوم الزفاف هو ذكرى عظيمة في تاريخ الأسرتين، فنجد أسرتيهما منشغلتين في إكرام المدعوين طيلة أيام العرس، ويستمر العرس بالنسبة لعائلة العروس يومين، وأسبوع عند عائلة الزوج، واليوم المفضل في الدخول عند التواتيين هو يوم الخميس أو الاثنين، ينتقل أهل الزوج في اليوم الأول إلى بيت العروس لحضور عقد القران، ويتكون الوفد غالباً من شيوخ العائلة أو القبيلة التي ينتمي لها الزوج إضافة إلى أحد شرفاء القصر وإمام المسجد، وبعد حضور العقد تصبح العروس زوجته يستطيع أن يدخل بها، ويحدث هذا في اليوم نفسه أو في اليوم الموالي له، وقد يكون الدخول متأخر لأشهر خاصة إذا لم يكن أحد الطرفين قادر على تحمل تكاليف العرس، وكثير ما نشاهد هذه الحالة في المجتمع التواتي. فيكتفي الزوج بالعقد ، ليؤخر الدخول إلى يوم آخر.

¹ ينظر: النبذة في تاريخ توات، عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 21.

ويوم دخول العروس لبيت زوجها ينتقل وفد من البنات الذين تثق فيهم العروس إلى البيت لتهيئته وتنظيفه، و إعداد الغرفة الشخصية للزوجين، وما يثير الدهشة هو أن البيت يغلق من ذلك الوقت إلى حين دخولهما ليلا، وسبب ذلك في اعتقاد التواتيين الحذر من الحساد كي لا يفسدوا هذا اليوم العظيم في حياة الزوجين.

ويكرم الزوج أهل القرية والضيوف الذين يدعوهم لحضور زفافه يوم دخوله، وبعد نهاية الوليمة يرتدي اللباس الخاص به طيلة أيام الزفاف (البرنوس، العباءة، الحذاء، السيف)، ويشرف على تلبيسه إمام القرية وأحد الشرفاء وأهل القدر من القرية، وأثناء تلبيسه يستر المشرفون على ذلك برداء، ويردد الحضور قصيد البردة للإمام البوصيري، وبعد الانتهاء يرافق الزوج أصدقائه وأفراد عائلته إلى البيت وهم يرددون قصيدة البردة، وبعد دخوله إلى البيت يترك لحاله إلى الصباح، إذا يحضر أصدقائه لتهنئته، والعروس كذلك. وتستمر أيام العرس أسبوع في أغلب الأحيان، لكن حديثا هناك من يكتفي بثلاثة أيام فقط. وعند انقضاء المهلة يخرج الزوج صدقة للأطفال تكون عبارة عن خبز، أو حلوة، أو كسرة يوزعها عليهم. ومنذ ذلك اليوم يتحلل الزوج ليصبح بإمكانه الخروج من بيته، وهذا حسب عُرف بعض القصور التواتية لأن ذلك يختلف من بيت لآخر.

(ج) الاحتفال بالأعياد و المناسبات: يعد المجتمع التواتي مجتمعا مسلما أولى أهمية لأفراح وحفلات ومناسبات المسلمين، كغيره من المجتمعات المسلمة، وأهم هذه المناسبات العيدين الأضحى والفطر، ويوم عاشوراء، و المولد النبوي الشريف. فكان يتم احتفالهم بهذه المناسبات كالتالي :

1-الاحتفال بأيام رمضان والعيدين: بعد دخول شهر رمضان الكريم الذي يعد من أعظم شهور السنة الهجرية يحرص التواتيين على إقامة كل الصلوات في أوقاتها وبعد الإفطار يتوجهون إلى الصلاة في المسجد في حين كانت النساء تصلى خارجه فيحضرون دروس الوعظ والإرشاد¹، وغالبا إذا وقع رمضان في الصيف عانوا منه الكثير وذاقوا منه الشدائد وذلك لشدة الحر، وهذا ما جعل أغلب سكان المنطقة

¹ ينظر: التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها، بلعالم محمد باي، المرجع السابق، ص42.

ينامون في النهار داخل الفقاير لأجل برودتها، فيمكثون بها إلى أن حين وقت العصر ومنهم من يتأخر إلى المغرب . ولا يتكلف أغلب أهل المنطقة في فطورهم، وإن كان هناك من يسرف في ذلك، ويكون الفطور بعد صلاة المغرب ويتضمن الحساء " زنبو"¹، إضافة إلى المرق والخضروات وبعض الحلويات، والشاي الذي يعد أساسيا، وبعد الفطور يتجه السكان للمسجد لتأدية صلاة التراويح وحضور دروس الأمام، والتي غالبا ما تكون في الفقه والسيرة والأخلاق. وبعد ذلك يعودون للمنزل لتناول العشاء الذي يتكون عادة من كسكس الشعير واللحم، ولا يمكن أن تمر وجبة في رمضان بالمنطقة من دون لحم خاصة العشاء.

وبعد قدوم مناسبة ليلة القدر تحيي إلى غاية صلاة الفجر، ويتنافس الفتية في تلاوة القرآن حفظا وهم يصلون بالناس ويستمر هذا الحال إلى الصباح، حين يحضر الإمام الذي يختم القرآن ، وفي هذا اليوم تعطر المساجد والشوارع برائحة العنبر والمسك والبخور، كما يتم خلال هذا الشهر المبارك قراءة صحيح البخاري في الزوايا والمدارس القرآنية. وبحلول عيد الفطر المبارك يتجه الفرد التواتي إلى المسجد لحضور صلاة العيد، وبعد الفراغ من الصلاة يقع التراحم والمسامحة بين السكان وهذا أهم ما يميز عيد الفطر إذ تلتئم فيه الخصومات وينزع فتيل المشاكل والفتن وتزرع المحبة والإخاء بدل ذلك.

- الاحتفال بالوعدات أو الزيارات:

الوعدة: تسمى الزيارة بمنطقة توات، تتكرر سنويا حسب التقويم القمري والشمسي، وأغلب الزيارات تأتي في موسم توفر الخضر بالبساتين كشهر مارس، أبريل، ماي، وذلك حتى تتوفر الغلة لإطعام جميع الضيوف، وهي تقترن عادة بيوم وفاة جد الأسرة الشريفة بالقصر، ولا نكاد نجد قصر بمنطقة توات ليست له وعدة، وهي بذلك تظاهرة ثقافية واجتماعية شاملة².

¹ زنبو": يحضر من القمح الأخضر بعد تجفيفه وتعريضه للنار، وهو يشبه الدقيق له طعم وذوق خاص بعد طبخه.

² ينظر: دليل ولاية أدرار، إعداد عبد الرحمن الضب وأحمد نيكولو وعلي حروز، جمعية الأبحاث التاريخية لولاية أدرار، 1999م، ص 19.

والزيارة أو الوعدة تنتشر في مختلف المناطق الإسلامية منذ فترة متقدمة، لكل مجتمع معارف وعادات تميزه عن غيره خاصة في الطقوس، وتشترك أغلب المجتمعات الإسلامية في إطعام الطعام وذبح الأضاحي، والوعدة لها ضوابط تميزها وتلزم كل فرد من أفراد المجتمع باحترامها، وتجزمه في مخالفتها، ساهم في وضع تلك الضوابط أفراد المجتمع أنفسهم، والقصد من تقديم الطعام وذبح¹ الأضاحي هو جلب رضاء الله ورحمته.

وتدوم الوعدة لمدة ثلاثة أيام تقسم إلى ما يلي:

اليوم الأول يسمى المميز: مخصص للإعداد والاستقبال.

اليوم الثاني: يسمى دخول الضياف: وفيه تختم السلكة " القرآن".

اليوم الثالث يسمى يوم الزيارة: وهو الذي تتم فيه الفاتحة وتمارس فيه الرقصات الفلكلورية، ويحضره عدد كبير من الناس، وقبل صلاة المغرب بمساحة تقام موعظة من طرف أحد فقهاء المنطقة، وبعدها يصلي المغرب وتختتم الزيارة بالفاتحة وفيها يتضرع إلى الله بالدعاء، وبعدها يتجه الحضور إلى البيوت لتناول وجبة العشاء، فجميع البيوت مفتوحة لجميع الحضور مدعويين ولا يرد أحد من الضيوف. وبعد تناول العشاء يتجه الضيوف لحضور الرقصات الفلكلورية التي تقدمها الفرق التي تحضر من القصور المجاورة تعبيراً عن مشاركتهم في إحياء مناسبة القرية.

ويمتد هذا الموروث الاجتماعي إلى أيام وفود الأشراف من المغرب إلى إقليم توات، فمثلاً وفد في عام 1121هـ شريف من تافيلالت وهو مولاي أمبارك بن مولاي المامون مع مجموعة من الفرسان، فاستضافتهم القبائل التواتية بأربعين مثقالاً للضيافة في كل يوم².

¹ REGARDER : Noureddine toulbi ;Religion Rites Etmutations ;Entreprise Nationale de Livre ;Alger ;1984 ;p114

² ينظر: معلمة الصحراء، عبد العزيز عبد الله، وزارة الأوقاف، المغرب، 1976م، ص132.

فالزيارة بمنطقة توات كما قلنا مرتبطة بأحد الشرفاء والأولياء للمكانة الكبيرة التي يحظون بها داخل المجتمع، لذلك هي تتشابه من حيث التقاليد والعادات بخلاف منطقة تيكورارين التي يستعمل فيها أحيانا رقصة أهليل (Ahellil) الذي يؤدي باللهجة الزناتية، ومن الزيارة نجد: زيارة مولاي عبد الواحد البريشي بقصر غرميانو يوم (12 ابريل من كل عام)، ومولاي التهامي بقصر تيطاف (24 ابريل من كل عام) ومولاي عبد الله بن حسين بقصر لحر (يوم أسبوع المصطفى - صلى الله عليه وسلم-)، وكذلك بزواوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وزاوية كنتة... الخ.

- الفنون الشعبية بالمنطقة :

اشتهر المجتمع التواتي بمجموعة من الفنون تجلت في أفراحه ومناسباته، وتولدت عن طبيعة البيئة والمجتمع، وهذه الفنون كثيرة ومتنوعة بحسب شساعة الإقليم، وأهم هذه الفنون "رقصة قرقابو - والبارود...".

- رقصة قرقابو :

يرجع البعض أصل هذه الرقصة إلى عهد الرسول "صلى الله عليه وسلم" عندما أقر لعب الأحباش بالنبال في مسجده، والبعض الآخر يرجعها إلى الأصول الإفريقية وذلك حين أخذ مجموعة من الأسرى يحدثون إيقاعات بسلاسلهم وأغلاهم التي كانوا يغنون بها.

والآلات التي تستعمل فيها هي "الندون"¹ "القلال" "القرقيب"²، والأشخاص الذين يؤدون هذه الرقصة في بعض النواحي هم خاصين وينحدرون من عائلات محددة يطلق عليهم "أولاد العبيد"، وهم يتوارثونها أب عن جد حتى اليوم. والأغاني التي تردد فيها فإنها عبارة عن ذكر لله والرسول -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والأولياء، وهناك موسم محدد تتحول فيه هذه الفرق لتدخل البيوت الموجودة في

¹ الندون: آلة تقليدية دائرية الشكل يوضع عليها جلد من الجهتين ويضرب عليها بالعصي من الجهتين .

² القرقيب: هي عبارة عن صفائح نحاسية ذات شكل خاص يتم العزف بها بضرب بعضها ببعض.

القرية والقصر، وتؤدي في كل بيت مجموعة من الأغاني والرقصات مقابل صدقة يمنحها أصحاب البيت لهم يطلق عليها الدكار¹.

- رقصة البارود:

تنتشر هذه الرقصة في مناطق كثيرة من الوطن والعالم، لكن تكمن المفارقة في " الصيغ " والتي هي تلك العبارات المسموعة التي يتغنى بها الراقصون وتختلف من منطقة إلى أخرى. فتؤدي الرقصة في الإقليم في عدة مناسبات، ففي البداية يتشاور كبار الفرقة مع الصياغ حول الصيغة التي سيدخلون بها إلى الحلقة ثم يرددونها مرات متكررة حتى يحفظونها وبعد ذلك ينادون على الآخرين فيجتمع الكل ليشكلوا صفا واحدا ويشرعون في الدخول إلى الساحة لعرض الرقصة على الحضور الذين يتوافدون من جميع نواحي الإقليم لحضور هذا الاحتفال، وتشكل حلقة رويدا وهم يرددون الصيغة مع ضرب الدفوف وأقلاون، وقد يحضر الذمار في بعض الأحيان، وفي الأخير يحدث الانفجار الذي يطلق عليه في المنطقة "القرص".

وهذه الرقصة في أصلها رقصة قتالية كانت تستعمل للدفاع عن الحياض والقرى والقصور بالمنطقة وكان يمزج مع البارود قطع حديدية، وارتبطت هذه الرقصة محليا بـ "الزيارات " التي تقام على مدار السنة لزيارة أضرحة الأولياء الموجودين تقريبا في كل القصور التواتية².

2- الحياة الثقافية بالمنطقة:

بعد دخول الإسلام إلى أرض توات وتمكنه من قلوب أهلها هب الناس يبحثون في مجالاته الفكرية والعلمية، فنشطت بذلك حركة العلم والتعليم بمختلف مناطق الأقاليم ، وحرص الناس على تعليم أبنائهم أمور الدين والدنيا ، عملا بقوله تعالى: ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾³ ، وتصديقا لقوله -صلى الله عليه وسلم-: " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"⁴ ، فاهتموا بالعلم

¹ ينظر: الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، عاشور سرقمة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص63.

² ينظر: المرجع نفسه، ص64.

³ سورة الزمر، الآية09.

⁴ صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(256/194هـ)، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط1، 1423هـ/2002م، ص30.

وطلبهم للمعرفة وأصبح منهم العلماء والقضاة، وأثروا المكتبات التواتية بالعديد من الكتب المؤلفة من قبل أهل المنطقة، أو التي أحضروها من بلدان العالم الإسلامي، وهذا ما يفسر العدد الهائل من المخطوطات العلمية بالمنطقة.

ومما زاد البلاد خيرا ونعمة توافد العلماء والصالحين عليها، الأمر الذي جعلهم يساهمون في نهضة الإقليم، وبث الروح الثقافية بها، فعملوا على نشر الإسلام بطريقة مرضية، واستطاعوا أن يقفوا في المنطقة على الكثير من العادات السيئة الوافدة من جهة السودان الغربي فحاربوها حتى انهوها بالكامل ، فدرسوا أبناء المنطقة العديد من العلوم والمعارف ، وعرفوهم لغة الأدب والمنطق ، فكان من بينهم واجلهم الشيخ سيدي أبو يحيى بن محمد المنياري، والشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي، والشيخ سيدي عبد الله العصموني وأخيه سيدي سالم، وغيرهم من العلماء والفقهاء، الذين نزلوا بالمدن الكبيرة كتمنيط، فدرسوا فيها، المنظومات الفقهية والنحوية، وفسروا كتاب الله عز وجل بلغة تفهمها الخاصة والعامة - فكانوا رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه - ، فأسسوا الزوايا ودور العلم فساهمت هي الأخرى في نشر العلم والتعليم بالمنطقة .

المؤسسات العلمية بالمنطقة:

ارتبط تاريخ توات الثقافي والعلمي والفكري بنشوء مراكز إشعاعية ساهمت في بعث الحركة الفكرية بالمنطقة ، ولذا تعد الكتابات والزوايا من أبرز تلك المراكز لمساهمتها الفعالة عبر تاريخ الإقليم في ذلك ، إضافة إلى اهتمامها بفعل الخير والاعتناء بعباب السبيل ، فاعتبرت تلك الأخيرة مرفأ للراحة والأمان ومطلبا لسلامة والاطمئنان ، وأبرز تلك المؤسسات نجد:

الكتاب:

هو صورة مصغرة للزاوية وظيفته تعليم القرآن الكريم للأطفال بمختلف الأعمار ويكون عادة قرب المساجد، ويكون عبارة عن مجموعة من الأبنية المنتشرة في سائر قصور الإقليم ويطلق عليه أسماء مختلفة مثل " أقريش ، الجامع ، المحضرة " ، لهذا القسم دور بارز في تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم

الشرعية واللغوية للصبية، خاصة مخارج الحروف وإتقانها، وهو ما انعكس إيجاباً على المستوى الثقافي واللغوي لأطفال المنطقة.

فأول ما كان يبتدئ به التواتيون في مرحلتهم العلمية والمعرفية هو الجلوس عند الطالب المدرّس بالكتّاب وكانت عاداته أن يبدأ للصبى تعليمه الحروف الأبجدية على اللوح، كي يتمكن من معرفتها أولاً ، ويحصلها ضبطاً وإثباتاً وبعد معرفة الصبي للحروف يندرج به الشيخ في حفظ كتاب الله عز وجل حتى يتمه، فإذا أممه حفظاً ورواية انتقل به إلى تعلم شيء من المعارف الفقهية واللغوية، كمتن ابن عاشر¹ والأخضري والأجرومية، فإن حصل المقصود وعرف هذه الأشياء وبدت منه الرغبة في العلم، وظهرت منه النجابة في التحصيل نقله المعلم إلى مرحلة أخرى أعلى منها تسمى الزاوية.

الزاوية:

- هي زوايا أسسها رجال التصوف مع بداية القرن 8 هجري، كأماكن للعبادة والتربية والتعليم باعتبار إن التصوف يختص بعلم الباطن دون إغفال للجانب الظاهر في الشريعة، ويبنى أسس صحيحة وقواعد متينة من الكتاب والسنة هدفها معالجة آفات النفس وتربيتها، ومما تجدر الإشارة إليه إن هذه الزوايا لم تقتصر على هذا النوع من التربية فقط بل لعبت دوراً أساسياً في تعليم القرآن والحديث، وعلوم الفقه وسائر العلوم الأخرى².

وارتبط أصل نشأة الزوايا بالمنطقة بنشأة قصورها والعائلات التي ساهمت في تكوينها، ويتجلى ذلك في أسماء القصور تحمل أسماء الزوايا أو أسماء العائلات، فمثلاً توجد بقورارة زاوية سيدي "الحاج بلقاسم" بتميمون، وزاوية "سيدي عומר" بأوفروت"، وزاوية الدباغ شمال الإقليم .

¹ ابن عاشر: هو عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر بن سعد الأنصاري الأندلسي المالكي ، ولد بفاس سنة " 995هـ 1582م"، عالم مشترك في القراءات والنحو والتفسير وعلم الكلام والفقه وأصوله وغيرها نشأ بفاس وتوفي بها 03 ذي الحجة 1040هـ، 1631م. ينظر: توات والأزواد، محمد الصالح، حوتية، المرجع السابق، 255/1.

² ينظر: المرجع نفسه، 234/1.

وبمنطقة توات توجد زاوية " الشيخ بن عومر " بقصر بودة ، وزاوية " سيدي حيدة " ، وبتمي " زاوية سيدي سليمان بن علي " ، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف ، وزاوية " سيدي البكري " ، وزاوية مهدية ، وزاوية سيدي عبد القادر ، وزاوية كنتة ، وزاوية سيدي علي بن حنيني ، وزاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي ، وغيرهم كثير .

أهم العلوم التي اشتغل بها التواتيين :

1 - الفقه: عندما نتحدث عن الإنتاج الفقهي في الجزائر بصفة عامة نجد أنه ارتبط في هذه الفترة بالفقه المالكي ، وذلك أن معظم سكان الجزائر يتبعون مذهب الإمام مالك . وبعد مجيء العثمانيين مع بداية القرن 16م انتشر المذهب الحنفي أيضا حيث ظهر بالجزائر علماء كتبوا وأفتوا على قواعد الإمام أبي حنيفة ، وإن كانت معظم التأليف في أصول وفروع مذهب الإمام مالك فان ذلك لا يعني حين إذن انه لم يكن لعلماء المذهب الحنفي تأليف وآراء ، فأسرة العنابي كانت حنفية وتركت بعض التأليف الهامة ، و الإمام عبد القادر الراشدي كان مفتي الحنفية وألف أيضا في ذلك¹.

وبالنسبة لواقع اهتمام أهل الإقليم بالفقه نجدهم اهتموا بالمذهب المالكي و دانوا به الأمر الذي جعل اهتمامهم واجتهادهم وزيادتهم تدريسا وتأليفا في إطار هذا المذهب ، وليس معنى هذا أنهم لم تكن لديهم إطلاقات على المذاهب الأخرى ، وأشهر الكتب المستعملة لدراسة والشروح كانت في الغالب من المذهب المالكي فضلا عن التأليف الجديدة ومنها نجد:

- **متن ابن عاشر:** هو نظم في فقه المالكية نظمه صاحبه عند ذهابه إلى الحج وكان ذلك وقوفا وتلبية لطلب أهل ليبيا الذين طلبوا منه أن ينظم لهم نظما يعينهم على تطبيق الأحكام الفقهية ، فتضمن هذا المتن أبواب الفقه من صوم وحج وصلاة وعقيدة ، ويفتح نظمه بقوله:

يَقُولُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ عَاشِرٍ مُبْتَدِئاً بِاسْمِ إِلَهِ الْقَادِرِ

¹ ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، سعد الله أبو القاسم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، 2 / 65.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَنَا

مِنَ الْعُلُومِ مَا بِهِ كَلَّفَنَا

صَلَّى وَسَلَّم عَلَى مُحَمَّدٍ

وآلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُقْتَدِي

● **الرسالة:** وهي مختصر في فقه المالكية ومؤلفها أبو محمد عبد الله¹ ألفها سنة 938هـ وكان الغرض منها أن تكون كتابا تعليميا لصبيان وانتشرت في كافة بلاد المسلمين وأول نسخة منها أرسلها صاحبها إلى أبي بكر الأمهري إمام المالكية ببغداد فاثني عليها وعلى مؤلفها . توجد عدة نسخ من الرسالة في مختلف مكتبات العالم مثل برلين، باريس، والفاتكان، وتونس، والقاهرة².

● **مختصر خليل:** كتاب فقهي بين فيه صاحبه المشهور في المذهب مجردا عن الخلاف وفيه فروع كثيرة، وعرف بمختصر خليل لان عباراته جاءت مختصرة، ونال شهرة فاقت شهرة ابن الحاجب ومدونة سحنون ، ومال الناس إليه وفي هذا يقول أحمد بابا "... ولقد وضع الله القبول على مختصره وتوضيحه من زمانه إلى الآن، فعكف الناس عليها شرقا وغربا، حتى لقد آل الحال في هذه الأزمنة المتأخرة إلى الاقتصار على المختصر في هذه البلاد، وأضاف أنه كان اسمه محمد إلا أنه اشتهر بخليل³.

إضافة إلى كتب أخرى مثل: "معين النبيل في شرح مختصر خليل" لمحمد بن عبد الكريم المغيلي، وكتاب "حاشية على مختصر اللفاني" على ابن الحاجب، و"شرح على مختصر خليل" لسيدى عبد الكريم بن محمد، ومؤلف "نوازل الزجلالوي" لمحمد بلعالم الزجلالوي.

2- **أصول الفقه:** لم يحفل التواتيون كثيرا بعلم أصول الفقه نظرا لحاجتهم للفتوى والقضاء، ولعله من الإنصاف إذا ما قلنا أن التأليف في هذا المجال كان شحيحا، لكن هذا لا يعني عدم معرفتهم به

¹ هو أبو عبدة بن زيد بن عبد الرحمن القيرواني النفراوي ، أشهر علماء المالكية في المائة الرابعة للهجرة ، ولد سنة 316هـ-928م بنفراوة التونسية وكانت أكثر إقامته بالقيروان ، وتوفي سنة 386هـ 996م وقيل سنة 388 أو 390 بمدينة فاس وقيل القيروان ، ينظر: توات والأزواد، محمد الصالح حوتية ، المرجع السابق ، 1/256.

² ينظر: المرجع نفسه.

³ ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الدياج، أحمد بابا التمكني، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1، 1989م، ص167.

واشتغالهم بتدريسه ومطالعتة، فعثر بالخزانات الموجودة بالمنطقة على العديد من المصنفات الخاصة بهذا العلم من بينها، شرح المنهج على المنجور " مخطوط لمحمد العالم بن الشيخ سيدي محمد الجزولي، الذي وضع حاشيته على شرح علي بن عبد الرحمن المنجوري "، شرح مبارة من تكميل المنهج " مخطوط "، المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب المالكي، وهي حاشية عظيمة الفائدة، بين فيها صاحبها الكثير من المسائل الخلافية، وساق القارئ إلى الرأي المشهور¹.

3- التفسير: حظي علم التفسير بعناية كبيرة من سكان الإقليم، فألفوا فيه واشتغلوا بتدريسه، ويعتبر الإمام المغيلي التلمساني أول من ألف في التفسير في المنطقة خلال القرن التاسع هجري، فألف تفسير للفتحة، كما عثر في فهرسة مروياته أنه ألف تأليفا في تفسير القرآن الكريم سماه " الفتح المبين في شرح القرآن الكريم "، كما ألف من بعده العلامة سيدي " عبد الرحمن بن عمر التلاني في كتابه " الدر المصون في إعراب القرآن الكريم "، ومن حيث اشتغالهم بهذا العلم من حيث التدريس فقد عثر على المصنفات التي تتناول هذا العلم من بينها:

" شرح الشاطبي للقران الكريم" مخطوط، "شرح الجزولي على ابن عبد البر" وهو مخطوط، تفسير ابن عطية مخطوط، مخارج الحروف لابن الجوزي "، هذا إضافة إلى كتاب ألفه سيدي محمد بلعالم الزقلاوي بعنوان " منظومة في تفسير غريب القرآن"².

3- الحديث ومصطلحه: تميز التواتيون في هذا المجال بأنهم اهتموا بالحديث تدريسا أكثر مما اهتموا به تأليفا، ولعل السبب يرجع إلى اهتمامهم بالفتوى والقضاء أكثر من غيرهما، ومن الذين اهتموا بالتأليف في هذا العصر الشيخ محمد بن المختار الكنتي الذي ألف كتاب سماه "شرح على منظومة الأيقونة في مصطلح الحديث، و"شرح الترمذي لثعالي" مخطوط" و"الشفاء للقاضي عياض" مخطوط"، كتاب في الحديث لابن كثير "مخطوط"، بهجة النفوس أحمد بن أبي حمزة " مخطوط، ولعل أكثر دليل على اهتمام

¹ ينظر: النبذة في تاريخ توات، عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص52.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 52.

سكان الإقليم بعلم الحديث ما يقيمونه من قراءة لصححي البخاري ومسلم في جميع المدارس الدينية بالمنطقة.

4- اللغة العربية: اعتبر سكان الإقليم اللغة العربية الركيزة الأولى في بحوثهم، ذلك لأن اللفظ والكلام لا يستقيم ولا يكون على وجهه الدقيق إلا إذا تمكن المتكلم من إتقان اللغة العربية من جميع أنماطها من نحو وإعراب وبيان، ومن التأليف نجد:

" غاية الأمل في إعراب الجمل " لعبد الكريم بن محمد التمنطيبي، وآخر بعنوان "العيون الغامرة على خبايا الرامزة"، و"نيل المراد من لامية ابن المجراد" لابن أب المزمرى وآخر بعنوان "مقدمة في اللغة العربية" لصاحبها عبد الكريم المغيلي التلمساني، وعلى العموم نقول أن اللغة العربية كانت تدرس بصنفين، نثرا وشعرا، فكانت المتون التي نظمها أصحابها هي التي يتدئ بها الطالب نظرا لسهولة حفظها وعمق هدفها، كما أنها تخص سائر العلوم، بالإضافة إلى أمهات الكتاب التي دونها علماء المذهب المالكي، فكان اهتمام الدارسين باللغة العربية كبيرا في الإقليم أو في سائر القطر الجزائري.

وفي الأخير يمكن القول: إن اللغة العربية خلال الحكم العثماني في الجزائر وجدت إمام دراستها عدة معرقات أقوى من المشجعات، فالولاية كانوا لا يفقهون اللغة العربية ولا يتذوقون آدابها إذ لا يتوقع ممن هذه حالته تشجيع العلم الأدباء والشعراء وتذوق إنتاجهم وتقديره، لكن مع ذلك وجد بعض الباشوات ممن اهتموا بالعلم وشجعوا عليه، فمثلا نجد "محمد بكداش" كان يجمع حوله نخبة من المثقفين باعتباره كما قيل: "قد جمع النظم والنثر والخطابة والشعر"، وكذلك شجع البايع "محمد الكبير" حركة النسخ والتأليف والتعليم بالعربية، فازدهرت هذه الحركة في عهده وظهرت أسماء من الأدباء والعلماء دانوا له بالمساعدة المادية، لكن الحركة اختفت باختفائه.

فهذه النماذج كانت تعتمد على جهود فردية ونادرة، وليست قائمة على سياسة مستمرة ومرسومة، فمثلا دام حكم محمد باشا 25 سنة دون أن نعرف أنه قدم شاعرا أو أجاز كاتبا على تأليف أو شجع حركة التعليم¹.

5- التاريخ والتراجم والسير: اهتم التواتيون بفن التاريخ الذي دونوا من خلاله سيرهم ورحلاتهم وأخبارهم، لكن مؤلفاتهم كانت قليلة في هذا الشأن، ومن ذلك:

- البسيط في أخبار تمنطيط للطيب بن عبد الرحيم: وهو المشهور باسم " ابن بابا حيدة، وأفرد هذا المؤلف لمدينة تمنطيط بصفة خاصة وتوات بصفة عامة، ويقدم من خلاله لمحة عامة وسريعة عن الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للإقليم، كما خصص في كتابه فصول أربع في أسماء القبائل والعلماء الذين نزلوا بتمنطيط، وبعض الجوانب الهامة من حياة الجماعة التواتية².

- درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام " لمحمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري، والآخر: "جوهر المعاني فيما ثبت لدى من علماء الألف الثاني " ترجم فيه لثمانية وخمسين عالما وفقهيا من المغرب العربي، حوالي عشرين منهم من الإقليم، ورغم ذلك يُعد " جوهر المعاني " مصدرا هاما يلقي الضوء على الشخصيات الأدبية التي أسهمت في المجال الثقافي والتعليمي بالإقليم، وكتاب آخر سماه " الكواكب البرية في المناقب البكرية " وخصصه لبيان نسب الشيخ البكري مؤسس الطريقة البكرية بتوات ويوصل نسب الشيخ إلى الإمام علي - كرم الله وجهه³.

الشعر:

يعد الشعر أحد الفنون القديمة التي كانت تعتبرها العرب ركيزة أساسية في صيرورة حياتهم المادية وفي تنظيم حركتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فكان متنفس للجميع فتضمن رغباتهم جميعا.

¹ ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، 172/2.

² ينظر: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 112.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 113 .

كان الشعر الديني وخصوصا المدائح النبوية من أقدم الأغراض الشعرية، وتحتفظ الوثائق بقصيدة نادرة في مدح المدينة المنورة " طيبة " قالها الشاعر الصوفي أبو محمد عبد الله بن عمر البسكري، وهي قصيدة أكثر الكتاب من تداولها والنسج على منوالها لجودتها ومنها هذه الأبيات:

دَارُ الْحَبِيبِ أَحَقُّ أَنْ تَهْوَاهَا وَتَحْنُ مِنْ طَرَبٍ إِلَى ذِكْرهَا
وَعَلَى الْجُفُونِ مَتَى هَمَمْتَ بِزُورَتِ يَبْنَى الْكِرَامِ عَلَيْكَ أَنْ تَعْشَاهَا
فَلَا أَنْتَ أَنْتَ إِذْ حَلَلْتَ بِطَيْبَةٍ وَظَلَلْتَ تَرْتَعُ فِي ظِلَالِ رَبَاهَا

وبخصوص الحركة الشعرية بالإقليم التواتي نجد أنها كانت مزدهرة بفضل ما توارد على الإقليم من علماء المغرب والمشرق، فعاش بذلك جميع أنواع الشعر الموجودة في المناطق الأخرى، إلا أن الحملة الفرنسية الاستعمارية وما خلفته من أثر على المكتبات التواتية من ضياع للعديد من القصائد والأشعار والمؤلفات، إلا ما بقي في بعض خزائن المنطقة، ولعل وجود هذا القليل من الكثير دل على ما كان عليه التواتيون من اهتمام بالشعر وثقافته وحرصهم على كتابته في جميع الفنون، فمن هذه الفنون المدح، الرثاء، التوسل، الغزل، واشتهر في الإقليم شعراء كثيرون اهتموا بهذا الفن ودونوا فيه منهم:

1 الحاج بالقاسم بن حسين المتوفى سنة 997هـ، ويعتبر رائدا للحركة الفكرية والثقافية في الإقليم والمنطقة القورارية على الخصوص، من قصائده منظومة في معجزات الرسول -صلى الله عليه وسلم-، منظومة في التوسل، قصيدة وترية، منظومة في الإسراء والمعراج و منظومة في مناسك الحج¹، وقال في قصيدة مدح الرسول صلى الله عليه وسلم التالي:

أَتَيْتُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّةِ مُفْرَدًا وَأُنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ شُكْرًا مُؤَيَّدًا
تُمْ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى أَحْمَدَ مَدَحْتُ حَبِيبَ اللَّهِ مَدْحًا مُمَجَّدًا

¹ ينظر: الحاج بلقاسم الحسين، أحمد أبا الصافي جعفري، مجلة النخلة، العدد 7، تمسقلوت، أدرار، سنة 2011 م، ص10.

إلى أن قال في ختامها:

أَتَيْتُ إِلَى مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ مُبَادِرًا لَعَلَّ اللَّهَ لِرِزَالَتِي وَحُبُوتِي سَاتِرًا
شَكَيْتُ إِلَيْكَ رَبِّي عَلَى ذَنْبِي قَادِرًا فَمَا لِي مِنْ حَيْبٍ سِوَاكَ مُبَسِّرًا
على جود كمالك تعمدت ملجئي

وقصيدة أخرى لشيخ عبد الكريم المغيلي يقول فيها :

بُشْرَاكَ يَا قَلْبِي هَذَا سَيِّدِ الْأُمَمِ وَهَذِهِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ

ومن فنون الشعر الملموسة بالإقليم كذلك الشعر المتميز بالحكمة والنصح ونجد على رأس هذا الباب الشيخ سيدي بكري بن عبد الرحمن بن الطيب بقصيدة منها:

فَكُنْ صَمُوتًا وَلَا تُكْثِرْ مُكَالِمَةً فَالصَّمْتُ نُورٌ مُبِينٌ رَامَهُ سَعْدُ
وَلَا تَهْجُ عَاقِلًا إِنْ رُمْتَ عَافِيَةً وَلَا تُصَاحِبْ أَخَا فِسْقٍ بَلِ اتَّبِعِدَا
وَلَا تُخَاصِمْ كَذُوبًا فَاجِرًا فَعَسَى يَقُولُ مَا شَاءَ مِنْ قَوْلٍ لَهُ فَنَدَ

وقصائد أخرى ذات طابع ديني كقصيدة الشيخ ابن أبي المزمري في باب السهو في الصلاة للشيخ الأخصري¹ نذكر منها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ جَزِيلِ النِّعَمِ مُرْشِدٍ مِنْ سُبُلِ الْحَقِّ عَمٍ
ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ يَتْلُوهَا السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِي الْأَنْبِيَاءِ
وَبَعْدُ فَأَعْلَمُ أَنَّي قَصَدْتُ إِنْجَازَ مَا كُنْتُ بِهِ وَعَدْتُ
مِنْ نَظْمِ سَهْوِ الشَّيْخِ الْأَخْضَرِيِّ مُعْتَدِرًا لِكُلِّ لَوْزَعٍ

¹ النبذة في تاريخ توات، عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 60.

إن هذه النماذج التي أشرنا إليها هي على سبيل الحصر لا الإجمال.

العلوم الأخرى التي اهتم بها التواتيون :

1 - المنطق: لم يفرط التواتيون في علم المنطق فألفوا فيه ودرسوا كتبه، ومن الطلائع الأولى التي ألفت فيه نجد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغلي في كتاب سماه " منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب "، كما ألف في ذلك الشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن السكوتي القبلاوي¹.

الفلك: كان اهتمام التواتيين بهذا العلم قليلا، ومن الذين كتبوا في هذا المجال نجد "محمد محفوظ القسنطيني الذي وضع شرحا على منظومة ابن سعيد في الفلك، والشيخ أحمد بن محمد بن عمرو الذي ألف كتاب سماه " كمال فتح المقيت في شرح المواقيت "، وقصيدة أخرى من نظم سيدي البكري بن عبد الرحمن، ومنظومة ابن سعيد السوسي في الفلك، علم النجوم لابن سعيد.

إضافة إلى جميع العلوم التي ذكرت نجد العديد من التواتيين قد اشتغلوا بعلوم أخرى مثل الطب، والصيدلة خاصة فن التداوي بالأعشاب.

وتعد هذه العلوم جميعا نقطة تواصل بين الإقليم والأقاليم المجاورة، وذلك ما ساهم في إثراء الحياة الثقافية والفكرية داخل الإقليم، وجعله مكان جذب للعلماء والطلاب الذين فضل الكثير منهم التعلم على يدي علماء الإقليم لتوفر الأمن والاستقرار.

ويشير الأستاذ جعفري إلى عوامل إتلاف الكثير من المؤلفات فيقول: "... لكن هذا الموروث الثقافي مع مرور الأيام، وبالنظر إلى الظروف البيئية القاسية التي تعرفها المنطقة، والمتمثلة في حرارة صيفها الشديدة وبرودة شتاءها القارص من جهة، وبالنظر إلى عامل الإنسان نفسه في كثير من الأحيان

¹ ينظر: الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد جعفري، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009م، ص53.

بقصد أو بغير قصد من جهة ثانية، بالنظر إلى كل هذا لم يكن ليصمد طويلا لولا كثرتة من جهة ولولا وقوف بعض الغيورين على هذا الإرث من جهة أخرى، وفي مقدمته شيوخ وأرباب الزوايا بالمنطقة"¹.

بعض رواد الحركة العلمية بمنطقة توات:

الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي (ت1042هـ)

ولد بتمنيط سنة 994هـ، درس بمسقط رأسه على يد والده سيدي أحمد وعلى مشايخ كثيرين منهم، الشيخ سيدي عبد الرحمن بن علي السجلماسي، وسيدي أبي زيان التلمساني، وسيدي أحمد بومعزة... الخ، أما في الفقه فدرس على سعيد المقرئ فاخذ عنه رجز ابن بري شرحا وفهما في قراءة نافع، فاستفاد منه ما أشكل عليه في الفرائض والحساب، إضافة إلى مشايخ عديدين أخذ عنهم مختلف أصناف العلوم، تولى المحكمة الشرعية بتوات سنة 1022 هـ، ومما قال فيه الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن البكري²: " هو الشيخ الإمام الهمام اللغوي النحوي البياني الحسابي الفرضي الأصولي العروضي الفقيه المحدث الجامع بين المعقول والمنقول رواية ودراية"³.

ومن تلامذة الشيخ ابنه القاضي الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم والشيخ سيدي أحمد بن يوسف التلاني والشيخ سيدي أحمد بن علي الوفروقي... وغيرهم.

وترك الشيخ وراءه إرثا علميا ذاخرا ومن ذلك:

1) غاية الأمل في إعراب الجمل هو شرح على لامية ابن المجراد.

¹ الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد جعفري، المرجع السابق، ص53.

² كان سيدي البكري بن عبد الكريم بن البكري على قدر كبير من العلم والوقار، كتب له أبوه سيدي عبد الكريم وصية تعتبر من أهم النصوص النثرية الموجودة في تاريخ المنطقة، من بين أعماله كتاب في تاريخ العائلة البكرية وتوات .

³ سلسلة علماء توات، عبد الحميد بكري، دار الغرب، وهران، 2008م، 45/2.

2) تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز وقسم هذا الأخير إلى مقدمة تناول فيها نبذة عن فضائل الحج وزيارة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقسمين تناول فيهما أدب المسافر إلى هذا المقام في القسم الأول، والآخر تناول فيه ما أمكن من المزارات.

3) كتابه الآخر " شقائق النعمان فيمن جاوز المائة بالزمان".

قامت حياته على العلم والتنقل والترحال في طلب العلم داخل الوطن وخارجه، فمن رحلاته داخل الوطن إلى بني عباس، وأولاد سعيد والجزائر العاصمة، وخارجه رحلته نحو البقاع المقدسة وسماها " تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز"، وأيضاً إلى مراكش وفاس بالمغرب الأقصى.

أجاز الشيخ علماء لهم من الفضل والعطاء الكثير، اشتهروا في زمانهم منهم " سيدي احمد بن محمد المقرئ التلمساني"، والشيخ "الجهوري المصري (ت1066هـ) من أشهر مؤلفاته "النور الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج".

توفي وقت صلاة المغرب ليلة الاثنين 23/شوال عام 1042هـ الموافق لـ 1622م¹.

4- القاضي سيدي عبد الكريم بن البكري .

ولد بتمنطيط سنة 1096هجرية، حفظ القرآن الكريم على يدي الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم في سن مبكرة جدا والفقهاء والنحو وغيرهما من العلوم على يدي والده سيدي البكري تميز رحمه الله بقوة حفظه وذكائه، حفظ المختصر وصحيح البخاري وغيرها من الكتب حفظا عجبيا دقيقا، حتى صار فقيها مالكيا بارعا في اللغة والتصريف.

توفي وهو مستقبل القبلة 1174هـ وقت صلاة الجمعة 18 ربيع الثاني.

¹ ينظر: سلسلة علماء توات، عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص51.

5- الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي:

هو محمد بن عبد الكريم من قرية مغيلة بتلمسان، يرجع نسب أجداده إلى الحسن المثنى سبط رسول الله، اختلف المؤرخون في ميلاده، ويتفق أغلبهم في أن سنة 820هـ الموافق 1414م هو تاريخ ميلاده، واتفقوا على وفاته وذلك مع بداية القرن 16 (909هـ/ الموافق 1503م)، خلف أبناء من زوجته السيدة زينب بنت شيخه " عبد الرحمن الثعالبي"، وتوفيت -رحمها الله- بقصر أولاد سعيد، وأبناءهم هم: " علي وعبد الله، وعبد الجبار " الذي جعله أبوه علي إمارة توات من بعده ليقوم بأمورها وقتل بها، وكان الإمام المغيلي يكنى به " أبي عبد الله ".

تلقى دراسته الأولى بمسقط رأسه بمغلية، وبعدها اتجه نحو تلمسان ومنها اتصل بالشيخ عبد الرحمن الثعالبي واخذ عنه التفسير والتصوف والقرآن، ثم انتقل إلى بجاية، وعملا بوصية شيخه عبد الرحمن الثعالبي انتقل الإمام إلى توات لمحاربة اليهود بها، ونشر الإسلام ببلاد السودان، ومما يبدو من شعره أنه كان ساخطا على الأوضاع التي كانت تمر بها تلمسان في ذلك الحين ومما قال:

تلمسان أرض لا تليق بحالنا ولكن لطف الله نسال في القضا

وكيف يجب المرء أرض يسوسها يهود وفجار ومن ليس يرتضى

واتجه نحو توات ودخل تمنطيط باعتبارها عاصمة الإقليم في تلك الفترة، ومكان تركز اليهود واتساع نفوذهم بها، فأخذ عن فقهاءها، وجالس علمائها، وناظر أدباءها، فكانوا كما قال: "انتفعت منهم وانتفعوا مني"¹.

بقي الإمام المغيلي في بلاد الصنغاي مدة من الزمن يواصل عمله الإصلاحية الديني والثقافي، إلى أن بلغه نبا قيام اليهود بقتل ابنه الشيخ عبد الجبار في توات فغضب وتأمم، وطلب من الأسقيا أن يعتقل جميع التواتيين في بلاده ففعل، ولكن الشيخ أبا المحاسن محمد أنكر على الشيخ ذلك وعاتبه، وقال له ما

¹ سلسلة علماء توات، عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص72.

ذنب هؤلاء في الصنغاي بما فعله أولئك بتوات؟، واستوصوا به ،وتدخل لدى الأسقيا ورجاه أن يطلق سراحهم فامتثل لرغبته كذلك، وهذا يدل على مكانة المغيلي لديه، وبعد ذلك عاد المغيلي بنفسه إلى توات ليرى بنفسه ويعاين ما جرى، ورجع معه جمع من أصحابه وتلامذته ووصلوا إليها عام 1503، واستقر بزوايته بقصر بوعلي حتى توفي في العام الموالي 1504م الموافق لـ 911هـ ورأي آخر يؤكد 909هـجرية تاريخ وفاته، ودفن في زاويته، وقيل إن أحد اليهود الحاقدين عليه ذهب إلى قبره وتبول عليه فأصيب بالعمى¹.

ترك وراءه ثروة علمية ضخمة أفاد بها البلاد والعباد تمثلت في جملة المؤلفات والكتب التي تركها، كما خلف ورائه نضالا فكريا راسخا وإيمانا عميقا بصدق رسالته، بفعل محاربتة الشديدة لليهود بالإقليم، لما كانوا عليه من التسلط والمكر، وهو ما جعله يتدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية ليس في المغرب وحسب بل في إفريقيا جنوب الصحراء، فنصح أمراء السودان وقاوم نفوذ اليهود ولاسيما في الإقليم، فكان كثير المراسلات مع علماء عصره في القضايا التي تهمه².

ومن مصنفاته: "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، "رسالة إلى كل مسلم ومسلمة"، "منح الوهاب في رد الفكر الى الصواب"، "الرد على المعتزلة" للمغيلي، "المفروض في علم الفروض"، "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين"، ووقع بينه وبين جلال الدين السيوطي نزاع في علم المنطق، فكتب للسيوطي في ذلك:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله وكل حديث حكمه حكم أصله

يمكن أن المرء في العلم حجة وينهى عن الفرقان في بعض قوله

هل المنطق المعني إلا عبارة عن الحق أو تحقيقه حين جهله

معنيه في كل الكلام فهل ترى

¹ ينظر: مدينة تلمسان، يحي بوعزيز، دار الغرب، وهران، 2004، ص235.

² ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، 73/2.

فأجابه السيوطي:

حمدت إله العرش شكرا لفضله وأهدي صلاة للنبي وأهله

عجبت لنظم ما سمعت بمثله أتاني عن حبر أقر بنبله

تعجب مني حين ألفت مبدعا كتابا جموعا فيه بنقله

أقرر فيه النهي عن علم منطوق

توفي رحمه الله سنة 909هـ، ويحكى أن يهودي ذهب إلى قبره فبال عليه فعمي مكانه¹.

5- الشيخ سيدي احمد بن يوسف التتلائي.

هو أحمد بن يوسف بن محمد بن علي ولد سنة 1002هـ بأولاد أونقال إحدى قصور الإقليم، درس على يد العالم عبد الكريم بن محمد البكري بتمنطيط، فكان عالما عاملا ماهرا في علم الحديث، ومن أشهر ما قال في الشعر هذا البيت:

لا تعجبك دنيا أنت تاركها كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا

انتقل لقصر تنيلان يوم الأربعاء الحادي عشر من رمضان سنة ألف وثمانية وخمسين (1058هـ) بعد بناء مسجدها في منتصف شعبان من نفس السنة ومن هنا بدا في بناء زاويته وسماها رزق الله الواسع لعباده النافع المسماة به الآن، سرى لها من قصر قدس كان قريبا يسمى "تنيلان" اندثر وتفرق أهله، حفر -رحمه الله- الفقاقير وعمر البساتين وجعل كل ذلك لله حبسا على نحو حبس سيدنا عمر بن الخطاب المذكور في صحيح البخاري، توفي عام 1078هـجري، ومن أهم أعماله كتاب أصول أهل توات².

1 ينظر: البستان، ابن مريم، المصدر السابق، ص256

2 ينظر: سلسلة علماء توات، عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص78.

- الشيخ سيد أحمد ديدي بن محمد العالم (ت 1370 هـ / 1951م)

ولد أحمد ديدي بن محمد العالم بتمنطيط سنة 1299هـ / 1882م، نشأ في بيت علم وصلاح، بدأ تعليمه الأول على يد الطالب عبد الواحد، ثم أخذ الفقه والنحو على يد أخيه القاضي البكري¹، انتقل إلى قصر كوسان عند الشيخ عبد الله بن أحمد البلبالي فأخذ عنه مختصر خليل والعاصمية ومنظومة العمل الفاسي وغيرها من الفنون الأخرى، وقد لازم شيخه لمدة خمس سنوات، نال في نهايتها إجازة في صحيح البخاري، انتقل بعد هذه المرحلة التعليمية، إلى قصر أنزجيمر لأخذ الطريقة في التصوف على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن، حيث لازمه فترة من الزمن أذن له بعدها بالرجوع إلى تمنطيط، وأوصاه بفتح مجلس للتعليم وإفادة المسلمين، وكان كثير الحياء، لا تقع عينه على المحرمات، لا يخرج إلى الطريق إلا إذا كانت فارغة من النساء، ومما يروى عنه في قصر كوسان أنه كان لا يخرج في الطريق إلا إذا كانت خالية من النساء، وذلك حتى لا يقع بصره -رحمه الله- على شيء من المحرمات، وهذا الصنيع كان في الكثير من الأحوال ما يبقيه من دون أكل ولمدة طويلة، حتى تفتن لذلك أهل الحي، فكان إذا جاء وقت دخوله يقولون هيا بنا نخلي الطريق لسيدي أحمد حتى لا يخرج فيجدنا فيعود من حيث أتى².

كان خافت الصوت قبل الدرس باسطاً له خلال الدرس، لا يتكلم إلا باللغة العربي الفصحى، متواضعاً زاهداً عفيفاً قانعاً جلس للتدريس بمقر سكنه بتمنطيط إلى جانب مجلس ابن عمه القاضي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، حيث كان لكل منهما تلامذته، إلا أن القاضي أغلق مجلسه وتفرغ للقضاء، بعد حادثة وقعت له مع الشيخ سيد أحمد ديدي، وتعود القصة حسب رواية الشيخ الحاج عبد الرحمن بكرأوي: "أن تلاميذ الشيخ سيد أحمد ديدي كانوا بعد انتهاء مجلسهم معه يتوجهون خفية للاستماع لدرس القاضي محمد بن عبد الكريم، وبعد علم الشيخ سيد أحمد ديدي بأمرهم ذات يوم أخذهم بنفسه إلى مجلس القاضي وجلس معهم للاستماع للقاضي في درسه، هذا الأمر دفع بالقاضي

¹ تولى البكري بن محمد العالم القضاء قبل وصول الاحتلال الفرنسي إلى المنطقة، وبعد احتلال المنطقة من قبل الاستعمار الفرنسي اعتزل القضاء سنة 1318هـ. ينظر: المرجع نفسه، ص 175.

² ينظر: نبذة عن حياة الشيخ سيدي أحمد ديدي (ت1370هـ)، عبد الحميد بكري، مجلة التراث، عدد1، تمنطيط أدرار، ماي 2013، ص 12، 13.

إلى إغلاق مجلسه منذ ذلك اليوم وتفرغ للقضاء وترك مجال التدريس لابن عمه الذي توافدت عليه جموع الطلاب من كل مكان، ثم قام بتأسيس مدرسة داخلية تقوم بإيواء الطلبة وذلك سنة 1929م¹.

كانت هذه المدرسة الدينية الداخلية الأولى من نوعها في إقليم توات التي تهتم بتقديم العلم مع إيواء الطلبة مدة إقامتهم بالمدرسة، كما كانت هذه المدرسة تقدم خدمات اجتماعية من التكفل بأبناء السبيل والضييف وإصلاح ذات البين وقد ظلت على هذه الحال إلى غاية وقتنا الحاضر، مما أدى ببعض الباحثين إلى تصنيفها ضمن زاويا العلم والإطعام.
من أقواله:

من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة همه جمع الله عليه أمره وأغنى قلبه وأتته الدنيا راغبة.
- اللهم من أصلحت ظاهره أصلح باطنه.

تخرج على يد الشيخ سيد أحمد ديدي العديد من العلماء والشيوخ نذكر منهم: الشيخ الحاج محمد بن الكبير "مؤسس المدرسة الدينية بأدرار"، وابنه الشيخ الحاج عبد القادر الذي خلفه على التدريس بالمدرسة بعد وفاة، والحاج محمد العالم بكرراوي "صاحب مخطوط الدرّة البهية في الشجرة البكرية"، والشيخ الحاج أحمد يدا من تميمون أولاد سعيد، والشيخ الحاج أحمد بكرراوي "مؤسس مدرسة نومناس²، والشيخ سيدي الحاج محمد بلعالم.

وكان رحمه الله يطبق نظاما تدريسيا جيدا، فقد كان الطالب بمجرد أن يحضر للمدرسة يسأله: هل ختمت القرآن أم لا؟ فإن تبين له حفظه وذلك بعد استظهاره أمام المكلف بالتدريس بدأ له الوقفة في ابن عاشر والأجرومية وإن وجدته غير حافظ بدأ له ابن عاشر فقط والباقي حتى يكمل حفظ كتاب الله، وكان في مجلس الدرس لا يتكلم إلا بالعربية الفصحى ولا يجذ العامية ولا ينطقها في مجلسه لأنه كان يرى أن التلميذ لما يسمع الدرس بالفصحى يكون ذلك أقرب إلى رسوخ لفظ العربية في ذهنه وعقله، ولما ينتهي من الوقفات الموجودة في الدرس ويقرأ ابن عطاء الله، يختم بمجموعة من الأدعية المباركة التي جمعها

¹ الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات (1112. 1421هـ/2000.1700م، عبد الله بابا، مخطوط رسالة ماجستير قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2012/2011م، ص114.

² ينظر: الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات، عبد الله بابا، المرجع السابق، ص115.

لنفسه ولطلبته ولمن شاء من المسلمين، ولا تزال مدرسته التي أسسها سنة 1370هـ بتمنيط ترجمة عن العطاء الكبير للأسرة البكرية وإسهامها الفكري داخل المنطقة.

توفي رحمه الله يوم الجمعة 16 شوال سنة 1370هـ الموافق لـ 20 جويلية 1951م، وصلى عليه القاضي صديق زمانه الحاج محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، الذي ما إن علم بالخبر ووصله، وذاك في مجلس القضاء بأدرار حتى أغشي عليه ولمدة طويلة من الزمن ثم لما أفاق سألهم من مات فقالوا: الشيخ سيدي أحمد ديدي، عندما تحقق من الخبر وحضر لتمنيط وعلى وجه السرعة، فكان القاضي هو من غسله وصلى عليه، وهو من أرّخ لوفاته -رحمهم الله أجمعين-¹.

¹ ينظر: نبذة عن حياة الشيخ سيدي أحمد ديدي (ت1370هـ)، عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص13.

الفصل الثاني

بين مصطلحي الإبدال والقلب

الجانب المعجمي في لهجة توات

المبحث الأول: بين مصطلحي الإبدال والقلب:

هناك خلط كبير لا يزال قائماً إلى يومنا هذا بين الإبدال والقلب، فالأول إقامة صوت مكان آخر، أما القلب عند اللغويين هو القلب المكاني نحو جَدَبَ وَجَبَدَ، بَكَلَ¹ وَلَبَكَ، طَمَسَ وَطَسَمَ...²، وهو عند القراء بمعنى الإبدال، على أن هناك بعض الصرفيين فرقوا بين القلب والإبدال، فقالوا: إن الأول خاص بحروف العلة-ومنه ورد مصطلح الإعلال- وإن الثاني خاص للأصوات الصحيحة أو الصامتة، أمثال المرادي (ت749هـ) الذي يقول في التفريق بينهما: "الفرق بين الإبدال والقلب أن البديل وضع الشيء مكان غيره، على تقدير إزالة الأول، والقلب هو تصوير الشيء على غير الصورة التي كان عليها من غير إزالة، ولذلك جعل مثل "قال وباع" قلباً، لأن حروف العلة تقارب بعضها بعضاً، إذ هي من جنس واحد فسهل انقلاب بعضها لبعض"³.

وإلى هذا ذهب ابن سيده (ت458هـ) في استعمال لفظي القلب والإبدال فيقول: "والفرق بين البديل والقلب في الحروف أن القلب يجري على التقدير في حروف العلة، ومناسبة بعضها لبعض، وشدة تقاربها، فكأن الحرف نفسه انقلب من صورة إلى صورة، إذا قلت: قام والأصل قَوْم، فكأنه لم يأت بغيره بدلا منه، ولم يخرج عنه لأن شدة المقاربة للنفس بمنزلة النفس، وهذا في حروف العلة، أما في غيرها فيجري على البديل لتباعد ما بين الحرفين"⁴.

وهناك من القدامى من استعمل مصطلح الإبدال توسّعا شاملين به القلب، كابن يعيش (ت643هـ) الذي يسميه بدلا في قوله: "والبدل على ضربين، بدل هو إقامة حرف مكان غيره نحو: "تحمة وتكأة"، وبدل هو قلب الحرف نفسه إلى لفظ غيره على معنى إحالته إليه، وهذا إنما يكون في

¹ - بكل ولبك بمعنى واحد، والبكل: الخلط، ينظر لسان العرب، مادة (بكل).

² - ينظر: فقه اللغة وأسرار العربية، أبي منصور الثعالبي، ط2، 1373هـ، ص 275.

³ - الإبدال في اللغة العربية، طالبي عبد الحفيظ، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، 1990م، ص 20.

⁴ - المخصص، ابن سيده، بيروت، طبعة الأميرية بيولاقي، دط، 1379هـ، 286/13.

حروف العلة التي هي الواو والياء والألف. فكل قلب بدل، وليس كل بدل قلب¹، أي أنهم كانوا يعدون القلب فرعاً من فروع الإبدال.

وقد وضع بعض المحدثين هذه المسألة جيداً على أن "الإبدال أعم من ذلك لأنه يشمل جميع حالات التبادل بين الأصوات الصحيحة والمعتلة، فإذا خص التغيير في أصوات العلة بمصطلح الإبدال كان مدلول الإبدال فيما عدا ذلك بمقتضى التصحيح الإصلاحي"²، والرأي نفسه نجده عند الصبّان (ت1792م) الذي يقول عن الإبدال "وهو في الاصطلاح جعل حرف مكان حرف آخر مطلقاً، فخرج بقيد المكان العوض... وبقيد الإطلاق القلب فإنه مختص بحروف العلة"³.

فالإبدال إذن هو كل تغيير حاصل بين الصوامت، في حين أن القلب هو تغيير حاصل بين أصوات العلة (أ-و-ي) وهذه الأخيرة هي "أكثر الأصوات اعتلالاً وانقلاباً وسقوطاً"⁴، من هذا المنطلق أردنا أن يكون الإبدال كما تقدم معناه، أما القلب فنوسعُه ليشمل دائرة الحركات (الفتحة والضمة والكسرة)، هذا لأن هذه الأخيرة هي أبعاض من الأولى، كما حدها القدامى "الحركات أبعاض حروف اللين والمد، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاث فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو"⁵، أي أن أصوات العلة تكبير للحركات، من هنا أمكن أن يكون القلب هو التغيير الحاصل بين الصوائت.

أ/الإبدال والقلب لدى القدماء والمحدثين:

الملاحظ في حركة الأصوات على ألسنة الناطقين بها، أنها تنزع في صيرورتها نحو التغيير وعدم الاستقرار، وذلك بحثاً عن أيسرها نطقاً وأقلها جهداً.

¹ - شرح المفصل، ابن يعيش، طبعة المنبرية، دط، دت، 06/10.

² - المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، بيروت، 1980م، ص167.

³ - الإبدال في اللغة العربية، طالبي عبد الحفيظ، ص20.

⁴ - تهذيب اللغة، الأزهرى، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، دط، دت، 52،51/1.

⁵ - سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق حسن هندواوي، دمشق، دار القلم، ط1، 1985م، 19/1.

فحين ينطق المرء مثلاً بأصوات لغته نطقاً طبيعياً لا تكلف فيه، نسجل أن أصوات الكلمة الواحدة لا تثبت على حال، فهي كثيرة التغير والتنقل، كما أنها قد تغير قليلاً من مخرجها فنتقل من نقطة إلى أخرى في مجراها الصوتي، كما قد تغير واحدة أو أكثر من صفاتها التي كانت لها.

ويعد الإبدال واحداً من جملة التغيرات الصوتية الأكثر شيوعاً في العربية، فهو يعتري الصوت حين يجاور غيره أو يأتلف معه في سياق ما، "بحيث يتحول الصوت الواحد إلى صوت آخر، مع الإبقاء على سائر أصوات الكلمة، ومع احتفاظها بدلالاتها ومعناها الأصلي، وهكذا تشترك الكلمتان أو الكلمات في صوت أو أكثر، في حين يبدل صوت منها بصوت آخر يكون قريباً منه في نشأته من جهاز النطق، أو قد يشتمل على شيء من خواصه، كما قد يكون بعيداً عنه"¹، فتنشأ ألفاظ متشابهة في المبنى المعنى، ومن ثم "كان الإبدال عاملاً فعالاً من عوامل نمو اللغة"².

وهذا الإبدال يعرض لكثير من الأصوات اللغوية الصامتة منها والصائتة³، ولا تكاد تخلو منه لغة من اللغات.

اللغة العربية هي إحدى اللغات التي اعترتها هذه الظاهرة في كثير من مفرداتها، فنجد أصوات الكلمة الواحدة تتغير ليحل صوت مكان آخر، مع إبقاء الأصوات الأخرى دون أن يؤدي ذلك إلى تغير في المعنى، ونقف حيارى إزاء ذلك حين نحاول معرفة الكلمة الأصل، مثل قولهم: "أيا وهيا، إياك وهياك، آديته وأوعديته، ألمعي⁴ ويلمعي، الربا والرما، الناس والناث، الأقطار والأقتار، مدّ ومطّ، نشز ونشص، الغيم والغين، مدحه ومدهه، البشاشة والهشاشة..."⁵.

¹ - التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، ط2، 1981م، ص110.

² - الإبدال في ضوء اللغات السامية، كمال ربحي، جامعة بيروت العربية، 1980م، ص99.

³ - سبق وأن ضبطنا أن مصطلح الإبدال سوف نعنيه الإبدال الحاصل بين الصوامت، في حين الإبدال الحاصل بين الصوائت نصطلح عليه القلب.

⁴ - اليلمع والألمع والألمعي واليلمعي: الداهي الذي يتضمن الأمور فلا يخطئ، وقيل: الذكي المتوقد الحديد اللسان والقلب. ينظر لسان العرب، مادة (لمع).

⁵ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه محمد جادى المولى وآخرون، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 276/2.

وهذا الإبدال الذي يصيب الصوامت يشمل الصوائت أيضاً، بشقيها القصير والطويل، فنجد الكلمة الواحدة تَرِدُ مرّةً بالضم ومرّةً أخرى بالكسر وثالثة بالفتح من غير أن يثر ذلك في المعنى، مثل: "فَمَ وَفُمَ وَفِمَ، العَفُو والعُفُو والعِفْو، خَرَصَ وَخُرَصَ وَخِرَصَ، الفَتَكَ وَالتُّكَ والفِتَكَ..."¹، وخَفِيفٌ وَخَفَافٌ، صَحِيحٌ وَصَحَاحٌ، سَكَتٌ وَسَكُوتٌ..."²، وكذلك نحو: "الحجَّ والحجَّ، إِسْوَةٌ وَأُسْوَةٌ، قِدْوَةٌ وَقُدْوَةٌ..."³.

والإبدال ظاهرة لغوية معللة لها أسباب ساعدت على إيجادها وأهداف وجدت لأجلها، ودواع لعبت دوراً إيجابياً في ظهورها، وقد أدرك اللغويون القدامى منذ وقت مبكر إمكان وقوع الإبدال، يقول أبو الحسن بن السائغ (ت312هـ): "قلّما تجد حرفاً إلا وقد تجد فيه البديل إلا نادراً"⁴، وراحوا يتلمّسون تماثل المعنى بين الصورتين المبدلة والمبدل منها، بسرد شواهد تبرز ذلك، إلا أنهم اختلفوا في نظرهم إلى هذه الظاهرة.

فهناك من انطلق مؤكداً أن إقامة صوت مكان آخر مع بقاء سائر الأصوات على حالها هي سنة درج عليها العرب، ولهم متى شاءوا أن يبدلوا صوتاً بآخر، على حد قول ابن فارس (ت395هـ): "من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض"⁵.

على أننا لا نعدم من المتقدمين من سبقوا ابن فارس في التنبّه إلى هذه الظاهرة كالفراء (ت207هـ) الذي كان يدرك ألفاظ الإبدال إدراكاً مختلفاً، فقد كان يراها على أنها ضرب من القوانين التي تخضع لها الأصوات أثناء التأليف فيما بينها، ونلمس ذلك في قوله: "إن نفراً من بالعنبر يصيرون السين إذا كانت متقدمة وجاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء - صاداً، وذلك أن الطاء حرف تضع فيه لسانك على حنكك فينطبق الصوت فتقلب السين صاداً، صورتها صورة الطاء، واستحقّوها ليكون المخرج

¹ - المخصص، ابن سيده، 76/15.

² - نفسه، 90، 85/15.

³ - المزهري، 277، 276/2.

⁴ - الإبدال في ضوء اللغات السامية، ص 102.

⁵ - الصحاحي في فقه اللغة، ابن فارس، تحقيق محمد الشوملي، بيروت، دط، 1964م، ص 173.

واحدا، كما استخفوا الإدغام، فمن ذلك قولهم: الصَّراط والسَّراط، قال: وهي بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب، قال: وعامة العرب تجعلها سينا"¹.

وخلافا لهؤلاء يرى أبو العباس المبرد (ت291هـ) أن تقارب مخارج الأصوات هو الذي يؤدي إلى هذا الإبدال، وذلك حين أورد قول النعمان بن المنذر² لخنجل بن نصلة: "أردت أن تُذِيْمَةُ فَمَدَهْتَهُ"، قال أبو العباس: وقوله (فمدهته) يريد (فمدحته)، فأبدل من الحاء هاء لقرب المخرج ... والعربي تقول: جَلَحَ³ الرجل يَجْلَحُ جَلْحًا، وجَلَهَ يَجْلَهُ جَلْهًا بمعنى واحد"⁴.

وهناك من عزا كثيرا من صور الإبدال إلى اختلاف اللهجات، كابن السكيت (ت244هـ) على أنه قد يحصل الإبدال ويقول به أبناء بيعة واحدة، وروى أنه "حضره أعرابيان من بني كلاب فقال أحدهما: (أنفحة) والآخر (منفحة)، ثم افترقا على أن يسألا جماعة من أشياخ بني كلاب، فاتفق جماعة على قول ذا، وجماعة على قول ذاء، وهما لغتان"⁵. وإلى مثل هذا الرأي ذهب أبو الطيب اللغوي (ت351هـ) الذي الذي أكد أن العرب لا تتعمد تعويض حرف من حرف، إنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في حرف لمعنى واحد حتى لا يختلفان إلا في حرف واحد، والدليل على ذلك أن القبيلة الواحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة، ولا بالصاد مرة وبالسين مرة أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميمًا، والهمزة المصدرية عينًا، كقولهم في نحو: "أن" "عن"، ولا تشترك العرب في شيء من ذلك، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون"⁶.

كما وضع قاعدة في الإبدال نصها يقترب مما أشار إليه الفراء، من أن "الحرف الأضعف يُقلب إلى الأقوى، ولا يُقلب الأقوى إلى الأضعف"⁷، وشرح هذا بقوله: "كل سين وقع بعدها حرف من الحروف

¹ - الإبدال، أبو الطيب اللغوي، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق، مطبوعات مجمع العربي، دط، 1960-1961م، 15/1.

² - النعمان بن المنذر: أشهر ملوك الحيرة للخميين وآخرهم (580-602) مدحه النابغة الذبياني، خلعه كسرى وسجنه.

³ - جَلَحَ وجله: إذا نحس الشعر عن مقدم الرأس، ينظر: لسان العرب، مادة (جَلَحَ).

⁴ - الكامل في اللغة والأدب، المبرد، بيروت، مكتبة المعارف، دط، دت، 97/2.

⁵ - المزهري، 475/1.

⁶ - الإبدال، أبي الطيب، 12/1.

⁷ - المرجع نفسه.

الخمسة (ق، خ، ع، غ، ط) جاز قلبها صادًا نحو: سقر وصقر، يساقون ويصاقون ... لأن الصاد أصل وهي أقوى من السين، والأقوى لا ينقلب إلى الأهوى¹.

وترى طائفة أخرى من اللغويين وجوب تقارب المخارج والصفات في الإبدال، فابن جني (ت392هـ) يرى "أن أصل القلب (البدل) في الحروف، إنما هو فيما تقارب منها، وذلك الدال والطاء والثاء، والدال والطاء والثاء، والهاء والهمزة، والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجه"².

أما ابن سيده (ت458هـ) فلاحظ أن الإبدال صوراً، البدل ومما يجري مجرى البدل، ومثال هذا الأخير نحو: "دهدته الحجر ودهديته، هما لغتان، الهاء في تميم ولياء في أهل العالية"³.

كما نجد حذا حذو ابن جني في اشتراط المخرج في الإبدال فقال: "أما ما كان جارياً على مقاييس الإبدال التي أُنبت فهو الذي يسمى بدلاً، وذلك كإبدال العين من الهمزة والهمزة من العين، والهاء من الحاء والحاء من الهاء، والقاف من الكاف والكاف من القاف، والثاء من الفاء والفاء من الثاء، والباء من الميم والميم من الباء، فأما ما لم يتقارب مخرجه البتة فقليل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلاً، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق"⁴.

ونجد أن السيد البطليوسي (ت521هـ) من علماء القرن الخامس الهجري، سلك مسلك علماء القرن الثالث الهجري أمثال أبي الطيب اللغوي وابن السكيت، إذ يقول في شرحه لفصيح ثعلب أبو العباس (ت291هـ): "ليس الألف في الأرقان⁵ مبدلة من الياء اليرقان، ولكنهما لغتان"⁶.

المحدثون أيضاً عرضوا لهذه الظاهرة اللغوية، وكانت آراءهم متقاربة إلى حد ما، ولعل من الأوائل نذكر أحمد فارس الشدياق (1804-1888م) صاحب المعجم الضخم "سر الليالي في القلب

¹ - الإبدال، أبي الطيب، 12/1.

² - سر صناعة الإعراب، 197/1.

³ - المخصص، ابن سيده، 19/14.

⁴ - المصدر نفسه، 274/13.

⁵ - الأرقان واليرقان: داء يصيب الزرع والنخل، ينظر: لسان العرب، مادة (أرق).

⁶ - الإبدال في ضوء اللغات السامية، ص106.

والإبدال" الذي تحدث في مقدمته عن أكثر الألفاظ التي يعترتها الإبدال "أنها تكون في الألفاظ الدالة على القطع والكسر والخرق والهدم والشق والفرق والتبديد، لأنها كلها من جنس واحد، وجلها مأخوذة من حكاية صوت نحو: قَتَّ وَقَدَّ وَقَضَّ، قَطَّ وَجَدَّ، جَثَّ وَجَدَّ وَجَزَّ..."¹، كما يرى أنه يرى المضعف من الأفعال هو الأصل، ثم يضاف إليه حرف ثالث لتخصيص فكرة القطع واتصالها بنوع المقطوع"²، وعلى هذا الأساس تتم عملية الإبدال.

ومن المحدثين أيضا صادق الرافي (1880-1937م)، فقد ذهب إلى إمكان وقوع الإبدال بين الصوتين، ويكون إما في لغة القبيلة الواحدة، أو يكون في لغتين لقبيلتين مفترقتين"³.

وهناك من أشار إلى مسألة الإبدال ضمن تناولهم لقضايا اللغة العربية، ولهم فيه رأي آخر يردون في ضوءه أكثر صور الإبدال إلى ضرب من التطور الصوتي، كما يدخل أحيانا في اختلاف اللهجات، ويجعلون السبب في كثير من صور الإبدال إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمة.

ومن هؤلاء نذكر إبراهيم السامرائي، فهو يرى أن: "العربية قد اشتملت على لغات عدة هي لغات القبائل المختلفة، وطبيعي أن يحصل الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة، وعلى هذا فإن كثيرا مما حُمِّل على الإبدال داخل ضمن هذه اللغات"⁴.

أما صبحي صالح فيصرح أثناء بحثه بمظاهر الإبدال في كلام العرب على أنها "من قبيل تنوع اللهجات، وقد مرت بمراحل طويلة تطورت فيها الأصوات وتأثر بعضها ببعض بسبب التجاور والتقارب في صفاتها ومخارجها"⁵.

¹ - سر الليالي في القلب والإبدال، أحمد فارس الشدياق، مطبعة العامرة السلطانية بالأستانة، 1284م، ص 05.

² - نفسه.

³ - تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4، 1974م، 146/1.

⁴ - التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، ط2، 1981م، ص 115.

⁵ - دراسة في فقه اللغة، صبحي صالح، بيروت، ط9، ص 512.

ويرى إبراهيم أنيس أنه "حين نستعرض تلك الكلمات التي فُسِّرت على أنها من الإبدال حيناً أو من تباين اللهجات حيناً آخر أو من تباين اللهجات حيناً آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز صوتاً من أصواتها، نستطيع أن نفسرها على أنها إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها، غير أنه في كل حالة يُشترط أن نلاحظ العلاقة الصوتية بين الصورتين المبدل والمبدل منه"¹.

والرأي ذاته أدلى به كمال ربحي، فهو يرى "أن الإبدال ضرب من التطور الصوتي الذي خضعت له اللغة العربية استمر استمراراً طبيعياً في الجاهلية بتأثير أسواق العرب، وفي الإسلام بفضل القرآن الكريم الذي حفظ لغتنا العربية ووحد لهجاتها... وعن هذا التطور نشأت ألفاظ متشابهة في المبنى وفي المعنى"².

ويضيف في موضع آخر أن السبب في كثير من ظواهر هذا الإبدال، يرجع إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمة، فمادة "كشط" كانت تنطقها قريش بالكاف، على حين أن أسداً وتيمماً كانت تنطقها بالقاف "كشط"³.

وما قيل عن الإبدال الذي يحدث بين الصوامت يقال كذلك عن الإبدال بين الصوائت الذي اصطلحنا عليه مصطلح "القلب"، كون التبدلات التي تصيب هذا النوع من الأصوات، مردّه الأول أيضاً إلى اختلاف اللهجات، وما نقلته المصادر القديمة يؤكد ذلك، نحو ما ذكره ابن فارس (ت395هـ) في صاحبه في "باب القول في اختلاف لغات العرب" فهو يقول: "واختلاف لغات العرب من وجوه أحدهما

¹ - من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة البيان العلمي، ط2، ص 58.

² - الإبدال في ضوء اللغات السامية، ص 99.

³ - المرجع نفسه، ص 102.

الاختلاف في الحركات¹ كقولنا: "نستعين ونستعين" بفتح النون وكسرها، قال الفراء: هي مفتوحة في لغة قريش وأسد وغيرهم يقولونها بالكسرة².

فالمعروف أن حرف المضارعة يُحرّك بالفتحة إلا إذا كان الماضي رباعيا فإنه يضم، لكن بعض القبائل كانت تجنح إلى تحريك حرف المضارعة بالكسر دائما.

ويذكر القدامى أن كسر حرف المضارعة هو ما يعرف بالثلاثة وينسبونها إلى بهراء، يقول ابن جني (ت392هـ): "وأما ثلاثة بهراء فإنها تقول: تعلمون وتفعلون بكسر أوائل الحروف"³.

وينسبها الاسترابادي (ت688هـ) إلى جميع العرب إلا أهل الحجاز، "واعلم أن جميع العرب إلا أهل الحجاز يُجوّزون كسر حرف المضارعة سوى الياء في الثلاثي المبني للفاعل، إذا كان الماضي على فَعَلْ بكسر العين فيقولون: أنا أعلم ونحن نعلم وأنت تعلم، وكذا في المثال والأجوف والناقص والمضاعف"⁴.

ومن أمثلة هذا القلب كذلك ما أورده ابن الأثير (ت1210) في غريب الحديث: "كأنك وهمت؟ قال: وكيف لا إيهم؟ فالأصل أوهم -بالفتح والواو- فكسر الهمزة لأن قوما من العرب يكسرون الفعل -بكسر العين- مثل: أعلم ونعلم وتعلم، فلما كسروا همزة أوهم انقلبت الواو ياء"⁵.

ومن الشواهد أيضا التي تؤكد أن القدامى تناولوا ظاهرة القلب وحسروا أسبابها في اختلاف اللهجات، كقلب ضمة الهاء في الغائب المتصل في المفرد والمثنى والجمع كسرة، وإن كان هذا القلب قد شاع مع ضمير الجمع بشكل مطلق، وعُزِّي إلى بني كلب فهم يقولون: منهم وعنهم في منهم وعنهم⁶،

¹ - الحركات عند المحدثين هي الصوائت أو المصوتات.

² - الصحابي، ابن فارس، ص 50.

³ - سر الصناعة، 235/1.

⁴ - النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق الزاوي والطناحي، القاهرة، ط1، 1383هـ، 234/5.

⁵ - نفسه، 243/5.

⁶ - ينظر: المقتضب، المبرد، للشيخ محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دط، 1963م، 38، 37/1.

لأن الحركة الأصلية لهذا الضمير هي الضم، وينسبها سيبويه (ت180هـ) إلى ربيعة، فهو يقول: إن قوما من ربيعة يقولون: "منهم" أتبعوها الكسرة... وهي لغة رديئة¹، وكانوا يسمون هذه الظاهرة "الوهم".

كذلك قلب فتح كاف الخطاب كسرا في الجمع عند فريق من العرب، فالمشهور أن جمهور العرب يضم كاف الخطاب للجمع مطلقا، لكن ربيعة وبكر بن وائل يكسرون هذه الكاف إذا سبقت بياء أو كسرة نحو: عليكم وبكم²، وسميت هذه الظاهرة بـ"الوكم"، والمبرد (ت826) يُعَدُّ ذلك غلط فاحش، فهو يقول: "وناس من بكر بن وائل يجزّون الكاف مجرى الهاء... وذلك غلط فاحش منهم"³.

ومما نقلته المصادر من قبيل أمثلة القلب بين المصوتات أن تميم تقول: مُرِيَّة⁴ وأهل الحجاز: مَرِيَّة⁵، تميم تقول: الرَفَع وأهل الحجاز: الرُفَع⁶، تميم تقول: تمام وأهل الحجاز: تَمَام⁷.

والملاحظ أن ظاهرة القلب التي تبدو واضحة في العربية الموحّدة قد امتدت إلى المصوتات الطوال (الألف والواو والياء) في حالة المد الخالص ونصف المد، فهناك قلب بين الواو والياء نحو قولهم: "حَكَّوت وحَكَّيت، مُقِيْتُ مَقَّوا⁸ ومُقِيْتُ مُقَيًّا، النَّثِي⁹ والنَّثُو، يقال: نَثَوْتُ ونَثَيْتُ، دَهِيَاء¹⁰ ودَهَوَاء، الحَزْو¹¹ والحَزِي، نَقَاوة ونَقَاية، عزوته وعزيتته، حَثَّوتُ¹² التراب حَثَّوا وحَثَّيته حَيْثًا، فهو حَثَّيٌّ وحَثَّو¹³".

¹ - الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، دط، 1991م، 4/136.

² - نفسه، 4/194.

³ - المقتضب، المبرد، 1/269-280.

⁴ - مرية ومرية: الشك.

⁵ - ينظر: المزهر، 2/286.

⁶ - ينظر: المخصص، ابن سيده، 5/76.

⁷ - ينظر: المزهر، 2/277.

⁸ - مقوت ومقيت: مقت ومقتا، وماقت الرجل: بغضه أشد البغض.

⁹ - الثني والثنو: الخير حث به وأشاعه.

¹⁰ - دهياء ودهواء: المصيبة الشديدة، الأمر الأعظم.

¹¹ - الحزو والحزوي: الشيء قدره وحممه، تكهن به.

¹² - حثوت وحثيت: إذا التراب صبه، الحثواء: الأرض الكثيرة التراب.

¹³ - الإبدال، أبي الطيب، 2/496-494.

وهناك قلب بين الألف والواو نحو: "أَجَادَ فِي كَلَامِهِ وَأَجْوَدَ، أَحَاشَ¹ عَلَى الصَّيْدِ أَحَاشَةً وَأَحْوَشَهُ أَحْوَشًا، أَي حَاشَهُ، وَقَدْ أَطَالَ حَمَائِلَ سَيْفِهِ وَأَطْوَاهَا، وَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ قَافَةٌ² وَقُوفُهُ جَمْعُ قَائِفٍ، يُقَالُ: قَدِ جَهَلْتُ الْمَرْأَةَ تَوْحَمًا³ وَتَاحَمًا⁴."

ومما رواه السيوطي (ت911هـ) من قبيل أمثلة القلب بين المصوتات الطوال وأنصاف الطوال، "أن تميم تقول: القُنُوة وأهل الحجاز: القِنِيَّة، تميم تقول: صَوْمٌ وَنَوْمٌ بِالْوَاوِ امْتِدَادًا لِلضَّمِّ، أَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: صَيِّمٌ وَنَيِّمٌ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ الْيَاءَ امْتِدَادٌ لِلْكَسْرِ، فَالْتَمِيمِيُّونَ يَقُولُونَ: اللَّذُونَ وَحَوْثٌ، أَمَّا الْحِجَازِيُّونَ: اللَّذِينَ وَحَيْثُ"⁵.

وقف المحدثون عند ظاهرة القلب، ووجدوا أن اللهجات العربية اختلفت في تردد هذه المصوتات فيما بينها، فما كان بالضم في لغة قد يكون بالكسر أو الفتح في لغة أخرى، أو ما كان بالضم في لهجة يرد مفتوحا أو مكسورا في لهجة أخرى.

واختلفوا في رؤيتهم إلى هذه الظاهرة، فهناك من الدارسين من علّق على حالات القلب أنها طائفة من الحالات "توضح أن أصوات المد في العربية لا تستقل فونيمياً بعضها عن البعض الآخر، ويبدو أن هذه الحالات كانت في الأصل صورا من نطق اللهجات العربية لمفردات بعينها كما هو واضح"⁶، ويضيف أن الاختلاف الأساسي بين هذه اللهجات إنما هو ميلها إلى أصوات مد بعينها، أو إلى طرائق معينة لتعامل هذه الأصوات في كل لهجة منها ... لكن هذا القلب لا يوضح طبيعة هذا التعامل بين

¹ - أحاش وأحوش الصيد: إذا جاء من حواله ليدفعه إلى الحباله.

² - قاف وقوف: الذي يتبع الآثار ويعرفها كالذي يعرف بفراسسته ونظره إلى أعضاء المولود.

³ - توحم وتاحم: إذا اشتهدت المرأة في حبلها شيئا.

⁴ - الإبدال، أبي الطيب، 520/2، 521.

⁵ - المزهر، 276/2.

⁶ - في الأصوات العربية (دراسة في أصوات المد العربية)، غالب فاضل المظلي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ط1، 1984م، ص161.

المصوتات في اللهجات العربية القديمة، ولا يعطي صورة واضحة لميل أي لهجة منها إلى صوت مد معين¹.

فمن المؤكد أن كثرة صور القلب إنما نشأت من جراء دخول مستويات اللهجات العربية القديمة في العربية الموحدة، غير أن مرده كثرة هذا القلب أختلف فيه، فرده البعض إلى عامل البيئة، أي أن الصيغة المشتملة على الضم تنتمي إلى بيئة بدوية، وأن المشتملة على الكسر تنتمي إلى بيئة حضرية²، وقريبا من هذا الرأي يقرر السامرائي "أن قبائل الحجاز المتحضرة تذهب إلى الألف وهو الفتح، وبين الفتح والضم تذهب إلى الفتح، وبين الكسر والضم تذهب إلى الكسر، بينما تميل لهجات القبائل البادية - وبخاصة في وسط شبه الجزيرة وشرقيها من العالية ونجد وتميم وأسد - إلى الصائت الأثقل (الكسر أو الضم)"³.

لكن ما الذي يحمل اللهجات على الاختلاف، ويجعل كل واحدة منها تميل نحو صوت يجعلها مميزة عن غيرها؟ وما الذي يجعل الصوت يتطور ويتحول ويصير في جميع سياقاته صوتا آخر؟

ب/ دواعي الإبدال والقلب:

لا شك أن هناك عوامل أخرى تنضوي تحت عاملي اختلاف اللهجات والتطور الصوتي، وكان لها دور كبير في حدوث ظاهرتي الإبدال والقلب وشيوعهما، فما هي هذه العوامل؟

1- اختلاف اللهجات:

من الثابت أن كل شيء في الوجود يخضع إلى حتمية التطور من جهة، وحتمية الزوال من جهة أخرى، واللغات الإنسانية تتباين في استجابتها لهذين العاملين، كما تختلف في مبلغ انتشارها "فمنها ما تتاح له فرصة مواتية فينتشر في مناطق واسعة من الأرض، ويتكلم به عدد كبير من الأمم الإنسانية كالعربية قديماً، ومنها ما تسد أمامه المسالك فيبقى عليه أن يظل حبيسا في منطقة ضيقة من الأرض

¹ - في الأصوات العربية، غالب فاضل المطلبي، ص 162.

² - ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأجلو المصرية، ط9، 1995م، ص 45.

³ - اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1420هـ، ص 146، 150.

وبين فئة قليلة من الناس، ومنها ما يكون وسطا بين هذا وذاك، فلا تتسع مناطقه كل السعة ولا تضيق كل الضيق"¹.

"والظاهر في قوانين اللغات أن أيا منها متى ساحت وانتشرت في بقاع واسعة من الأرض، وتكلم بها أجناس وطوائف مختلفة من الناس، عليها الاحتفاظ بوحدها وأنظمتها اللغوية الأولى أمدا طويلا، بل لا تلبث أن تتشعب وتنشطر إلى لهجات شتى، تسلك كل واحدة منها سبيلا أو نهجا يواتيها"².

اللغة العربية لم تنج من هذا القانون العام، فقد أخذت تتفرع منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض، وتختلف عن الأصل الأول الذي انتسلت منه في كثير من المظاهر الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، كما تميزت الرقعة الجغرافية التي انتشرت فيها بالشساعة وتنوع الأقاليم، وغلب على أهلها الترحال والتجوال.

فالجزيرة العربية كانت مسرحا كبيرا توزعت العرب في أرجائها، مشكلة قبائل شتى تمركزت بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، واختصت كل قبيلة أو جماعة متحدة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة خاصة، تتميز عن غيرها بسمات صوتية ونبرات خاصة تجعلها منفردة، إلى جانب بقائها مشتركة في بعض الأصول والأسس مع أخواتها، وإن اختلفت بعضها في كثير من المظاهر اللغوية.

ويمكن حصر مظاهر تغيّرات أو اختلافات لهجة اللغة الواحدة في³:

- تغيّرات لفظ المصوّت (الحركات).
- تغيّرات في لفظ الصوت الصامت.
- تغيّرات في المفردات من جهة المبنى والمعنى.
- تغيّرات في التركيب.

¹ - نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، عبد الواحد وافي، القاهرة، مطبعة العالم العربي، ص 107، 108.

² - علم اللغة، عبد الواحد وافي، القاهرة، دار النهضة، دط، ص 156.

³ - اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريجة، بيروت، دار الجيل، 1989م، ص 91.

ولا تعد الأصوات مظهر من مظاهر الاختلاف بين اللهجات، وعليه فإن أول ما يظهر من الفروقات بشكل سريع وواضح يكون في الأصوات التي كانت ثابتة على ألسنة ناطقيها بشكل معين قبل أن تنفصل عن اللغة الأم، ثم تميل إلى النورم¹ كما يسميه أحد المحدثين، وهو "الطابع أو النموذج العام أو القياس المشترك الذي تميل إليه كل لهجة بشكل عفوي، ويجعلها مميزة عن غيرها، أو هو خاصيات عامة مشتركة مألوفة يقبلها كل ناطق بتلك اللهجة"²، ولا نشك أنه أول ما يتجلى في هذا النورم هي الأصوات.

ويمكن إجمال الصفات الصوتية التي تجعل اللهجات تتميز فيما بينها³:

- الاختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض.

- الاختلاف في مخارج أو صفات بعض الأصوات اللغوية.

- الاختلاف في استعمال درجة الطول أو القصر للمصوتات.

- التباين في النغمة الموسيقية للكلام.

وليس من الضروري أن نلغي كل هذه الفروق في لهجة لغة من اللغات، بل قد يشهد بعض منها فقط، كما تتباعد اللهجات أو تتقارب على قدر اشتغالها على هذه الصفات المذكورة وشيوعها فيها.

مما سبق يتأكد لدينا أنه من الطبيعي أن يكون للغة العربية المشتركة لهجات تمثل صوراً نطقية تختلف من قبيلة إلى أخرى، ويعد سعة انتشارها السبب الرئيسي في ذلك، غير أن هذا السبب لا يؤدي إلى ذلك بشكل مباشر، بل هناك عوامل أخرى أدت إليه ومهدت الفرص لظهور لهجات مختلفة، يمكن إجمالها فيما يلي:

¹ - هناك نورم اللهجة الجزائرية التي لها خاصيات عامة مشتركة مألوفة يقبلها الجزائري، واللهجة التونسية نورم خاص وكذلك اللهجة المصرية، فإنك إذا سمعت جزائرياً أو تونسياً أو مصرياً يتكلم قلت حالاً هذا من الجزائر وهذا من تونس وذاك من مصر، لأن لكل لهجة نورمها الخاص، مثل النورم في اللهجات العربية القديمة لتميم وأسد وقظاعة ...

² - اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريجة، المرجع السابق، ص 87.

³ - المرجع نفسه.

1- العامل الجغرافي:

للطبيعة الجغرافية أثر في تباين اللهجات وتعددتها، "فإذا كان أصحاب اللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة، تختلف الطبيعة فيها من مكان إلى مكان، كأن توجد جبال أو وديان تفصل بقعة عن أخرى، بحيث ينشأ عن ذلك انعزال مجموعة من الناس عن مجموعة، فإن ذلك يؤدي مع الزمن إلى وجود لهجة تختلف عن لهجة ثانية تنتمي إلى نفس اللغة، والذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين يعيشون في بيئة صحراوية بادية"¹.

وإن صحت أقوال بعض الدارسين فإن مناخ البيئة الجغرافية يطبع اللغة بطابعه الخاص، "فسكان السهول يمتازون بسهولة الألفاظ ورقة المقاطع، وسكان الجبال يمتازون بخشونة اللفظ وقوة المقطع لحاجتهم الدائمة إلى عنصر القوة لصعود الجبال والعيش المنفرد فيها"²، إذن فمتى اختلفت البيئة الجغرافية اختلفت اللهجة.

2- العوامل الاجتماعية:

إن نظام المجتمع واختلاف طبقاته وتغير أحواله وظروفه كل ذلك يسبب لهجات مختلفة "بما يوجد بين طبقات الناس وفئاتهم من فروق في الثقافة والتربية، ومناحي الفكر والوجدان ومستوى المعيشة وحيات الأسر والتقاليد والعادات، وما تزاوله كل طبقة من أعمال وتضطلع به من وظائف، والآثار العميقة التي تتركها كل وظيفة ومهنة في عقلية المنشغلين بها، وحاجة أفراد كل طبقة إلى دقة التعبير وسرعته، وإنشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور التي يكثر ورودها في حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم"³، هذا لأن اللغة عموماً لا تتطور مستقلة عن أفراد الجماعة الذين يتكلمون ويفكرون بها، "وهي لا توجد خارج أهلها وجذورها متأصلة في عمق الفرد، حيث تستمد قوتها لتورق وتزدهر على شفاه الناس"⁴.

¹ - اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1420هـ، ص 43، 44.

² - الأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية، ماجد الصايغ، إشراف: عفيف دمشقية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1990م، ص14.

³ - نشأة اللغة بين الإنسان والطفل، عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 133.

⁴ - مقدمة كتاب اللغة كائن حي، جرجي زيدان، دار الهلال، ط2، ص 12.

3- عامل احتكاك لغة غيرها:

يعد الاحتكاك من أهم العوامل التي تؤدي إلى نشأة اللهجات، وهذا الاحتكاك يكون نتيجة غزو يؤدي إلى صراع لغوي "لأن اللغة عندما تدخل إلى بقعة جغرافية جديدة فإنها لا تدخل إلى فراغ لغوي، بل يجب أن يكون هناك قوم أو أقوام يتكلمون لغات مختلفة، وفي هذه الحالة يحدث واحد من أمرين: إما أن تتغلب لغة الغازي فتحتل المرتبة الأولى وتصبح لغة البلاد الرسمية، أو أن تتغلب لغة المغزوين وتبقى محافظة على سيادتها... وفي الحالتين يطرأ تغيير في اللغتين سواء أماتت الأولى أم انتصرت الثانية، ونتيجة هذا الصراع اللغوي تظهر في اللغة"¹، وفي التاريخ شواهد كثيرة على أثر الصراع اللغوي².

فاللهجات العربية التي انتشرت في البلاد الإسلامية بعد الفتح دليل عليه، فقد انتصرت العربية على القبطية في مصر بعد صراع دام ثلاث قرون، وانتصرت على الأمازيغية في شمال إفريقيا.

كما قد يكون هذا الاحتكاك نتيجة الاختلاط بين الشعوب لتحقيق المصالح الاجتماعية، فالإنسان مدني بطبعه وهو بحاجة إلى الاتصال بغيره لتبادل المنافع، "وبديهي أن ضرورة الاتصال تقتضي معرفة لغات الآخرين حتى يتم التفاهم وتوثيق الصلات، وهذا يؤدي إلى احتكاك اللغات بعضها ببعض"³، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى انحرافها (لغة الطرفين) لمحاولة الفرد إخضاعها لعاداته النطقية، فينالها الكثير من التحريف على ألسنة المتحدثين من الناطقين بها تحت تأثير لهجاتهم القديمة وأصواتها، وما درجوا عليه من عادات في النطق.

ج/ التطور الصوتي:

إن الألفاظ في صيرورتها عبر الزمن تتعرض إلى تغييرات شتى تخضع لمميزات الجيل الجديد، رغم حرص صنوة القديم على المحافظة عليها كما كانت جارية على ألسنتهم. وتعد التغييرات الصوتية أبرز هذه

¹ - اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريجة، بيروت، دار الجيل، 1989م، ص 89.

² - مثل الاحتكاك بين اللغة العربية واللغة الفارسية، الذي ظهر في المقتبسات من المفردات التي تدل على نوعية التفاعل، فكلاهما أخذ عن الآخر.

³ - ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطور، عبد الغفار حامد هلال، ط2، 1999م، ص 43.

التغيرات، لأن اللغة مع العموم تتألف من كلمات منسجمة الأصوات، ففي كل لغة "ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، فهي تُكوّن نظاما متجانسا مغلقا تنسجم أجزاؤها كلها فيما بينها، هذه هي أول قاعدة من قواعد الصوتيات، وهي ذات أهمية قصوى"¹، لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة بل من نظام من الأصوات.

فتوخي هذا الانسجام يؤدي بالضرورة إلى تغييرات صوتية تختلف باختلاف وضعية الناطقين والظروف المحيطة بهم، الفيزيولوجية والبيئية والاجتماعية والنفسية ... وعوامل أخرى. ويقتضي ذلك كله خلق أصوات جديدة تحتل فيما بعد مكانها بفعل الاستعمال الدائم لها مكان الصيغ القديمة.

فالتطور الصوتي إذن عامل أساسي ومباشر في نشأة الإبدال والقلب اللذين من دواعيهما في اللغة العربية ما يلي:

1- تفاعل الأصوات أو التغيرات التركيبية:

يتجلى في تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أثناء التأليف الصوتي، فقد يحدث في الكلام "أن تجتمع أصوات الانسجام فيما بينها، بحيث يشعر المتكلم بثقلها على لسانه، أو يجد عسرا في تحقيقها، فيهرب من ذلك بتبديل بعض الأصوات ببعض، أو بتعديل بعض صفات الأصوات لتوفير الانسجام"². وأهم قوانين تفاعلات الأصوات قانون المماثلة الذي يدعو صوتين مختلفين إلى التماثل أو التقارب، وقانون المخالفة الذي يدعو صوتين متماثلين إلى التخالف والتباعد، بالإضافة إلى القلب المكاني الذي يدعو صوتين من كلمة واحدة أن يتبادلا مكانيهما.

¹ - اللغة، فندريس جوزيف، تعريب الدواخلي والقصاص، مكتبة الأجلو مصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، دط، دت، ص50.

² - الوجيز في اللغة، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق، ط3، دت، ص 270.

أ- قانون المماثلة:

يحدث أن تختلف أصوات اللغة فيما بينها في المخارج أو الصفات، "فإذا اجتمع في الكلمة صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين، ويتصف كل منهما بصفة تناقض صفة الآخر، حدث بينهما شد وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو في بعضها"¹، عندئذ نقول: أنه حصل تماثل بين الصوتين، نحو تأثر تاء الافتعال دائما بالبدال أو بالطاء قبلها، فتقلب دالاً أو طاءً نحو:

ادتكر ← ادكر

اطلب ← اطلب.

ب- قانون المخالفة:

يسببه التقاء صوتين من جنس واحد متمثلين تماما، "ولكن المتكلم يجد في تحقيقهما العسر والمشقة نفسيهما، اللذين وجدتهما في تحقيق الصوتين المختلفين محبسا وصفاتا، فيسعى إلى التخلص من هذا العسر وتلك المشقة، بأن يبدل من أحدهما صوتا آخر يختلف عنه في صفاته"²، فهذا القانون عكس تماما قانون المماثلة، "لأن الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينة أو لصيقة"³.

وتحدث هذه المغايرة في الكلمة المشتملة على التضعيف، فيقلب أحدهما إلى صوت آخر ل تتم المخالفة بين الصوتين المتمثلين"⁴، وفي الغالب يكون هذا الصوت هو ياء المد كالأمثلة التي أوردتها سيبويه (ت181هـ) نحو: "قضيت وقصيت في قضت وقصت"⁵، أو من الأصوات المسماة

¹ - التطور اللغوي علله وقوانينه ومظاهره، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1983م، ص22.

² - ينظر: الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق، ط3، دت، ص273.

³ - الخصائص، ابن جني، حققه محمد علي النجار، بيروت لبنان، دار الهدى للطباعة والنشر، دت، 140/2.

⁴ - ينظر: أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة، دت، 1983م، ص147.

⁵ - الكتاب، سيبويه، طبعة بولاق، 1317هـ، 401/2.

بالأصوات المائعة (Liquides) وهي: اللام والميم والنون والراء نحو: "جندل¹ في جدل، وعنكب² في عكب"³.

ج/- القلب المكاني:

هو العملية التي يتم فيها إبدال موقع الأصوات في الكلمة، فيتغير تركيبها بتغيير أصواتها المقدّمة أو المؤخّرة على السواء مع حفاظ الكلمة على معناها⁴، وقد عرف العرب هذه العملية وسمّوها القلب، يقول ابن فارس (ت395هـ): "من سنن العرب القلب في الكلمة ... كجذب وجذب، ضب وبض، بكل ولبك، طمس وطسم"⁵، ونحو قول الشاعر⁶:

وكل خليل راءني فهو قائل من أجل هذا هامة اليوم أو غد⁷

في هذا يقول سيبويه: "إنما أراد "راءني" ولكنه قلب وإن شئت راءني"⁸.

وقد عرفت اللهجات العربية القديمة القلب المكاني، فهذا الشاعر ابن أحمر وهو شاعر ينتمي إلى قبيلة باهلة يقول⁹:

ومنحتها قولي على عرضيّة عُلطُ أداري ضغنها بتودد

يلقب ابن فارس على هذا البيت قائلاً: "عُلطُ وإنما ذلك مقلوب، والأصل عُطُلُ وهي المرأة التي لا حلي لها"¹.

¹ - جندل وجدل: الواحدة جندلة، جمع جنادل: الصخر العظيم.

² - عنكب وعكب: دخان النار.

³ - في الأصوات العربية (دراسة في أصوات المد العربية)، غالب فاضل المطلبي، ص 283.

⁴ - ينظر: الوجيز في فقه اللغة، ص 274. واللهجات العربية في التراث، 647/2.

⁵ - ينظر: فقه اللغة وأسرار العربية، أبي منصور الثعالبي (ت430هـ)، ص 247.

⁶ - الكتاب، سيبويه، 467/3.

⁷ - هامة اليوم أو غد: سيموت اليوم أو غدا، وذلك من تأثير الشوق والحزن فيه، والهامة: طائر يخرج من رأس الميت كما تزعم العرب، ينظر لسان العرب، مادة (هوم).

⁸ - الكتاب، 468/3.

⁹ - ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م، 125/4.

تعد هذه القوانين: المماثلة والمخالفة، والقلب المكاني، من القوانين الأساسية التي تحكم سلوك الأصوات في اللغة عامة، وتختلف اللغات في توظيفها أو الخضوع إليها أثناء كلامها، أما اللغة العربية فهي تجنح لها كلها.

هذه التغيرات التركيبية أو لتأثيرات التي تصيب الأصوات من حيث الصلات التي تربط بعضها ببعض في نسيج لغوي كالكلمة، وتؤدي إلى إبدال الأصوات، لا تحدث بين الأصوات الصامتة فحسب بل يتعداها إلى الصائتة، مما يؤدي إلى قلبها.

فالمصوتات أيضا يتأثر بعضها ببعض في حالة التأليف الصوتي، فتجنح إلى شيء من المماثلة أو المشابهة لتحقيق "الانسجام المدي الذي يفسر أنه جنوح أصوات المد المتجاورة في الكلام إلى الانسجام فيما بينها، حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر، إلى الفتح أو العكس في أثناء الأداء تسهيلاً"².

وعرف اللغويون العرب القدامى هذا القانون وسموه "التناسب"³ أو "المشاكله"⁴، وهناك نوعان من التأثير الناتج عن قانون المماثلة:

- 1- تأثير رجعي (Régressive): يتأثر الصوت الأول بالثاني⁵ نحو تأثر الضمة في بعض القراءات القرآنية في ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ بالكسر، فتتقلب هي أيضا إلى الكسر ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾⁶.
- 2- تأثير تقدمي (Progressive): ويتأثر فيه الصوت الثاني بالصوت الأول⁷ نحو تحول: به وعليه في العربية إلى به وعليه¹.

¹ - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 125/4.

² - المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، محمد رشاد الحمزاوي، ص 75.

³ - شرح المفصل، ابن يعيش، طبعة المنبرية، دط، دت، ص 1258.

⁴ - نفسه، ص 1265.

⁵ - المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية (معجم عربي أعجمي وأعجمي عربي)، محمد رشاد الحمزاوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص 22.

⁶ - في الأصوات العربية، غالب فاضل المطلبي، ص 51.

⁷ - المصطلحات اللغوية الحديثة، ص 22.

كما نجد المصوتات أيضا تجنح إلى المخالفة التي هي جنوح أحد المصوتين المتماثلين في الكلمة إلى أن ينقلب إلى صوت مغاير²، فهي تعديل في الصوت الموجود بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين³.

ومن أمثلتها في العربية المخالفة بين حركتي الفتح المتتاليين إذا كانت الأولى منهما طويلة، إذ تتحول الثانية منهما في هذه الحالة إلى الكسرة، فالأصل في نون المثني هو الفتح كما يؤكد ذلك ابن مالك في قوله: "ومثال فتح نون المثني قول حميد بن ثور⁴:

على أحوذِيَّين استقلَّت عشيَّةً فما هي إلا لمحَّة وتغيَّبُ

ويزيد في التأكيد على أن الأصل هو الفتح فيقول: "أنشده الفراء بالفتح وليس موضع ضرورة"⁵، أي ليس موضع الفتح في هذا البيت ضرورة شعرية يقتضيها، فالفتح في نون المثني قُلب كسرا تبعا لقانون المخالفة.

2- التغيرات التاريخية:

وهي تلك التغيرات التي تحدث من "التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتا آخر"⁶، فهي تغيرات مطلقة، بمعنى إذا أصابت صوتا ما فإنها لا تصيبه في سياق دون غيره، بل تصيبه في كل أحواله، وذلك مثل التغيرات التاريخية التي طرأت على صوت "القاف" في البلاد العربية، فهو في كلام كثير من أهل مصر والشام همزة، كما ينطق في السودان وجنوبي العراق غينا، وعمامة الجنوب الجزائري يعكسون، فيبدلون الغين قافا... وكذلك التغيرات التي طرأت على الثاء والذال والطاء

¹ - الكتاب، 2/293، 294.

² - ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 139.

³ - ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، توزيع عالم الكتب، ط3، 1985م، ص 330.

⁴ - ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تح محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، 1387هـ/1967م، ص12.

⁵ - نفسه.

⁶ - التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص 22.

اللواتي أصابهن التبدل في اللهجات الحديثة، إن لم نقل اختفين كلياً من جميع تراكيب اللغة، وحلت محلهن أصوات أخرى هي التاء والسين والذال والزاي¹.

وليست للتغيرات التاريخية للأصوات قوانين تحكمها، ولا يمكن أن ندرك كيف يتم هذا التغير أو التطور؟ وما هو الشكل الذي سوف ينتهي إليه؟ لأن الأصوات تتعرض لذلك أثناء صيرورتها عبر الزمن وعلى امتداد الأجيال، ونتيجة عوامل كثيرة ومتداخلة يمكن أن نلخص أهمها فيما يلي:

أ- العوامل النفسية:

قد يكون لها تأثير بالغ الأهمية في تغيير الأصوات إذا صحت أقوال بعض الدارسين، فقد نصّ أحدهم أن إصدار الأصوات بحسب الحالة النفسية التي تكون عليها الشعوب، فهي تميل إلى الأصوات الرخوة إذا كانت تعيش الاستقرار، وأن الشعوب التي تعتزّ بالقوة والجبروت تميل إلى الشدة²، لكن من المؤكد أن للكيان النفسي تأثير في اللغة ولا سيما النبرة الصوتية، فشتان بين نبرة الهدوء ونبرة الانفعال، فكل حركة خاصة انفعالية أو هادئة تعبير خاص ينسجم والحالة النفسية للمتكلم، التي تظهر جلياً في رنين الصوت من حيث علوه أو عدمه.

ب- عامل السهولة واليسير:

يميل المتكلم في نطقه لأصوات لغته إلى التخلص من الأصوات العسيرة واستبدالها بأخرى سهلة لا تتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً، ويلتمس أيسر السبل لإبراز المعاني، وهناك من الدارسين من يرى "أن كل ما نكتشفه من تطور في اللغة يؤكد نزعة اللغات إلى توفير الجهود الذي يبذل في النطق، وأن هناك استعداداً للاستغناء عن أجزاء الكلمات التي لا يضر الاستغناء عنها بدلالاتها"³، ومما ينطبق عليه هذا الرأي ظاهرة

¹ - وهذا يوضح تحول الأصوات في اللهجات المشرقية والمغربية من حيث الشدة والرخاوة، ففي منطقة أولف بإقليم توات بالجزائر فينطقون التاء سينا، أما منطقة زاوية كنتة وعين زهير فينطقون الذال زايا ...

² - ينظر: الوجيز في فقه اللغة، ص 279.

³ - اللغة والتطور، عبد الرحمن أيوب، ص 32.

الهمز في اللغة العربية، ومحاولة بعض القبائل العربية القديمة التخلص منه، كما تخلصت منه معظم اللهجات العربية الحديثة، لأن صوت الهمز عسير النطق.

ج/- عامل أعضاء النطق:

قد يكون سبب هذا التطور الصوتي، أي تغير الأصوات من جيل إلى جيل راجعا إلى أعضاء النطق "التي تختلف درجة مرونتها باختلاف البيئات والأزمنة"¹، أي أن أعضاء النطق تختلف عما كانت عليه في الجيل السابق من حيث استعدادها للنطق وتبعاً للبيئة التي تنمو فيها، وأي تغيير في الاستعدادات النطقية لأعضاء التصويت في بيئة معينة يحدث تغييراً في الأصوات، يقول علي عبد الواحد وافي: "إن البيئة الفيزيولوجية للإنسان تتطلب نمواً مطّرداً لأعضائها، وفي استعدادها ومنهج أدائها لوظائفها"²، وبالتالي تحيد الأصوات في حالة نطقها عن الصورة الأولى إلى صورة أكثر ملائمة مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق وثبتت عليها.

وعلى هذا الأساس يرى بعض الدارسين أنه "من تعود على نطق لفظة بصيغة معينة لا يمكنه في أي حال من الأحوال أن يصرف نطقه إلى صيغة أخرى"³، أي الذي فُطر على أصوات معينة لا يمكن أن ينصرف عنها، فالذي يقول: "مدحه" لا يمكن أن ينطق لسانه فيقول: "مدهه" والعكس صحيح"⁴، والذي تعود على نطق "به" بالكسر لا يمكن أن ينطق لسانه ويقول: "به" بالضم ... هذا لأن "النظام الصوتي يستقر منذ الطفولة ويستمر طول الحياة، فالإنسان يحتفظ حتى آخر حياته بمجموعة الحركات التي تعودت عليها أعضاؤه الصوتية منذ طفولته"⁵.

¹ - اللغة والتطور، عبد الرحمن أيوب، ص 32.

² - علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، مصر، دار النهضة للطبع والنشر، ط7، ص 286.

³ - التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السمراي، ص 108.

⁴ - نفسه.

⁵ - التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص 11.

د- عامل الذبوع والشيوع:

يرى بعض الدارسين أن من بين الأسباب التي تؤدي إلى إبدال الأصوات وقلبها "ميل اللغة أو اللهجة إلى الإكثار من تردد صوت بعينه، وأن الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال، ويكثر ورودها في الكلمات تكون أكثر تعرضاً للطور من غيرها"¹، والأصوات الأكثر تداولاً هي المصوتات الأصوات الشبيهة بها، وهي المسماة بالأصوات المائعة (اللام والنون والميم)، ورأينا ذلك في كثير من مفردات العربية، إذ أن الكلمة ترد بالضم وأخرى بالكسر وثالثة بالفتح من غير أن يؤثر ذلك في المعنى، ورأينا أيضاً كيف أن قانون المخالفة الذي يعتمد على صوتين متماثلين تماماً في كلمة، فيغيّر أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من المصوتات الطويلة أو من الأصوات المائعة² التي تعدّ من أكثر الأصوات شيوعاً في اللغة السامية.

إن عوامل التطور التي تخضع لها الأصوات اللغوية كثيرة ولا يمكن أن نلّم بها جميعاً أو نقف عند كل واحدة منها بشكل مستفيض، فقد اكتفينا فقط بذكر العوامل التي كانت لها يد بأي شكل من الأشكال وأثر في ظهور الإبدال والقلب، وأنهم أكثر العوامل أهمية في ذلك من غيرها، بالإضافة إلى تلك العوامل والأسباب التي من أجلها يحدث الإبدال والقلب، هناك عوامل أخرى يصعب الجزم في تصنيفها ضمن عوامل التطور الصوتي، أم يمكن عدّها دوافع قوية وعوامل فعالة تؤدي بشكل مباشر إلى خلق الإبدال والقلب.

وأول هذه العوامل نذكر **التصحيف** الذي يعد من الأسباب القوية في حدوث الإبدال خاصة، وينقسم بدوره إلى تصحيف الخط وتصحيف السمع.

فالأول يكون نتيجة الخلط بين الحروف المتشابهة في الرسم، ونجده مستفحلاً لدى نساخ المعاجم من نحو "الكرب والكرت"³، "الدبر والدثر"¹، رغات² ورغاب³... أما تصحيف السمع فيأتي من الخلط

¹ - في الأصوات العربية - دراسة في أصوات المد العربية، غالب فاضل، ص 55.

² - ينظر: التطور اللغوي مظهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص 37.

³ - الكرت: كرتة الأمر يكرته وأكرته ساءه واشتد عليه وبلغ منه المشقة، ينظر: لسان العرب، مادة (كرت). والكرب: الحزن والغم الذي يأخذ النفوس.

في نطق الأصوات المتقاربة في المخارج والصفات، وذلك مثل قولهم: "لا بَلْ ولا بَنْ"، وقالوا: "قام زيد فُمَ عمر كقولك ثم عمر" ... هذا وإن كان بدلا فإنه ضربٌ من التحريف"⁴.

هذه التغيرات الصوتية التي تنتج أخطاء السمع غالبا ما تبدأ من الطفل الذي يكتسب لغته عن طريق المحيطين به، بتقليده لهم فيما يسمعه منهم، معتمدا في ذلك على حاسة السمع، "ولما كانت هذه الحاسة عرضة للزلل في إدراكها للأصوات ولا سيما تلك الأصوات المتقاربة في المخارج، كان من الطبيعي أن يجانب الطفل السداد في بعض ما ينطق به محاكيا من حوله"⁵، وبعد انتهاء مرحلة التقليد سوف يستقر النظام الخاص به ويستمر طول حياته، وإلى هذا السبب -وهو الخطأ السمعي- يرجع في نظر بعض الدارسين المحدثين معظم النماذج التي صنفتها ضمن ظاهرة الإبدال، كالفصل الذي عقده "القبالي" في كتابه "الأمالي"، في الإبدال بين الفاء والثاء نحو: "جذف وحدث" للقبر، "الحثالة والحفالة" للردية من كل شيء، "الفناء والثناء" لفناء الدار، "الفوم والثوم"⁶.

وقد عد بعض القدامى من اللغويين العرب هذه الأمثلة وما شابهها من المترادفات، وهي في الواقع - كما يرى بعض المحدثين - "ليست من الترادف بمعناه الحديث في شيء بل نشأت من الأخطاء السمعية لشدة تقارب هذه الأصوات، وعدم وضوح الفرق بينها في السمع تماما"⁷، وحتى من القدامى نجد من يرفض هذا الترادف المزعوم، فابن جني لا يرى أن "الفوم" هنا يعني "الثوم" وبالتالي لا إبدال بينهما، فهو يقول:

¹ - الدثر: الدروس، اندثر: قَدَّمَ ودرس، ينظر: لسان العرب، مادة (دثر). والدبر: نقيض القبل، ودبر كل شيء: عقبه ومؤخره.

² - رغاث: جمع مُرْغُثٍ وَرَغُوث: وهي المرأة المرضع، ينظر: لسان العرب، مادة (رغث). ورغاب: يقال أرض رغاب، أي الأرض اللينة، ينظر: لسان العرب، مادة (رغب).

³ - المزهر، 537/1.

⁴ - نفسه.

⁵ - علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، مصر، دار النهضة للطبع والنشر، ط7، ص 296.

⁶ - الأمالي، أبو علي القبالي، القاهرة، ط3، 1926م، 63/2.

⁷ - التطور اللغوي عله وقوانينه ومظاهره، رمضان عبد التواب، ص 109.

"وذهب أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿فَوْمَهَا﴾¹ إلى أنه أراد الثوم، فالفاء على هذا بدل -عنده- من الثاء، والصواب عندنا أن الفوم الحنطة وما يختبز من الحبوب، يقال: فَوِّمَتِ الخبز: أي خبزته، وليست الفاء على هذا بدلا من الثاء"².

ثم يأتي الاشتقاق الذي يفسر الكثير من الحالات التي أدخلها بعضهم ضمن الإبدال، إذ تبدو بعض الكلمات مشتركة في جميع الأصوات إلا في واحد منها، ويكون مرد هذا الاختلاف إلى الاشتقاق وحده دون الإبدال-والمقصود هنا الاشتقاق الأكبر- والفرق بينهما يبدو واضحا، "فالإبدال أن يكون بين اللفظين تناسب في المعنى ومخارج الحروف المختلفة، مثل: "نعق ونهق" فالمعنى متقارب، إذ هو في كل منهما الصوت المستكره، وليس بينهما تناسب في اللفظ، لأن في كل من الكلمتين حرفا لا يوجد نظيره في الآخر، غير أنهما متناسبان في المخرج، لكن لا بد من التأكد أن هذا الرأي لا نسلم به إلا إذا ظهر التغيير عند فرد دون سواه، ففي هذه الحالة فقط نقول أنه لا يمت إلى الإبدال بصلة، وإنما هما من عيوب النطق، أما إذا ظهر هذا التغيير على ألسنة جماعة من المتكلمين فهو إذن من قبيل الإبدال.

ويمكن أن تكون بعض هذه الآراء التي عرضناها عند طائفة من الدارسين القدامى والمحدثين أساسا صحيحا لتفسير ظاهري الإبدال والقلب، ولكي نلمس مدى صحتها وسلامة اتجاهها، نحاول استقراءها في اللهجات الحديثة، ولتكن لهجة إقليم توات وذلك من خلال تتبع أهم التبدلات التي لحقت بمصطلحاتها المنطوقة، واستقرت على ألسنة متكلميها، موضحين صور الإبدال والقلب في ألفاظها.

¹ - سورة البقرة، من الآية 61.

² - سر الصناعة، 251/1.

المبحث الثاني: الجانب المعجمي في لهجة توات:

*اللهجة التواتية في مستوياتها الافرادية:

إن أول ما يمكن أن يقف عليه أي دارس لهذه اللهجة التواتية هو شدة الصلة بينها وبين اللغة العربية الفصحى إلى الدرجة التي تجعلك أحيانا تقف معها -استعمالا- على بعض التعبيرات والصيغ الفصيحة والمتجذرة في لغتنا العربية، والتي غابت عن الاستعمال طوعا أو كرها عن لغتنا الفصحى ومن ثم صح اعتبار هذه اللهجة وفي كثير من مفرداتها عبارة عن فصحي محرفة ليس إلا، وهذا التحريف موزع على مستويات عدة أهمها: القواعد والبنىات والحركات والحروف، وهو ما سنقف عنده دراسة وتوضيحا.

أ/ مستوى القواعد: ويشمل التغيير ما يأتي:

01/ في صيغ الأفعال مثل (دخل يدخلُ وخرج يخرجُ وسمع يسمعُ) وهذا كله بتسكين الحرف الأخير وفتح العين في المضارع بدل ضمها. وقد نجد لهذا مصوغا فيما قالته العرب قديما حيث ذكر سيبويه أنه "قد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع والمجرور في الشعر... قال الراجز:

إذا اعوججن قلت صاحب قوم بالدو أمثال السفين العموم

وكقول امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب إنما من الله ولا واغل¹

والشاهد في البيتين هو تسكين الباء في "صاحب" في البيت الأول وتسكينها كذلك في "أشرب" في البيت الثاني.

أما في مشتقات الأفعال فإن العامة تشتق على وزن صيغة (تفعلل) عديد الأفعال الدالة على معنى الفعل وذلك في مثل قولهم: (تشيطن) المأخوذة من اسم الشيطان والدالة على فعله. والفعل (تفرعن)

¹ ينظر: اللهجة التواتية الجزائرية معجمها بلاغتها أمثالها وحكمها عيون أشعارها، أحمد جعفري، 19/1.

والمشتقة من فرعون والدالة على فعله. والفعل (تعنتر) المأخوذة من اسم عنتر والدالة على معنى شجاعة وبطولة عنتر. والفعل تقرطس المأخوذ من اسم القرطاسية إذا لبس الرجل قرطاسيته.

وما يقال عن صيغة (تفعلل) يقال عن صيغة (تمفعل) التي تشتق منها العامة أفعالاً كثيرة أيضاً، وذلك مثل قولهم (تمسخر) من السخرية، و(تمخطر) من التمخطر الذي هو التبخر بإبدال بعض حروفه. و(تمرد) من المرمدة وهي المشقة والعناء. و(تهبل) من الهبل، وما إلى ذلك.

02/ كسر حرف المضارعة: وحرف المضارعة لا يكون إلا مفتوحاً أو مضموماً إذا كان ماضيهِ رباعي. غير أن العامة تكسره ويقولون: يشرب، يخرج، يدخل. "وكسر حرف المضارعة ليس لحنا بل هو لهجة من لهجات العرب سماها اللغويون تلتلة بهراء، وقد ذكرها ابن جني في الخصائص"¹.

03/ حذف نون الرفع في مثل (يدخلون، يخرجون، يأكلون، يشربون) فهم يقولون: يدخلوا يخرجوا يأكلوا يشربوا مع فتح الفاء وتسكين العين. وإن كان هذا الكلام قد ثبت في كلام العرب².

04/ تسهيل الهمز: وهذا في مثل قولهم (جيت، مومن، بير، قرا...) ³.

05/ في اسم الفاعل: يأتون باسم الفاعل من المعتل على الأصل ودون إبدال ففي باع يقولون: بايع بدل بائع، وفي سأل سايل بدل سائل وفي صام صائم بدل صائم، وكلها اشتقاقات صحيحة. كما نراهم يدخلون عليه نون الوقاية، ومعلوم أن هذه النون تدخل في العربية لتقي الفعل من الكسر نقول: ساحني عذبني خاصمني لكنهم يقولون: مساحني معذبني خاصمني، والسبب كما هو ظاهر أنهم سكنوا (اللام) التقى ساكنان ففرقوا بينهم بهذه النون. وقد ذكر ابن هاشم⁴ أنه يجوز أن تلحق هذه النون اسم الفاعل أيضاً تشبيهاً له بالفعل كما في قول الشاعر:

¹ - العامة في ثياب الفصحى، سليمان محمد سليمان، مكتبة العربي، القاهرة، ط1، 2003م، ص 73.

² - ينظر: تحريفات العامة للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ص 31.

³ - اللهجة التواتية الجزائرية، 20/1.

⁴ - ينظر: مغني اللبيب، تحقيق حنا الفاخوري، ط2، 1997م، 557/1.

فما أدري وكل الظن ظني أمسلمني إلى قومي شراحي

06/ في الأسماء الخمسة: لا تلتزم العامة هنا بقاعدة هذه الأسماء بل تأتي بها مرفوعة في كل الحالات مثل: مشى خوه، ضربت، كتاب خوه.

07/ في أسماء الإشارة: يدلون الذال دالا يقولون: داك الرجل وقد يلحقون الهاء أيضا هداك الرجل.

08/ في الاسم الموصول: تعوض الأسماء الموصولة (الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي وغيرها) بلفظ "اللي"، وحينما ننظر إلى تركيبه هذا اللفظ نجده يأخذ القسم الأول من تلك الأسماء "ال" بالإضافة إلى الحرف الأخير أحيانا. وقال الكوفيون: أن الألف واللام قد تقام مقام (الذي) لكثرة الاستعمال طلبا للتخفيف، قال الفرزدق:

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

أراد (الذي ترضى)¹.

09/ في التصغير: يعرف التصغير اصطلاحا على أنه: " هو التغيير الذي يطرأ على بنية الكلمة يجعلها على وزن فُعَيْل"². يتم بنفس طريقة العربية تقريبا لكن بفتح الأول أو تسكينه لا ضممه، وفتح ما قبل الآخر (عمير، حميد، خويرة، بنيّة) وفي المركبات يصغرون الجزء الأول فقط أيضا (عبيد الله، عبيد الكريم) وقد يستغنون عن الجزء الأول ويصغرون الجزء الثاني (قويدر) كما أنهم يرخمون المضاف بحذف آخر المضاف إليه على رأي الكوفيين³ فيقولون في (يا عبد القادر): (يا عبد القا). وحينما ينحتون من المركب لفظا يصغرونه عاديا أيضا كما في قولهم: (عبد الله، علله، عليه).

10/ زيادة الشين بعد النفي بما: فيقولون ما كانش، ما نخرجش، ما ندخلش، ما نمشيش. وأصل هذا التركيب مكون من "ما" النافية زائد الفعل الناقص "كان" ثم أخيرا لفظ "شيء" الدال على العموم. وقد

¹ - ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، تح إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، 1/55-56.

² - المعجم المفصل في علم الصرف، راجي الأسمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص 177.

³ - ينظر الإنصاف، 1/323، 324.

يكون أصل هذه الزيادة الزيادة الموجودة في لغة الضاد والتي تسمى كشكشة ربعة إحدى قبائل نجد العربية.

ب/ مستوى بنية الكلمات:

وفيها تغير العامة هيئة كثير من الكلمات زيادة أو نقصان ومن أمثلة ذلك:

- جلائية: من جلباب وهذا بإبدال الباء الأولى لاما وإدغامها، وإضافة ياء مشددة وهاء السكت.

- خزنة: من خزانة بحذف الألف وتسكين الزاي.

- دواية: من دواة بزيادة الياء.

- كورة: من كرة بزيادة الواو.

وإلى هذا تتميز اللهجة التواتية كغيرها من اللهجات بعديد الظواهر اللغوية والتي لم تخرج فيها من ضوابط هذه الظواهر، بل سارت على نفس خطى العربية في التعامل مع كل ذلك وهذا أهم ما وقفنا عليه من الظواهر اللغوية في هذه اللهجة:

01/ ظاهرة الإبدال: الإبدال في الاصطلاح اللغوي هو: "وضع حرف مكان حرف، وقد يكون الحرفان حرفي علة نحو خاف أصلها خوف، وقد يكونان صحيحين نحو اصطبر أصلها اصتبر، وقد يكونان مختلفين نحو اتصل أصلها أوتصل"¹. وقد اعتبر ابن فارس² أن من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض. ومثال هذا كله عندهم كثير نذكر منه:

- إبدال الهمزة عينا في قولهم: قرعان بدلا من قرآن.

- إبدال التاء طاء: مثل اصنط بدلا من اصنت.

¹ - المعجم المفصل في علم الصرف، ص 19.

² - ينظر: الصاحي في فقه اللغة العربية، أحمد بن فارس، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م، ص209.

- إبدال الثاء تاء: وهو عندهم كثير مثل تقيل بدلا من ثقيل.
- إبدال الدال ضاء: مثل ضارك بدلا من دارك، وضارت بدلا من دارت.
- إبدال الدال تاء: مثل الزغاريت بدلا من الزغاريد.
- إبدال الذال دالا أو زايا: لأن الذال لا تنطقه العامة هنا البتة فهم يقولون: أدن وأزن، إداعة وإزاعة، اللذين واللذين. وهذا الأمر ينطبق هنا حتى عند الناطقين بالفصحى من أبناء المنطقة¹.
- إبدال السين زايا: مثل الزعف بدل السعف.
- إبدال السين شينا: مثل السمش بدلا من الشمس (الحرف الأول)، وشلخ بدلا من سلخ.
- إبدال السين صادًا: مثل قارس بدلا من قارص، والصبخة بدلا من السبخة، وصورة بدلا من سورة.
- إبدال الشين تاء: مثل قولهم: التاي بدلا من الشاي.
- إبدال الشين سينا: مثل السمش بدلا من الشمس.
- إبدال الصاد سينا: مثل الصومعة بدلا من الصومعة.
- إبدال الضاد دالا: في مثل قولهم: مدغ بدلا من مضغ.
- إبدال الطاء تاء: مثل بتيخ بدلا من بطيخ.
- إبدال الطاء ضاد: مثل قولهم: الحفض، الحنضل، الضفر، الضهر، وهذا الإبدال أيضا مطرد في العربية وقد ألفت فيه منظومات للفرقة بين الحرفين.
- إبدال العين غينا: في مثل قولهم: عامق بدلا من غامق، وغطس بدلا من عطس.
- إبدال العين هاء: مثل نحق بدلا من نعق.

¹ - ينظر: اللهجة التونسية الجزائرية، 23/1.

- إبدال القاف ثاقفاً بثلاثة نقاط وهذا عندهم كثير مثل: وقف، قرب، قالوا. وعن هذا الحرف القاف بثلاثة نقاط واستعمالاته يقول الطيب البكوش: قد يكون في النطق القديم شبيهاً بالقاف (الثلاثية) وهي تقريباً قاف البدو أو جيم مصر، فنحن نلاحظ أن البدو وهم أكثر قرباً من النطق القديم يستعملون القاف (بثلاثة نقاط) حيث يستعمل أهل المدن والحوضر القاف¹.

- إبدال اللام نونا: مثل جبرين بدلا من جبريل، وإسماعين بدلا من إسماعيل.

- إبدال الميم نونا: مثل فاطنة بدلا من فاطمة.

- إبدال النون ميما: مثل عمبة بدلا من عنبة.

- إبدال الهاء ياء: مثل الفاكية بدلا من الفاكية.

ويضيف الأستاذ جعفري عن إبدال الحركات الكثير الذي لا يمكن حصره.

02/ ظاهرة القلب المكاني:

القلب المكاني في الاصطلاح هو: "تبديل بعض حروف الكلمة على طريقة القلب اللغوي، أو تبديل موقع حرفين من الكلمة لضرورة صرفية... وهو قسمان: قلب مكاني صرفي وقلب مكاني لغوي"²، وقد عرف القلب المكاني الصرفي اصطلاحاً على أنه: تبديل موقع حرفين من الكلمة لضرورة صرفية أو لفظية وأكثر ما يكون في المعتل والمهموز نحو: (أبآر) التي أصبحت (آبار)³. وأما القلب اللغوي اصطلاحاً فهو: "أن يشتق من كلمة كلمة أخرى أو أكثر وذلك بتقديم بعض الحروف على بعض بدون زيادة أو نقصان بشرط أن يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى نحو: (جذب وجذب)⁴. ولقد زاوجت

¹ - ينظر: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط2، 1987م، ص42.

² - المعجم المفصل في علم الصرف، ص579.

³ - المصدر نفسه، ص337.

⁴ - المصدر نفسه، ص336.

اللهجة التواتية في معجمها بين النوعين معا وجاءت بذلك حافلة بشتى أنواع القلب من ذلك تمثيلا لا حصرا:

- جبد بدلا من جذب (وفيها إبدال بين الذال والدادل).

- تصنت بدلا من تنصت.

- تكسع بدلا من تسكع.

- جاه بدلا من وجه.

- جوّز بدلا من زوّج.

- خلبط بدلا من لخبط.

- دكس بدلا من كدس.

- صقف بدلا من صقف.

- عفر بدلا من رعف.

- قضب بدلا من قبض.

- يتنوس بدلا من يتونس.

- ماسط بدلا من سامط.

- نكس بدلا من كنس.

وفي كل هذا - كما قال الدكتور عبده الراجحي - "يبقى أمر القلب المكاني ليس منكورا باعتباره ظاهرة لغوية، غير أنه كما قال يحتاج إلى دراسة ميدانية منهجية ومعمقة"¹.

03/ ظاهرة الإعلال:

الإعلال في الاصطلاح هو تغيير يطرأ على أحد حروف العلة (ا، و، ي) وما يلحق بها (الهمزة) وذلك للتخفيف، ويكون ذلك إما بالحذف نحو "قم" أصلها "قوم"، أو بالقلب نحو "قال" أصلها "قول"، أو بالتسكين والنقل نحو "يقوم" أصلها "يقوم" و الإعلال جزء من الإبدال، فكل إعلال إبدال وليس كل العكس² من أمثله في لهجة توات:

- فتوى: أصلها فتيا أبدلت الياء واوا لأنها وقعت لاسم على وزن فَعَلَى وهو إعلال صحيح.

- مضع: أصلها موضع، وأبدلت الواو ياء لتناسبها مع إمالة حرف التاء، وهو إعلال صحيح.

- ميزان: أصلها موزان، وهو إعلال صحيح.

- الهوى: وهو مصدر من الفعل هوي، إذ أصله الهوي، وهو إعلال صحيح.

04/ ظاهرة النحت:

يعرف ابن فارس النحت بقوله: "العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار"³ وقد وصفه بعض الدارسين المحدثين "بأنه ظاهرة لغوية احتاجت إليها اللغة قديما وحديثا، ولم يلتزم فيه الأخذ من كل الكلمات ولا موافقة الحركات والسكنات"⁴. وقد احتاجت اللهجة التواتية كغيرها من اللهجات إلى هذه الخاصية فوظفوها في أحاديثهم، وأخرجوا لنا عشرات الكلمات المنحوتة نذكر من ذلك تمثيلا لا حصراً:

¹ - التطبيق الصربي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ص 18.

² - المعجم المفصل في علم الصرف، ص 144.

³ - الصاحي في فقه اللغة العربية، ص 263.

⁴ - المعجم المفصل في علم الصرف، ص 579.

- باش: أصلها بأي شيء.

- به فيه: قد تكون منحوتة عبارة عن قم بهذا العمل وأسرع فيه¹.

- فيسع: منحوتة من قولهم: في الساعة².

- ما عنديش: أصلها ما عندي شيء، وكثيرا ما تزداد هذه الشين بعد النفي ب"ما" مثل: ما ناكلش، ما نشربش، ما نخرجش، ما ندخلش ...

- محبدالله: وأصلها محمد عبد الله.

- مناين: أصلها "من" الاستفهامية و"أين".

- منين جيت: أصلها من أين جئت.

- تھلا: أصلها اتق الله³.

- أمالا: المركبة من (أن، ما، لا) وأصلها كما يقول الدكتور شوقي ضيف (أن كنت لا تفعل). وقد استشهد بحديث للرسول -صلى الله عليه وسلم- قال فيه لفتية من الأنصار رأهم يتعبون بعيرا: "أتبعونه. قالوا: لا بل هو لك. قال: إما لا فأحسنوا إليه"⁴، ونظير هذا عند العرب شاهدتهم في قول الشاعر:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

والتقدير فيه: أن كنت ذا نفر، فحذف الفعل وزاد ما على أن عوضا عن الفعل⁵.

¹ - ينظر العامية الجزائرية وصلاتها بالفصحى، عبد المالك مرتاض، الشركة الجزائرية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981م، ص 21.

² - المرجع نفسه، ص 21.

³ - ينظر: موضوع ملاحظات في اللسان الشمالي بالمغرب المعجم التطواني نموذجاً، د. رشيد الحضري، مجلة كلية الآداب بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي، المملكة المغربية، العدد 10، 2000م، ص 127، 128.

⁴ - تحريفات العامية للفصحى، ص 136.

⁵ - ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، 1/74، 75.

- بعدين: المركبة من كلمتي: بعد آن.
- أش هذا: المركبة من: أي شيء هذا.
- عرقسوس: المركبة من عرق السوس، وهو نبات معروف له أغصان ويمتاز بحلاوته، وأصل اللفظ عرق السوس ثم نحت وصار قرقسوس¹.
- عمناول: المركبة من كلمتي: عام وأول.
- ما عليهش: المركبة من كلمات: ما عليه شيء.
- منين: المركبة من حرف الجر "من" والظرف "أين".
- ويلمه: وهي لفظة للتعجب مركبة من: ويل لأمه، وأصل العبارة عند العرب دعاء ثم وسعت دلالتها لتشمل التعجب، وقد وردت مستعملة عند الشاعر كعب بن زهير في قصيدته بانث سعاد حيث يقول:

ويلمّها خُلة لو أنّها صدقت بوعدها ولو أنّ النصح مقبول

05/ظاهرة الحذف:

- الحذف في اصطلاح اللغويين²: هو إسقاط حرف أو كلمة بشرط ألا يتأثر المعنى، من مثل جوابك (سعيد) لمن سألك من نجح؟ والأصل نجح سعيد، والحذف قسمان: قياسي وغير قياسي.
- حذف خبر لا في مثل قولهم: لا بأس والتقدير لا بأس عليك: وقولهم لمن يسأل كيف حالك، فترد أنت: بخير. والتقدير حالي بخير.

¹ - معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، أحمد تيمور، تح حسين نصار، مكتبة دار الكتب والوثائق القومية المصرية، القاهرة، ط2، 2002م، 4/403.

² - ينظر: المعجم المفصل في علم الصرف، ص 215.

- حذف كان ومعموليهما بعد لو، وإن ... كما في العربية كأن يقول أحدهم: تفعل كذا وكذا ولو كان كذا وكذا، فيرد الآخر: ولو، والتقدير: ولو كان الأمر كذا وكذا، أو إن كان الأمر كذا وكذا.
- حذف صلة الموصول: وذلك في مثل قولهم: ولد الذين بحذف صلة الموصول، وكذلك بالنسبة لقولهم: الا بالتي: حذف صلة الموصول والتقدير إلا بالتي هي أحسن.
- حذف الموصوف والإبقاء على الصفة: قال فلان راجل. أو يقولون في الرأي الصائب: راي، والتقدير: رأي صائب.
- حذف أداة النداء: وذلك في مثل قولهم: محمد، أحمد، عبد الله للنداء، والتقدير: يا محمد، ويا أحمد، ويا عبد الله.
- حذف المبتدأ: وذلك في قولهم ردا على كلام سابق: على بالي، والتقدير: الأمر على بالي.
- ما لك: وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾¹.
- بالسيف: أصلها تعمل هذا ولو كان بحد السيف.

06 / ظاهرة الاتباع والمزاوجة:

لقد تعددت نظرة علماء اللغة واختلفت نحو تحديد مفهوم موحد لخاصيتي الاتباع والمزاوجة في اللغة، حيث يرى ابن فارس في كتابه الذي خصصه للظاهرة أن: "كلاهما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليان على روي واحد، والوجه الآخر أن يختلف الرويان ثم يكون بعد ذلك على وجهين: أحدهما أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف إلا أنها كالاتباع لما قبلها، والآخر أن تكون الثانية

¹ - سورة يوسف، الآية 11.

غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق"¹. ويضيف ابن فارس: "إن بعض العرب سئل عن هذا الاتباع فقال: هو شيء نَتُدُّ به كلامنا"².

أما أبو علي القالي فقد خصص هو الآخر حديثاً للظاهرة وعرف الاتباع بقوله: "الاتباع على ضربين، فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به تأكيداً لأن لفظه مخالف للفظ الأول، وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول"³.

واللهجة التواتية كبقية اللهجات العربية مليئة بالمتتابعات التأكيدية ذات التجانسات الصوتية الرائقة نذكر من ذلك تمثيلاً لا حصراً:

- بَرَّقَ وعَرَّقَ: تقول العامة برق وعرق ما هو بمعنى أنكر إنكاراً شديداً، وقد ورد هذا الاتباع في لغة العرب. قال ابن منظور: "... تقول العرب: بَرَّقَتْ وعَرَّقَتْ؛ عَرَّقَتْ أي قللت. وعَمِلَ رجل عملاً فقال له صاحبه: عَرَّقَتْ وبَرَّقَتْ لَوَّحَتْ بشيء ليس له مصداق"⁴. وتطلق دلالة على الإنكار الشديد.

- البصلة تجيب الحصلة: البصلة من البصل، والحصلة بمعنى الشدة والمصيبة قالت العرب: "حَصِلَتْ الدابة حَصَلاً أكلت التراب فبقي في جوفها ثابتاً، وإذا وقع في الكرش لم يضرها، وإذا وقع في القِبة قتلها"⁵، وتطلق دلالة على أن الشيء الصغير قد يجر إلى الشيء الكبير.

- بضربة بصرة: الأولى من الضرب والثانية من الصرع.

- به فيه: وأصلها قم بالعمل وأسرع فيه. لكنهم حذفوا أصل العبارة لطولها¹، وتطلق دلالة على السرعة في الإنجاز.

¹ - الاتباع والمزاوجة، ابن الحسين أحمد بن فارس، تحقيق كمال مصطفى، مطبعة السعادة، مصر، ص 28.

² - المصدر نفسه. وقال المحقق أن كلمة (نتد) بفتح التاء وكسر الدال تعني (نؤكد). وقد جاء في كتابه الصاحي بهذا اللفظ: "هو شيء نتدبر به كلامنا". ص 263.

³ - الأمالي، أبي علي القالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 208/2.

⁴ - لسان العرب، ج 10، مادة (عرق).

⁵ - لسان العرب، ج 11، مادة (حصل).

- حاجيتكم ما جيتكم: الأولى من الأحجية والأحاجي والثانية اتباع لها، وتطلق دلالة على افتتاحية الشيء.
- حاصل فاصل: الأولى من الحصلة بمعنى الشدة والثانية من الاحتياج، وتطلق دلالة على شدة الاحتياج.
- خفيف ضريف: الأولى من الخفة والثانية من الظرافة بمعنى الملوحة، وتطلق دلالة على من يجمع بين خصلتين محمودتين.
- خلات درات: الأولى من الفناء والثانية من اتباع لها، وتطلق للدلالة على الخراب والدمار.
- خلط جلاط: الخلاط من خلطه للأمور والجلط لغة هو الكذاب. وجاء في اللسان: "ومن كلام العرب الصحيح: جَلَطَ الرجل يَجْلُطُ إذا كذب. والجلطُ المكاذبة"²، وتطلق دلالة على الخلط في الأمور.
- الزقر والنقر: بقاف معقودة الزقر قد يكون في أصله بالسين (السقر)، وهو عند العرب بمعنى البعد. ما النقر فهي اتباع لها، وتطلق دلالة على التكذيب القاطع.
- زورة ونورة: الأولى من الزيارة والثانية من النور، والمقصود بها عندهم زيارة البقاع المقدسة التي هي زيارة ونور في الوقت نفسه. وقد عبروا عن هذا المعنى أيضا بقولهم: "حجة وتجارة"، وتطلق دلالة على من يجمع بين خصلتين محمودتين.
- ساحي ماحي: قد يكون أصل اللفظ الأول بالصاد بدل السين (صاحي) لأن الصَّحَّ في العربية هو بخلاف المرض جاء في اللسان: "الصُّحُّ والصَّحَّةُ والصَّحَّاحُ خلاف السُّقْمِ وذهاب المرض؛ قد صَحَّ فلان من علته واستصَحَّ"³. أما كلمة ماحي فهي اتباع لها، وتطلق دلالة على من على الصفاء التام.

¹ - العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص 21.

² - لسان العرب، ج 07، مادة (جلط).

³ - لسان العرب، ج 02، مادة (صح).

- سايح مايح: وتطلق للدلالة على كثرة السفر والسياحة، أما اللفظ الثاني فهو اتباع لها، وتطلق دلالة على اللامبالاة وقلة الاهتمام بالأشياء.
- ساهل ماهل: اللفظ الأول للدلالة على اليسر والسهولة المطلقة، واللفظ الثاني اتباع له، وتطلق دلالة على السهولة التامة في الأمور.
- سلخ ملخ: السلخ ن سلخ الشاة بمعنى نزع جلدها أما الملخ فقد عرفه صاحب اللسان بقوله: "الملخ: قبضك على عضلة عضا وجذبا؛ يقال: امتلخ الكلب عضلته وامتلخ يده من يد القابض عليه. وملخ الشيء يملخه ملخاً وامتلخه: اجتذبه في استلال، يكون ذلك قبضا وعضاً"¹، وتطلق على السرعة في توالي الأمور.
- السلكوط واللكوط: السلكوط يقصدون بها الرجل الفاسد واللكوط اتباع لها، وتطلق للدلالة على المبالغة في الإفساد.
- شايع مايخ: الأولى من الشياخة وهي عندهم من الطمأنينة والاستقرار وعدم القلق والثانية اتباع لها، وتطلق دلالة على الراحة والانبساط التام.
- شاييف عاييف: اللفظ الأول من الشوف وهو النظر جاء في اللسان: "شاف الشيء شَوْفاً: جلاه. والشَوْفُ الجُلُو"². أما الثانية فهي من العيف فعلها عاف فصيح أيضاً جاء في اللسان: "عاف الشيء يعافه عِيفاً وعِيفَةً وعِيفاً وعِيفَاناً: كَرِهَهُ طَعَاماً كَانَ أَوْ شَرَاباً ... وقيل: العياف المصدر، والعيافة الاسم"³، وتطلق دلالة على القناعة في الأمور.
- الشبعة تعمل البدعة: الأولى من الشبع والثانية من البدعة، وتطلق دلالة على الإكثار من الإفساد.
- شحيح قبيح: الأولى من الشح وهو البخل والثانية من القبح.

¹ - لسان العرب، ج03، مادة(ملخ).

² - لسان العرب، ج09، مادة(شاف).

³ - لسان العرب، ج09، مادة(عيف).

- الشخير والنخير: هما معا صوتان وقد ورد هذا الاتباع في كلام العرب جاء في اللسان: "من أصوات الخيل الشَّخِيرُ والنَّخِيرُ والكَرِيرُ، فالشخير من الفم والنخير من المنخرين والكرير من الصدر؛ ورجل شخير نخير"¹.

- شد مد: الأولى من الشد والثانية من المد.

- شَرَّحَ مَلَّحَ: الأولى من التشريح وهو الذي يعملونه في اللحم حفاظا له من التعفن. وملح من الملح التي توضع فوقه مباشرة، وخاصة تمليح اللحم معروفة عند العرب قال ابن منظور: "وملح اللحم والجلد يملحُه ملحا"².

- الشرف والخرف: الأولى من الشرف وهو كبر السن والثانية من الخرف وهو فقدان العقل.

- الشطيح والرديح: الأولى بمعنى الرقص والثانية من الردح وهو الضرب على الأرض. جاء في اللسان: "الرَّدْحُ والرَّدِيحُ: بسطك الشيء بالأرض حتى يستوي"³.

- الشيح في الريح: الشيح نبات أخضر يمتاز بخفته والريح معروف.

- صائم قائم: الأولى تعني الامساك عن الأكل والشرب في النهار والثانية تعني الصلاة في الليل.

- طاج راج: وتطلق للدلالة على كثرة الاختفاء بالشيء: "والرَّجُّ: التحريك؛ رَجَّه يُرْجِه رجاً: حركه وزلزه فارتج، ورججه فترجج. والرج: تحريكك شيئا كحائط إذا حركته، ومنه الرجرجة، قال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾⁴. والرَّجَجُ: الاضطراب⁵.

¹ - لسان العرب، ج04، مادة(نخر).

² - لسان العرب، ج02، مادة(ملح).

³ - لسان العرب، ج02، مادة(ردح).

⁴ - سورة الواقعة، الآية 04.

⁵ - لسان العرب، ج02، مادة(رج).

- عايب لايب: الأولى من العيب والثانية اتباع لها. واللايب في اللغة: هو اللّوبُ واللّؤوبُ واللّوابُ: العطش، وقيل: هو استدارة الحائم حول الماء وهو عطشان لا يصل إليه. وقد لَابَ يَلُوبُ لُوباً وَلُوباً وَلُوباً وَلُوبَاناً أي عطش، فهو لَائِبٌ¹.
- القلة والعلة: الأولى من الإقلال وهو الصغر والثانية من المرض.
- فارح مارج: الأولى من الفرح والثانية من المرح وهما بمعنى واحد تقريبا غير أن الثانية اتباع للأولى.
- قاري باري: الأولى من قارئ والثانية من البرء وهو الشفاء من السقم.
- القاصي والداني: القاصي بمعنى البعيد والداني بمعنى القريب، وتلق دلالة على التعميم والشمول.
- قن زن: وهما اسما صوت للدلالة على السرعة، الأولى من القنقنة والثانية من الرزنة، وتطلق دلالة على السرعة في الأداء.
- قف زف: الأولى من السرعة والثانية من الزف بمعنى الدفع، وتطلق دلالة على السرعة في الأداء.
- القلة والعلة: الأولى من القلة والتقليل والثانية من العلة بمعنى المرض، وتطلق دلالة لمن يجمع بين خصلتين رزيلتين.
- لا سلام لا كلام: الأولى من السلام والثانية من الكلام وهي اتباع لها لأنها تتضمن معناها.
- لا شيب ولا عيب: الأولى من الشيب وهو الكبر والثانية من العيب وهو النقص، وتطلق دلالة على الخلو من النقص.
- ما تحبش ما تنبش: الأولى من الحبش والثانية اتباع لها، وتطلق دلالة على السكون وعدم الحركة.
- ما ربعت ما سبعت: ربعت جاءت من العدد أربعة، وسبعت من العدد سبعة، وهو قول يقال للعروس التي تعود إلى بيت أبيها سريعا.

¹ - لسان العرب، ج01، مادة(لاب).

- ما فيهم زوغ ولا لوغ: الزوج هو الميل عن الشيء. وقد قالت العرب: "زاغ عن الطريق زَوْغاً زَيْغاً عدل والياء أفصح"¹. واللوغ اتباع لها.

- ما يحك ما يصك: وتطلق للدلالة على الإنسان عديم الفائدة والتأثير. والحك من حكك أما الصك فهو: الضرب الشديد بالشيء العريض وقيل: هو الضرب عامة بأي شيء كان، صَكَّهُ يَصُكُّهُ صَكًّا. الأصمعي: صَكَّمْتَهُ وَلَكَّمْتَهُ وصككته ودككته ولككته، كله إذا دفعته. وصكه أي ضربه ... وقد مَشِشَتِ الدابة وَصَكَّكَتْ².

- ما يهش ما ينش: الهش بمعنى الضرب جاء في اللسان: الهَشُّ: جَذْبُكَ الغصن من أغصان الشجرة إليك، وكذلك إن نَثَرَتْ ورقها بعضا هَشَّه يَهْشُهُ هَشًّا فيها. وقد هَشَشْتُ أَهْشُ هَشًّا إذا خَبَطَ الشجر فألقاه لغنمه. وهَشَشْتُ الورق أَهْشُهُ: خَبَطْتُهُ بعضا لِيَتَحَاتَّ، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾³. قال الفراء: "أي أَضْرِبُ بها الشجر اليابس لِيَسْقُطَ ورقها فترعاه غنمه"⁴. أما النش فهو السوق برفق جاء في اللسان: " ... النَّشُّ: السَّوْقُ الرفيق"⁵.

- مخلبط مجلبط: الأولى من اللخبطة والثانية اتباع لها.

- يخلط صارو مع مارو: كلمتان للدلالة على الخلط في الأشياء.

- يصول ويجول: الأولى من الصولان والثانية من الجولان وهما بمعنى واحد تقريباً لكن جاءت الثانية اتباع للأولى.

وكل أنواع وأشكال الحذف المعروضة والمستعملة في لهجة التواتيين قياسية وممثلة في لغة العرب بلا خلاف.

¹ - لسان العرب، ج 08، مادة(زاغ).

² - لسان العرب، ج 10، مادة(صك).

³ - سورة طه، الآية 18.

⁴ - لسان العرب، ج 06، مادة(هش).

⁵ - لسان العرب، ج 10، مادة(نش).

07/ ظاهرة الترخيم:

الترخيم في اصطلاح اللغويين هو: "حذف آخر اللفظ لداع بلاغي كالتخفيف أو التلميح أو الاستهزاء...¹" ومن أمثله في هذه اللهجة:

- عبد القا: أصلها عبد القادر.

- مح: أصلها محمد.

- قادة: أصلها عبد القادر.

08/ بعض الظواهر الأخرى:

*التعبير بالقليل عن الكثير: وقد تدخل في باب الكناية، من أمثله:

- الا هنا: كناية عن المسافة وإن كانت بعيدة أحياناً أو متوسطة في عرف آخر.

- ربع تمرات: للتعبير عن التمر القليل.

- مغرفة طعام: للتعبير عن ملاعق معدودة.

- كاس أتاي: للتعبير عن كؤوس الشاي الثلاثة المعروفة في المنطقة.

وهذه جولة سريعة مع أهم ما تعرفه اللهجة التواتية في ظواهرها اللغوية المختلفة².

¹ - المعجم المفصل في علم الصرف، ص 172.

² - ينظر: اللهجة التواتية الجزائرية، ص 38.

الفصل الثالث

الحركة اللغوية والأدبية

بتوات

المبحث الأول: الحركة اللغوية بتوات:

لم يكن التواتيون بدعا ممن حولهم، فقد اشتغلوا واهتموا بالعلوم والفنون التي كانت سائدة في عصرهم، غير أن الملاحظة المبدئية التي يمكن الإشارة إليها هي أن التواتيين قد خصوا العلوم اللغوية باهتمام يفوق العلوم الأخرى، وقد تعامل التواتيون مع هذه العلوم بثلاث تعاملات وهي:

- منهم من اشتغل بتدريسها.

- ومنهم من اهتم بالتأليف.

- ومنهم من أولع بنسخها¹.

أما العلوم اللغوية المشككة للحركة اللغوية بتوات فقد حظي النحو بعناية من لدن اللغويين التواتيين، مقارنة مع غيره من العلوم اللغوية الأخرى، فأولوا مكانة مرموقة بين العلوم اللغوية لما لهذا العلم من أهمية في تقويم اللسان²، ومن ألف في هذا العلم نجد: "عبد الرحمن بن باعومر في مؤلفه "مختصر الدر المصون في إعراب القرآن الكريم"³.

أما بالنسبة للصرف فإن التأليف فيه كان شحيحا إذا ما استثنينا مؤلف "روضة السريرين في مسائل التمرين"⁴ لمحمد بن أب المزمرى، بالإضافة إلى بعض المؤلفات الصرفية الأخرى، كـ"فتح الودود في شرح المقصور والممدود لابن مالك" تأليف سيد المختار الكنتي.

¹ - ينظر: التاريخ الثقافي، الصديق حاج أحمد، ص141.

² - المرجع نفسه، ص85.

³ - رجال في الذاكرة "محمد بن أب، أحمد جعفري، ص43.

⁴ - مخطوط، حققه الأستاذ: أحمد جعفري ضمن كتاب "محمد بن أب حياته وآثاره."

وبالنسبة للبلاغة فهي الأخرى لم تحظ بعناية من طرف اللغويين التواتيين، فقد كان التأليف فيها نادرا، اللهم إلا ما ألفه "أبو عبد الله سيدي محمد بن علي" وسماه "مقدمة في أنواع الاستعارات"¹، وبعض المنظومات القليلة الأخرى².

وقد كان للدرس اللغوي علاقات كثيرة بمختلف العلوم الأخرى بتوات ويمكن تلمس ذلك من خلال العلاقات التالية:

أ- علاقة الدرس اللغوي بتوات بالشعر التعليمي:

ارتبط الدرس اللغوي بتوات ارتباطا وثيقا بالشعر التعليمي، ولا أدل على ذلك من كثرة المنظومات، والأراجيز اللغوية التي نظمها لغويو توات، أمثال الناظم الكبير "محمد بن أب المزمري (ت1160هـ)، ومحمد البكري بن عبد الرحمن التنايني، ومحمد بلعالم الزجلاوي(ت1212هـ)³.

ب- علاقة الدرس اللغوي بتوات بالعلوم الشرعية:

التصق الدرس اللغوي بالعلوم الشرعية بهذه المنطقة التصاقا قويا، حتى إذا ما رجعنا إلى كتب التراجم وجدنا أن أغلب الذين ترجموا لأولئك الأعلام يصدر عن ترجمتهم بقولهم: (كان فقيها، محدثا، مفسرا، لغويا، نحويا، عروضيا)، وإذا قمنا بمسح لعلماء اللغة بتوات وجدناهم لا يخرجون عن هذه القاعدة، فما من علم من أعلام الدرس اللغوي بتوات إلا وجدناه فقيها ونحويا⁴.

¹ - ذكره أحمد جعفري في كتابه " محمد بن أب المزمري"، ص42.

² - ينظر: الدراسات اللغوية بتوات والأزواد من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين، الصديق حاج أحمد، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2013م، ص86.

³ - المرجع نفسه، ص106.

⁴ - المرجع نفسه.

ج- علاقة الدرس اللغوي بتوات بعلم النوازل¹:

ويتمثل ارتباط الدرس اللغوي بهذه النوازل اللغوية والألغاز والأحاجي النحوية، التي كانت تنزل على العلماء، وقد حفلت "نوازل الغنية البلبالية"² بعدد هائل من النوازل اللغوية التي كانت تنزل على "الحاج محمد عبد الرحمن البلبالي" وابنه "عبد العزيز" جامع هذه الأخيرة، كما احتوت على نوازل "عبد الرحمن الجننتوري"، ونوازل "محمد بلعالم الزجاجاوي" على عدد قليل من النوازل إذا ما قورنت بنوازل "الغنية البلبالية"، في حين جاءت نوازل محمد باي بن عمر الكنتي مشحونة بالنوازل اللغوية³.

د- علاقة الدرس اللغوي بتوات بعلم الأنواء⁴:

لم يحفل التواتيون كثيرا بهذا العلم، إذا ما استثنينا محاولة محمد بن المبروك البداوي الجعفري، والمتمثلة في منظومته التي نظمها في أسماء الجهات⁵.

أولا: المنظومات اللغوية:

لقد حظيت المنظومات اللغوية التي بعناية خاصة في الدرس اللغوي بتوات، ويفسر ذلك العدد الهائل من المنظومات اللغوية التي نظمت ودرست وشرحت وحشيت في الدرس اللغوي بتوات وذلك على مستوى التدريس كالأجرومية والألفية ولامية الأفعال، وغيرها من المنظومات اللغوية الأخرى، وأما على مستوى التأليف فإن النظم شكل حضورا قويا بالدرس اللغوي بتوات، ولعل الغرض التعليمي كان من بين الأسباب المباشرة في وجود هذا الكم الهائل من المنظومات اللغوية بالدرس اللغوي بتوات⁶.

¹ - النوازل: هي مجموعة من المدونات المتعلقة بالفتاوى الخاصة بالمشاكل اليومية لمنطقة معينة وفترة زمنية محددة، ينظر: توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، 319/1.

² - بغية المقتصد السائل حول ما حل بتوات من المسائل، مخطوط بخزانة بن الوليد بأبجد الله أدرار.

³ - ينظر: توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، 360، 330/1.

⁴ - علم الأنواء: هو العلم الذي يعرف به شروق الشمس وطلوع القمر وأيام السنة ومعرفة الأحوال الطبيعية.

⁵ - الدراسات اللغوية، الصديق حاج أحمد، ص 108.

⁶ - المرجع نفسه، ص 82.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأجرومية شغلت اهتمام المتدرسين والمدرسين والدارسين على السواء، وكسبت حظاً وافراً من الشهرة، ورغم بساطتها وعدم انفكاك المبتدئ الجاهل عنها، إلا أنها لم تجد مللاً من طرف المتوسط الجافل، ولا مجاً من لدن المنتهى الكامل، وكان من الطبيعي أن تنتشر وتعم الآفاق، وتملاً حلقات المجالس فقام لها الشراح فشرحوها، كما جلس لها النظام ونظموها، فتعددت شروحها ومنظوماتها¹.

ومن الذين نظموا نجد الشيخ "محمد بن أبّ المزمرى (ت1160هـ)، الذي يعد من أكثر الشعراء الذين اهتموا بنظم الأجرومية ومنها هذه المنظومة المسماة "نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم" ومطلعها:

قال ابن أب واسمه محمد	الله في كل الأمور أحمد
مصلياً على الرسول المنتقى	وآله وصحبه ذوي التقى
وبعد فالقصد بذا المنظوم	تسهيل منثور ابن آجروم
لمن أراد حفظه فعسراً	عليه أن يحفظ ما قد نثراً ²

وله منظومة أخرى سماها "كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم" يقول فيها:

وبعد فذا نظم يروق فمن يذق	جناه إلى الكتب الكبار توصلاً
أتى جامعاً لب المقدمة التي حوت	لابن آجروم نثراً مفصلاً
سميته كشف الغموم لكشفه	عن المرء غم اللحن ساعة بيتلاً ³

¹ الدراسات اللغوية، الصديق حاج أحمد، ص 82.

² - محمد بن أبّ المزمرى، أحمد جعفري، ص 72.

³ - المرجع نفسه.

وستناول منظومة "ألفية الغريب" لمحمد بلعالم الزجاجاوي (ت1212هـ) كمثال للمنظومات اللغوية التي ألقت بالديار التواتية إلى جانب منظومات "ابن أب المزمري (ت1160هـ)، لكونها تطلعتنا على جانب مهم من جوانب الدرس اللغوي بتوات خلال عصر الناظم، ويتعلق الأمر بمباحث الغريب في اللغة والقرآن، وهو جانب لا ينفك عن الإطار العام المتعلق بفقهاء العربية، فضلا على أن الناظم قد رتبها على حروف المعجم، مما يضيف إليها الجانب المعجمي والدلالي¹.

تحتوي هذه المنظومة على ألف بيت، وقد قال في مطلعها:

الحمد لله الذي قد شرفنا	مباحث التفسير فيما عرفنا
وجعل انتحاله في الآخر	مثل الشهادة النفيس الذخر
حسبما جاء عن الفاروق	وحكمه الرفع على التحقيق

وقد أفصح لنا الناظم في صدر منظومته عن المنهج الذي سلكه في نظمها فقال:

وقد جعلت صدرها توطية	في نسبة الألفاظ والمزية
ثم شرعت قسمة الأبحاث	منتظما فيها على ثلاث
معرفة الوجوه والنظائر	بعد المكررة والقواصر
مرتباً على حروف المعجم	وقاصراً بسورة لها نعى

وقد كشف لنا الناظم عن أهم مصادره فقال:

وربما استعنت بالمحاصي	بسببه لفضل الاقتناص
أو بغريب العالم التحرير	عبد العزيز الواسع التفسير

¹ - الدراسات اللغوية، الصديق حاج أحمد، ص247.

ولم أميز لغة الحجاز من غيرها لغرض الإيجاز¹

- مصادر الدرس اللغوي:

1- المنظومات: هناك منظومات كثيرة ومتعددة والتي يمكن اعتبارها مصدر للدرس اللغوي بتوات ومن أبرزها منظومات محمد بن أب المزمري، فبالإضافة إلى المنظومتين السابقتين هناك منظومة "لامية الإعراب على نثر ابن آجروم"، وأخرى في بيان اشتقاق الاسم، وثالثة في الأفعال التي تلازم البناء للمفعول، ورابعة في المضاف، وخامسة في إعراب التسييح، وسادسة في الجناس، وسابعة في المجرورات، وأخرى في محور الشعر وغيرها كثير².

ومما يلاحظ هنا هو أن هذه المنظومات مختلفة المضامين فبعضها في الصرف وبعضها الآخر في النحو والعروض وما إلى ذلك، وهذا الاختلاف دليل على أن الرجل كان أديبا وشاعرا في الوقت نفسه، كما أن كثرة المنظومات دليل على مكانة الرجل في الدرس اللغوي بتوات.

يضاف إلى تلك المنظومات منظومة "ألفية الغريب" ل: "محمد بلعالم الزجاجاوي"، والألغاز النحوية ل: "أبي علام البلبالي"، وألفية في اللغة ل: المختار بن أحمد الكنتي ".... وغيرها كثير³.

2- الشروح اللغوية:

وإلى جانب المنظومات هناك الشروح اللغوية والتي لعبت دورا هاما في الدرس اللغوي بتوات، كشرح "محمد بن أب المزمري" المسمى "الدخائر الكنزية في حل ألفاظ الهمزية"، ولفس المؤلف شرح آخر يسمى "النفحة الرندية على التحفة الوردية"، ول: "المختار بن أحمد الكنتي" شرح باسم "فتح الودود في شرح المقصور والممدود"، ول: م "محمد بن بادي الكنتي" هو الآخر شرح باسم "مقدم العي المصروم

¹ - ألفية الغريب نظم الزجاجاوي الشهير بابن العالم، دراسة وتحقيق بقادر عبد القادر، رسالة ماجستير، جامعة أدرار، 1430/1429 هـ، ص 01-02.

² - الدراسات اللغوية، الصديق حاج أحمد، ص 238، 226.

³ - المرجع نفسه، ص 256، 247.

على نظم ابن أب لآجروم"¹، وشرح مولاي أحمد الطاهري الإدريسي "على منظومة ابن أب المزمرى لابن آجروم، والشرح المسمى "تفريج الغموم على متن ابن آجروم" للشيخ محمد الحسن بن الحاج أحمد القبلاوي".

يعد شرح "محمد بن بادي الكنتي" من أول الشروح اللغوية التي وضعت على منظومة "محمد بن أب المزمرى"، والتي نظمها عام ألف ومائة وعشرون للهجرة، ومما جاء في بداية الشرح بعد البسملة والصلاة على الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، قول الشارح: "الحمد لله الذي رفع العلم بالأذكياء، وخفض بالجهل الأغبياء، ذي الأسماء الحسنى، والأفعال الدالة على فاعل لا يفنى، مرشد من نحي نحوه المستقيم، ومبعد من أبي الدين القويم، حمدا يفتح لنا كل صعب ويسكن عنا كل رعب"².

وقد اعتمد "ابن بادي" في شرحه هذا على بعض المصادر كحاشية الخضري، وحديقة الأفنان لابن الوثان، وكافية ابن الحاجب، وألفية ابن بونة الحكني، وملحة الحريري، والجامع الشامل للعيني، إضافة إلى مصدره الكبير في هذا الشرح، وهو شيخه "محمد باي بن عمر الكنتي، حيث قال: "وليعلم ناظره إنما هو من بركة شيخنا العالم العامل، بدر التمام الكامل، أبي السامي والخامل، ذا الصيت العلي والخلق السني، وارث متروك النبي، شيخنا وقدوتنا الشيخ سيدي محمد بفتح الميم الملقب باي ... ومتى قلت: قال شيخنا في هذا الشرح، فهو مرادي، بل جميع ما فيه اعتمادي"³.

وهكذا يتبين ان التواتين اهتموا بالدرس اللغوي من خلال كثرة المنظومات التي ألفت في هذا المجال، وما ذكرناه هنا إلا غيض من فيض الشروحات التي شغلت كتاباتهم.

¹ - الدراسات اللغوية، الصديق حاج أحمد، ص 278، 296.

² - المرجع نفسه، ص 297.

³ - المرجع نفسه، ص 297.

المبحث الثاني: الحركة الأدبية بتوات:

كانت توات منذ تاريخها المبكر منارا للعلم وسط هذه الصحراء الشاسعة، حيث توافد عليها الكثير من العلماء من كافة الأقطار العربية، ومع مرور الأيام ازداد التواصل وتوسع وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري، ومن ثم انكبت النفوس على الدرس وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر، وتعتبر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثم كان لنا هذا للمؤلفين والمؤلفات، وفي شتى المعارف والعلوم استخدمت جل هذه العلوم والدراسات في خدمة كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام¹.

ولقد انقسم موطن علماء توات في تعلمهم وتعليمهم إلى مواطنين أساسيين هما:

أ- الزوايا والمدارس القرآنية العامة المنتشرة في كل أقطار الإقليم²:

وتعد الزوايا مراكز العلم والثقافة العربية والإسلامية، ولقد لعبت دورا بالغ الأهمية في نشر الإسلام واللغة العربية، وتخرج منها العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم، والزوايا من هذه الناحية تعتبر مدارس ابتدائية وثانوية ومعاهد عالية في آن واحد³.

والزاوية اسم يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني، وعرفت في أوائل القرن 08هـ، فكانت تطلق على مكان معد للعبادة كالمسجد، ويشتمل على المرافق للطلبة المجاورين بها، وإيوائها للواردين عليها وعابري السبيل⁴.

ب- الخزانات الشعبية والدور الخاصة التي كان العلماء يترددون عليها ليشكلوا حلقة درسهم وتعليمهم، وهو يعد موطننا أساسيا من مواطن الدرس اللغوي والأدبي بالإقليم، ذلك أن علماء الإقليم

¹ - محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، أحمد جعفري، ص 30، 31.

² - الحركة الأدبية في إقليم توات من القرن 7-13هـ، أحمد جعفري، ص 81/1.

³ - عبد العزيز شبيهي، الزوايا والصوفية والغربة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب وهران، الجزائر، دط، ص 46.

⁴ - محمد بن أب المزمري، أحمد جعفري، ص 46.

وبعد تفرغهم من وقفات تدريسهم في موضوعاتهم اللغوية والأدبية المختلفة، يلجؤون إلى تدوينها ونسخها بل وإلى شرحها والتعليق عليها حتى يسهل فهمها ومتابعتها من الطلبة المتدربين من جهة، أو تورث للأجيال اللاحقة من جهة أخرى¹.

والجدير بالذكر أن جهود الطلبة التواتيين لم تقتصر في تحصيل الإجازة العلمية والأدبية من العلماء التواتيين، بل أن البعض منهم سافر إلى خارج الإقليم للحصول على الإجازة العلمية والأدبية من كبار علماء الأقطار العربية، بعد ملازمتهم إياهم مدة من الوقت يعودون بعدها إلى توات وقد أصبحوا من خيار العلماء، حيث يتولون مناصب القضاء والإفتاء والتدريس، فالشيخ البكري بن عبد الكريم تعلم على يد مجموعة من مشاهير الفقهاء الذين أجازوه في شتى العلوم، أمثال الشيخ قدورة بن إبراهيم الجزائري²، والشيخ بن علي النحوي التواتي، والشيخ الإمام الخرشبي شيخ مشايخ الديار المصرية.

ونذكر أيضا من جملة المشايخ التواتيين الذين درسوا في الخارج الشيخ عمر بن عبد القادر التلاني، الذي أخذ العلم على يد الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد بن أمبارك السجلماسي وأجازته، وعلى يد الشيخ محمد بن زكريا الفاسي، وعلى يد الشيخ محمد حفيد ميارة وغيرهم كثير³.

والحركة العلمية بإقليم توات تنقسم إلى حركة أدبية، والتي تنقسم بدورها إلى:

1- الشعر: والذي عرف أغراضا متنوعة كالممدح والفخر والثناء... الخ.

2- النثر: ويتمثل في الرسائل والوصايا والرحلات والتراجم... الخ.

وحركة لغوية تتمثل في المؤلفات الفقهية، وكتب التفسير والبلاغة والحديث والتجويد... الخ

¹ - الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد جعفري، 82/1.

² - هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة الجزائري، كان عالما ولى الفتوى بالجزائر، له حواشٍ وشرح منها: شرح الأخضرى، توفي 1066هـ.

³ - إقليم توات خلال القرنين 18 و19م، فرج محمود فرج، ص 88، 89.

أولاً: الشعر:

وبالبداهة مع الحركة الأدبية في شقها الأول وهو الشعر ، وسنمثل لكل غرض بنموذج أو نموذجين على سبيل المثال لا الحصر، لأن المجال لا يتسع لذكر كل النتاجات. إن المتأمل للخريطة الشعرية داخل الإقليم التواتي يجدها غير بعيدة عن الوصف العام للشعر العربي الحديث، حيث كانت الأغراض التقليدية المعروفة حاضرة بقوة مع التركيز على غرضي التوسل والمديح النبوي، بالنظر إلى الخصوصية الدينية التي طبعت الإقليم لقرون، وهو ما جعلنا نقف أولاً عنده، وما جادت به قريحة التواتيين في هذا المجال¹.

1- غرض التوسل والدعاء:

التوسل والدعاء من الأغراض الأدبية الجديدة في الأدب العربي التي الدعوة المحمدية في رحلتها خصوصاً، وكان الهدف منه هو رفع المعانات وتصريف البلوى في الدنيا والتكفير عن الذنوب ومحو الأخطاء والطمع بالجنة في الآخرة، وفي هذا المعنى دارت توسلات وأدعية شعراء الإقليم، كما كان الغرض حاضراً بقوة في معظم دواوين الشعراء، ولو بالقصيدة أو القصيدتين، كما نجد ذلك عند الشاعر سيدي علي بن حنيني (ت 1115هـ) في دعائه للزاوية البكرية ومؤسسها سيدي البكري حيث يقول:

حمدا لله العظيم الأحد الواحد الحي العزيز الصمد

إلى أن يقول:

وقصدنا بهذه الأبيات توسل بالذكر والآيات

يا ربنا أنزل بهذه الزاوية سترا ولطفا ودوام العافية

زاوية بكرية قديمة علوية شريفة قديمة

وسيلتي إليك يا مولانا لقد دعونا فاستجب دعانا

¹ - الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد جعفري، 140/1.

وللشيخ البكري بن عبد الرحمن (1339هـ) قصيدة من بحر الرجز مشتملة على التضرع إلى الله والدعاء، وهي تشتمل على خمسة وستين بيتا يقول فيها:

الحمد لله الغني ذو النعم الرزاق الفتاح دافع النقم
ثم صلاة الله والسلام على الذي من جوده الإسلام
وبعد فالبكري إذا ما اضطرأ وأجحفت حاجته مضطرا
ليس له من حيلة إلا الدعا وقرع باب الله خير من دعا

ولعل من أشهر الشعراء البارزين في باب الدعاء والتوسل، الشاعر "محمد بن أبّ المزمرى بما خلفه في ذلك من قصائد ومقطوعات أولا، ثم بما أضافه إلى شكل بناء قصائده، كما هو الحال مع القصيدة التي انطلق فيها من الحروف الأربعة عشر للآية الكريمة في قوله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)¹، ليجعلها مفاتيح أحادية في مطلع أبيات قصائده حيث قال في مستهلها:

الله ربّي لا إله سواه ما خاب مضطر دعا مولاهُ
دعواي مهما برحت بي كربة الله لي حيث الكروب الله
عودت إلحاحاً بذلك لهجتي فظلت ما عمّرت لا أنساءُ
وإليه أمري في الحوادث كلّها فوضت جزما أنني أكفاهُ
نلتُ المنى وكفيت ما أخشاهُ مذ ناديت وارباهُ واغوثاهُ

ومن القصائد في هذا الباب أيضا تلك التي كتبها الشاعر "حمزة بن الحاج أحمد بن مالك القبلاوي الفلاني (ت 1335هـ) يتوسل فيها إلى الله في دفع كيد الأعداء، يقول في مطلعها:

¹ - سورة غافر، من الآية 60.

يا من تدكدكتِ الجبالُ لهيئته ولذاتِه عنتِ الوجوهُ وخشيئته
جئنا إليكِ بآدمِ وخليئته وبكائهِ وخضوعه وبتوبته¹

2- المدح:

المدح كما جاء في لسان العرب هو نقيض الهجاء، وهو الثناء، يقال: مدحته مدحه، ومدحه بمدحه مدحا ومدحة، والمدائح جمع المديح من الشعر الذي يمدح به². أما اصطلاحا: غرض من الأغراض الشعرية القديمة عند العرب، يقوم أساسا على فن الثناء وتعداد مناقب الإنسان وإظهار آلائه وإشاعة محامده.

وعن هذه المعاني السامية لغرض المدح، دارت معظم موضوعات التواتين المدحية، فهذا الشيخ سيدي محمد الإداعلي (ق12هـ) يمدح الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم (1133هـ) بقصيدة مدحية على وزن البسيط، وفيها تعرض الشيخ إلى جملة من خصاله ومحاسنه، من تبحر في العلم وحب للعلماء وعدل وقضاء، وما إلى ذلك، قال في مطلعها:

زر من هويت ولا تصبو لمن عدلا لى هواه وسق لربعه الابلاع
وحط للسيد البكري ركاب منى تجد من العلم عند بابه الأملا
واذكر كريما قصاه للعلی خلفا عذب وفاز بسؤل من به نزلا
وحي مني حبيبا طال ما فتحت مفاتيح العلم منه للنهى سبلا³

كما مدحه الشيخ سيدي محمد بن عبد الله بن سيدي الحاج محمد بقصيدة بائية يقول فيها:

¹ - الرحلة العلية، محمد باي بلعام، 231/1.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج2، مادة (مدح).

³ - الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد جعفري، 208-206/1.

إمام التقى في كل علم له يد حلیم ذکر كان له في العلم مذهبا

تراه حماما في النوازل مذ رأى حفيظا أدبيا في العلوم مرغبا

فصیح وفي علم القريض مقدم فضیل محدث به قد تأدبا

هذا على سبيل التمثيل لا الحصر، وقبل أن نغادر هذا الغرض علينا أن نعرج على جانب آخر من المديح عرفه التواتيون، وتناوله كثير منهم حتى قل من لم ينظم فيه، وهو المديح النبوي الذي يعكس إخلاصهم لعقيدتهم الإسلامية، وحبهم للرسول صلى الله عليه وسلم.

حيث نجد الشيخ ابن أب الذي نظم قصيدة ببحر جديد سماه المضرب في تسعة وثمانين بيتا، يبدؤها بقوله:

صل يا إلهي ثم سلم دائما على خير الأنام

ما دعاك أو لبك محرم قاصدا إلى البيت الحرام

إلى أن يقول:

يا إلهنا حمدا وشكرا إذ هديتنا سرا وجهرا

لامتداح خير الخلق طرا سيد الورى النور التهامي¹

يقول "محمود فرج" في كتابه " إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين: "وقد خص التواتيون النبي عليه الصلاة والسلام وأهل البيت بنصيب كبير، فها هو الشيخ البكري بن عبد الرحمن ينظم أربعة قصائد في مدح الرسول وآل البيت، ونأتي بمطلع لواحدة منها²:

بسمو خير موجد ومكرم ومعظم فخرت قريش وجلت

¹ - محمد بن أب المزمرى، أحمد جعفري، ص 80.

² - إقليم توات خلال القرنين 18 و19م، فرج محمود فرج، ص 104.

3-الرتاء:

الرتاء في اللغة كما جاء في لسان العرب، لا يختلف كثيرا عن المدح، حيث يقول: "رثى فلان يرثيه رثيا، إذا بكاه بعد موته، فإن مدحه بعد موته قيل رثاه يرثيه، ورثيت الميت رثيا ورتاء ومرثاة ورثيته: مدحته بعد الموت وبكيتها"¹.

أما اصطلاحا يعرفه "ابن رشيق" بقوله: "وليس بين الرثاء والمدح فرق إلا أنه يخلط بالرتاء شيء يدل على أن المقصود به ميت، مثل "كان" أو "عدمنا به كيت وكيت" أو ما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت، وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام إذا كان الميت ملكا أو رئيسا"²، كما فعل الشيخ سيدي محمد الإدواعلي (ق12هـ) في رثائه لصديقه الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم (1133هـ)، بعدما بلغه خبر وفاته، حيث قال على وزن البسيط:

آه على توات حل الوبال بها وصارت من بعد نور العلم في ظلم

بموت عالمها الحبر الذي انتشرت علومه بأرض العرب والعجم

بموته بكت النجوم قاطبة والشمس والقمر والأنهار والدم

أعني الإمام الذي سالت عناصره قاض القضاة ومحى دارس الحكم³

وها هو الشيخ محمد بن المبروك البداوي (ت 1125هـ) يرثي صديقه الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلاي (ت 1221هـ) عند سماعه خبر وفاته في مصر أثناء عودته من أداء فريضة الحج، وقد دفن في مقبرة الفقيه المصري "عبد الله المنوفي"، ومطلعها:

ألا يا مصر قد ازددت فخرا بحبر حل مقبرة المنوفي

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج2، مادة (رثى).

² - العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الحسن أبي علي بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2001م، 96/1.

³ - الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد جعفري، 247/1.

بعيد زيارة الهادي المنبي

وحج البيت حقا والوقوف¹

4-الفخر والحماسة:

جاء في لسان العرب: " الفخرُ والفخرُ والفخرُ: التمدح بالخصال، والافتخار وعد القديم"²، أما "الحماسة: فهي الشجاعة"³.

أما اصطلاحا: فهو لا يخرج عن غرض المدح، ولا يختلف عنه إلا في تحديد الممدوح، حيث يقول ابن رشيق: الافتخار هو المدح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، فكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكلما قبح فيه قبح في الافتخار"⁴.

ولا نجد في هذا الباب عند التواتيين قصائد كثيرة تتحدث عن الشجاعة والبأس والقوة إلا ما نظمه "ابن الونان (ت 1187هـ) في شتممقيته الشهيرة، حيث راح يتحدث أولا عن بطولته وشجاعته أمام محبوبته قائلا:

والله لو حلت ديار قومها واحتجبت عني بباب مغلق
لزرتها والليل جون حالك وجفنها لم يكتحل بأرق
مع ثلاثة تقي صاحبها ما لم تكن نون الوقاية تقي
سيف كصمصامة عمرو باتر لا يتقي بيلب ودرق⁵

ومن الحديث عن بطولته وشجاعته التي طاول بها عمرو بن معد، والتي كانت سلاحه في الوصول إلى بيت محبوبته، انتقل إلى الحديث عن وصف فرسه وسلاحه فقال:

¹ - إقليم توات خلال القرنين 18 و19م، فرج محمود فرج، ص103.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج5، مادة(فخر).

³ - المصدر نفسه، ج6، مادة(حمس).

⁴ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، 92/2.

⁵ - الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد جعفري، 238/1.

وفرس كداحس أو لاحق

يوم الرهان شأوه لم يلحق

تقدح نيران الحباحب حوا

فره عند جنب وطلق

كالريح في هبويه والسمع في

وثوبه وكالمها في فشتق¹

ومن الافتخار بفرسه ينتقل إلى الافتخار بأسرته "بني ملوك" فيقول:

سل ابن خلدون علينا فلنا

بيمن مآثر لم تمحق

وسل سليمان الكلاعي كم لنا

من خبر بخبير وخذق²

وفي الفقرة الموالية ينتقل إلى الافتخار بنفسه قائلاً:

وازن علمي أدبي فلن ترى

من شعره كشعري المنمق

فإن مدحت فمدحجي يشتنى

به كمثل العسل المروق

وإن هجوت فهجائي كالشجي

يقف في الحلق مثل الشرق

وهل أنا إلا ابن ونان الذي

ق ربه كل أمير مرتقي

أحق من حلي بالأستاذ والشبي

خ الفقيه العالم المحقق

وبالمحدث الشهير والأدي

ب والمجيد والبليغ الملفق³

وما نظمه الشاعر محمد بن أب المزمري (1160هـ) في مطلع مقطوعتين بمعدل خمسة أبيات،

افتخر فيهما هو الآخر ببراعته وتفوقه في نظم الشعر إلى الدرجة التي أصبح فيها سيدا ومضربا للمثل،

¹ - الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد جعفري، 239/1-240.

² - المرجع نفسه، 241/1.

³ - المرجع نفسه، 242-243/1.

مثله مثل عمرو بن كلثوم في إقدامه، وإياس بن معاوية في ذكائه، وحاتم الطائي في جوده¹، حيث يقول في مستهل مقطوعته الأولى:

وفزت بدر الشعر إذ غصت بحره
ومثلي لنيل الدر من بحره أهل
فحاز نظامي فيه أبداع صنعتي
من الله لا من غيره ذلك الفضل
وأمرى سلم الاتصال ومن يرم
اتصالي فإن الخطب في شأنه سهل²

ويقول في مقطوعته الثانية:

إذا ساد بالأقدام عمرو وبالدكا
تفرد إياس وبالجود حاتم
فإن شعاري صنعة الشعر فالذي
ينازعني فيها فذلك ظالم³

ثانياً: النشر:

إذا انتقلنا إلى النشر فإننا لا نجد مؤلفات كثيرة، لأن التواتيين اهتموا بالشعر أكثر من النشر، وربما يرجع ذلك إلى سهولة حفظه لما يمتاز به من وزن وقافية، وإذا قلبنا الخزانة التواتية لم نعثر إلا على عدد قليل من المؤلفات النثرية نذكر منها:

1- التاريخ: ألف الشيخ سيدي محمد بن المختار كتابه الشهير الذي سماه "الطرائف والتلائد في معرفة الوالدة والوالد"، كما ألف الشيخ سيدي محمد بن عمرو بن محمد الجعفري البداوي كتاباً سماه "نقل الرواة عن من أبداع قصور توات".

2- التراجم: ألف الشيخ سيدي عبد القادر المهداوي كتابه الذي سماه "الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية"¹.

¹ - الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد جعفري، المرجع السابق، 244/1.

² - رجال في الذاكرة محمد بن أب المزمري، أحمد جعفري، ص 90.

³ - المرجع نفسه، ص 94.

3-الرحلات: لعل من أشهر الذين أرحوا لرحلاتهم المختلفة في منطقة توات، نذكر الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التلاني (ت 1221هـ)، الذي اشتهر بين علماء عصره بكثرة رحلاته وتنقلاته طلبا للعلم أولا، وزيارة للروضة الشريفة وأداء لمناسك الحج ثانيا².

كما اهتم الشيخ عبد الله بن أحمد الفلاني بأدب الرحلات، وكتب رحلته في طلب العلم والحج إلى البقاع المقدسة³.

وللشيخ أبي حفص سيدي إدريس التواتي (ت 1152هـ) رحلة مشهورة في طلب العلم، انطلق فيها من توات وصولا إلى مدينة فاس بالمغرب، مخطوط الرحلة يقع في أربعة عشر ورقة ونصف، بمجموع تسعة وعشرين صفحة⁴.

وأخيرا رحلة الشيخ ضيف الله بن محمد بن أب المزمري التي احتوت على كثير من المعلومات التاريخية الهامة المتعلقة خصوصا بوالده "سيدي محمد"، وبعض علماء عصره الآخرين، كما تضمنت أيضا العديد من القصائد الشعرية له ولوالده، بالإضافة إلى بعض النوازل الفقهية المختلفة، جاءت الرحلة في مائة وتسع صفحات⁵.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن للرحلة أسبابها ودوافعها، وكان طلب العلم من الأسباب الرئيسية لرحلات التواتيين إلى جانب الحج، وبالإضافة إلى التاريخ والتراجم والرحلات هناك:

أ-الوصايا: ومن أهم ما كتب في هذا الباب، هذه الوصية التي كتبها الشيخ أبو العباس سيدي أحمد زروق بن صابر البداوي (ت 1244هـ)، حيث يقول فيها:

¹ - ينظر: التاريخ الثقافي لإقليم توات، الصديق حاج أحمد، ص 150.

² - الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد جعفري، 144/2.

³ - التاريخ الثقافي لإقليم توات، الصديق حاج أحمد، ص 150.

⁴ - ينظر: الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد جعفري، 158، 149/2.

⁵ - ينظر المرجع نفسه، 157/2-158.

" عليك بتقوى الله الذي لا بد من لقاءه، واحذر مخالفة أمره في شدته ورخائه، وأحدث لكل ذنب توبة، ولكل التفاتة أوبة، فإن المرء غير معصوم من الزلل، وغير واثق بنفسه في دوام العمل، من عز عليه دينه هانت عليه الأمور كلها، ومن ترك نفسه دارت عليه الدوائر، فلا في الدنيا يفلح، ولا في الآخرة ينجح... من كان شرفة بعمله أدرك جميع آماله، ومن كان شرفه بنسبه كانت نجاته أبعد من عطبه، والناس أبناء أخلاقهم، ومن أحب قوما كان منهم، فاحذر حب الظلمة وموالاتهم، وجانب أبناء الدنيا ومخالطتهم..."¹.

ب-الخطب: من أشهرها ما كتبه الشيخ سيدي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر التتلائي، وهي كثيرة نذكر منها هذه الخطبة التي يقول فيها:

" الحمد لله الذي تصرف في خلقه كيف شاء وأراد، ويسر الكل لما خلق له فلا يصرف عنه ولا يزداد، الذي من علينا بخير البركة، وألهمنا لاتباع طريقته، المنزه عن الشبه والشريك والنظير، الذي لا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير... أيها الناس تحببوا إلى الله ببعض أهل المعاصي، وتقربوا إلى الله بالتباعد عنهم فما رضي الله بسخط كل عاصي... وعليكم وفقكم الله باتباع سنة نبيكم، واتقوا العمل المؤدي لجهنم..."².

ج-الرسائل: ومنها في هذا الباب، هذه الرسالة التي بعث بها الشيخ سيدي عبد الله بن سيدي عبد الرحمن بن عمر التتلائي (1221هـ)، لابن عمه الشيخ سيدي عمر بن عبد الرحمن التتلائي، يعتذر فيها حيث يقول:

" إلى أئحينا النبيل، الأوحد المثيل، الخليل الجليل، الفقيه المطالع، الكاتب البار، الذي جمع المكارم مسارع، أبي حفص سيدي عمر بن عمنا الحاج عبد الرحمن، كلاه ورعاه، وأنجح بمنه ومطلبه ومسعاه. وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته، هذا وقع مني إليك ما أوجب عن اعتزار، وإلى مرضاتك

¹ - ينظر: الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد جعفري، المرجع السابق، 116، 115/2.

² - المرجع نفسه، 121، 120/2.

أن أسعى وأبتدر ...، فإن رأى سيدنا أن يحط عن أخيه بعض أحماله، ويحتسب الأجر في إبلاغ أماله، فذلك المرجو من فضله ...، والله يقيك ويرقيك والسلام"¹.

المصطلحات الشائعة في منطوق إقليم توات:

والآن نستعرض بعض المصطلحات الشائعة في الاستعمال العامي لمنطقة توات ودلالاتها:

1- البهدلة: في الاستعمال الفصح كانت تدل على الخفة والإسراع في المشي²، ثم تطورت في عاميتنا لتدل على الشخص الذي لا يكثرث أو يهتم بنفسه، وذلك في قولهم: "مبهدل".

2- بهظة: الأمر غلبه وثقل عليه، وبلغ به مشقة، والراحلة أوقرها فأتعبها، هذا ما اصطاح عليه علماء اللغة في معاجمهم³، وفي اصطلاح التواتيين "بھضني" بقلب الظاء إلى ضاد أفزعني وأقلقني من غفلة أو نوم، فكأن الفرع مقرون بالمشقة.

3- بطّ: وجاء في معجمات العربية بطّ الجرح بيّطه أي شقه، وفي الحديث أنه دخل على رجل به ورم فما برح حتى بَطَّ أي شُقَّ⁴.

بَطَّ في لهجة توات تعني ضرب، فكأن الشق أو الجرح مستلزم للضرب، لذلك بقي هذا الفعل يدل في عامية توات على الضرب.

4- البوغاء: تدل في الاستعمال الفصح التربة الرخوة كأنها ذريرة⁵، وقد تطور هذا اللفظ في عامية توات ليطلق على الرمل أو التربة والحطب المشتعلين، ويستعملان لانضاج الملة بعد أن تسخن الرضفة⁶

¹ - قطف الزهرات، سيدي عمر عبد العزيز، ص 94.

² - القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، دط، 3/ 349.

³ - نفسه، 2/ 407.

⁴ - تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح عبد الستار أحمد فراج وآخرون، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1408هـ/1987م، 5/ 108.

⁵ - القاموس المحيط، 3/ 107.

⁶ - تطلق على الحجارة المحماة في اصطلاح التواتيين، والمستعملة لمختلف أصناف الطهي الشعبي، وهذا اللفظ صحيح، ينظر: القاموس المحيط، 3/ 147.

بشكل جيد، ثم يوضع فوقها العجين، ويجرق سطحه حتى لا يتسخ، بعدها توضع فوقه البوغاء أو البوغى بحذف الهمزة، وتترك حتى تنضج.

5- الثفال: بالكسر الجلد الذي يبسط تحت رحي اليد، ليقى الطحين من التراب¹، ومنه قول زهير:

فتعركم عرك الرحي بثفالها وتلقح كشافا ثم تنتج فتتم²

وفي توات تقول المرأة: ماشية نتفل الرحي، أي ذاهبة لتثفيل الرحي، بمعنى تهيئة الرحي لعملية الطحن، وذلك بإحضار الجلد الذي يبسط تحت الرحي، ثم وضع الرحي في وسطه.

فقد بقي التثفيل متعلقا بعملية الطحن، غير أن معناه انحرف قليلا من الدلالة على الجلد الذي يبسط تحت الرحي إلى عملية تهيئة الرحي.

6- الطرش: تستعمل هذه اللفظة للدلالة على الصفع في اصطلاح التواتيين، والطرش في الفصيحة الصمم أو أهون الصمم³، ويبدو أن الصفع قد يؤدي إلى الصمم في بعض الأحيان، أو إلى أهون الصمم، لذلك تطور معنى الكلمة من الشيء إلى ما يؤدي إليه.

7- لبد: يقول التواتيون للشيء إذا اختفى ولم يظهر "لبد"، وهو "ملبد" أي مختفي، ولبد لبودا كما في المعاجم، بمعنى أقام بالمكان ولزق به، والشيء بالشيء لصق به، ولبد لبدا بالأرض أقام فيها، ولبدده جعله لبدا، والقميص رقعته وألصق بعضه ببعض حتى صار كاللبد⁴.

ويتضح لنا من مضمون الكلام أن وشيجة بين المعنيين موجودة، فالشيء لا يختفي إلا إذا لصق بمكان أو بشيء آخر حتى تستحيل رؤيته فكأن الاختفاء يقتضي الإلصاق.

¹ - لسان العرب، ابن منظور، ج11، مادة (ثفل).

² - شرح المعلقات السبع، للزوزني، دار بيروت للطباعة والنشر، 1980م، ص 81.

³ - القاموس المحيط، 287/2.

⁴ - معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1377هـ/1958م 5/141، 140.

8- **القَبُّ**: في اصطلاح التواتيين يعني الجيب وهو يرادف اللهجات العربية الأخرى، وقد تطور معناها، فهو في العربية الفصحى ما يدخل في جيب القميص من الرقاع¹.

9- **القُوس**: بالضم صومعة الراهب² وقيل رأسها، أو هي الراهب نفسه، وأنشد ابن بري لذي الرمة:

على أمر منقَدَّ العفاءِ كأنه عصا قَسْنِ قُوسٍ ليُنْهَها واعتدالها³

والقوس في العربية أيضا بيت الصائد⁴، وقد تطور معناها في اصطلاح التواتيين، فالقوس بفتح القاف وتفخيم السين، الغرفة وما يُصطاد به، فالتبدل حصل في الداليتين، دلالة صومعة الراهب التي تحولت إلى الغرفة، ودلالة بيت الصائد إلى ما يُصطاد به.

10- **الرَّحْبَة**: والرحبة من المكان ساحته وامتسعه، ومن الوادي مسيل مائة من جانبيه، والأرض الواسعة المنبتات المحلال⁵.

لقد انكشئت دلالة هذه الكلمة في عامية توات، فأصبحت الرحبة بإسكان الحاء، تطلق على الكنيف أو مكان قضاء الحاجة.

11- **الرُّزِيَّة**: وهذه الكلمة من ألفاظ التضاد، فهي تعني الحفرة والمنخفض، قال أبو هلال العسكري: "الرُّزِيَّة حفيرة تحفر للأسد وتغطي، ويجعل فوقها طعم له، فإذا غشيه وقع فيها"⁶.

فالزبية حفيرة الأسد ولا تتخذ إلا في قُلة أو رابية أو هضبة، وقال الراجز:

فأنت والأمر الذي قد كيدا كاللذِّ تزبِّي زُبِيَّة فاصطيدا¹

¹ - القاموس المحيط، 1/117.

² - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين أحمد الخفاجي، تحقيق محمد كشاش، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1998م، ص 243.

³ - تاج العروس، 4/225.

⁴ - القاموس المحيط، 2/252.

⁵ - معجم متن اللغة، 2/560، 561.

⁶ - التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، أبي هلال العسكري، تحقيق عزة حزين، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1970م، ص 744.

وقد اعتري هذه اللفظة انحراف في المستوى العامي لمنطقة توات، فأصبحت الزبية تطلق على المكان الذي ترمى فيه الزبالة أو القاذورات، بعد ما كانت تعني المرتفع والمنخفض في المستوى الفصيح.

12- النوش: وهي تعني في المعنى القديم التناول والطلب والمشى والإسراع في النهوض، النُوشُ القوي، والتناوش التناول كالانتياش والرجوع، وانتاشه أخرجه، والمناوشة المناولة في القتال².

وقد تبدل معنى هذه اللفظة في عامية التواتيين، ناش الحجرة بمعنى رماها وألقاها إلى مكان بعيد، فالتطور في المعنى ظاهر، والعلاقة بين الإسراع والرمي موجودة ولو بصفة قليلة.

تلك أمثلة يسيرة للدلالة على وجود ظاهرة التطور الدلالي وامتدادها للمصطلحات التواتية، وما تتوفر عليه هذه اللهجة من مفردات ذات دلالات معينة.

التطور الدلالي في ألفاظ التضاد:

التضاد هو دلالة اللفظ على معنيين بمساواة بينهما³، ومن أمثلته "الجون" للأبيض والأسود، و"الجلل" للصغير والكبير، والصارخ " للمغيث والمستغيث⁴، وقد عدّه العلماء نوعاً من المشترك، لدلالة اللفظ الواحد على أكثر من معنى، ولذلك قالوا: المشترك يقع على شيئين ضدين، وعلى مختلفين غير ضدين، فما يقع على الضدين كالجون والجلل، وما يقع على غير الضدين كالعين⁵، وإذا جاز وقوع اللفظ الواحد للشيء وخلافه جاز وقوعه للشيء وضده، لأن الضد ضرب من الخلاف كما يقول ابن سيده⁶، وصرح السيوطي: بأن المتضاد نوع من المشترك⁷، وعلى هديه سار كثير من المحدثين⁸.

¹ - الكامل في اللغة والأدب، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، مؤسسة المعارف، بيروت، 1/ 11-12.

² - القاموس المحيط، 2/ 302-303.

³ - علم اللغة بين القديم والحديث، عبد الغفار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي مصر، ط2، 1986م، ص 291.

⁴ - المزهري في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، 1/ 390.

⁵ - نفسه، ص 387.

⁶ - المخصص، لابن سيده، 13/ 259.

⁷ - المزهري، 1/ 387.

⁸ - علم اللغة بين القديم والحديث، ص 292.

ولنشأة التضاد أسباب كثيرة منها اختلاف اللهجات العربية، كأن يدل اللفظ على معنى في قبيلة وضده في أخرى، أو أن يحصل للكلمة تطور صوتي أو نقل عن طريق المجاز، أو غير ذلك من الأسباب والعوامل المتشابهة.

وقد تضاربت آراء العلماء بين منكر ومؤيد له، غير أن التضاد موجود في العربية، ولكن ليس بالصورة التي تصورها العلماء¹.

وما يهمنا من كل هذا هو استقراء لبعض المفردات التي ذكرت في المعاجم، ومظان اللغة بأنها ألفاظ التضاد، وعثرنا عليها في استعمالاتها اللهجية، وذلك لمعرفة ما اعترى هذه الألفاظ من تبدل دلالي.

1-البَّنة: بفتح الباء في العامية والفصحى معاً²، وهي تعني في اصطلاح التواتيين المذاق أو النكهة الجيدة، وقد يوصف بها الشيء أيضاً، كأن يقولوا معلقين على أكلة فاسدة: فيها بنة شينة، أي مذاق غير حسن. ونجد هذا المعنى يتعدى الدلالة على الأكل أو المذاق ليوصف به الإنسان ذو الطباع أو النعوت القبيحة، فهم يقولون للشخص المنبوذ: "ما فيه بنة ولا طعمة".

أما البنة الفصحى فهي من الأضداد، فالبنة الرائحة الطيبة، كرائحة التفاح ونحوه، والرائحة المنتنة كرائحة مرايض الغنم، وهي تطلق على ریح بعر الضباء، ومنه يقال: كِناس مِبْنٌ³.

وإذا عدنا إلى الكلمة في استعمالها العامي في منطقة توات أو غيرها من المناطق، ندرك أن تطورا دلاليا قد اعترى الكلمة، فتحولت من كلمة تدل على مشموم أو رائحة إلى كلمة تدل على مذاق أو نكهة، مع حفاظها على دالة التضاد في عامية توات.

2- بَسَل: البَسَل في اللغة تعني الحرام، قال أبو زيد الأنصاري معلقا وشارحا بيت ضمرة بن ضمرة النهشلي:

¹ - علم اللغة بين القدم والحديث، المرجع السابق، ص 296.

² - الأضداد اللغوية الفصيحة في العامية الجزائرية، عبد الجليل مرتاض، مجلة التراث الشعبي، العدد السادس، 1980م، ص 08.

³ - القاموس المحيط، 205/4. ومعجم متن اللغة، 1/351.

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسَّلَ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِتَابِي

بَسَّلَ عَلَيْكَ حَرَامَ عَلَيْكَ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: "هِيَ بَسَّلٌ وَهِيَ بَسْلٌ وَهِيَ بَسْلٌ، الْوَاحِدُ وَالْإِثْنَانُ وَالثَلَاثَةُ"¹.

وَهِيَ تَعْنِي الْحَلَالَ أَيْضًا، وَالرَّجُلَ الْكَرِيهَ الْوَجْهَ أَوْ الْمُنْظَرَ²، وَتَبَسَّلَ وَجْهَهُ كُرِهَتْ مَرَاتِهِ وَفَضَعَتْ³.

بَقِيَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَرَاوَحَ هَذَا الْاسْتِعْمَالِ، أَيِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْوَجْهِ الْقَبِيحِ وَذَلِكَ بِاسْتِعْمَالِ اسْمِ الْفَاعِلِ مِنْهَا "بَسَّلَ"، أَوْ اسْتِعْمَالِ الْمَصْدَرِ "بَسَّالَةٌ" وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى الْقِدَارَةِ أَوْ الْقَبِيحِ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ. وَقَدْ فَنَى الْمَعْنَى الدَّالَّ عَلَى الْحَلَالِ مِنَ الْاسْتِعْمَالِ اللَّهْجِيِّ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ لِمَسْنَاهَا فِي أَغْلَبِ الْمَصْطَلِحَاتِ، بِحَيْثُ بَقِيَ مَعْنَى وَسَقَطَ آخَرُ.

3- تفل: هَذِهِ الْفَلْظَةُ الْغَرِيبَةُ فِي الْفَصْحَى الشَّهِيرَةِ فِي الْعَامِيَّةِ، مِنَ الْأَضْدَادِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْفَصِيحِ، وَمَعْنَاهَا فِيهِ: الطَّيِّبُ وَالْحَبِيثُ، فَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ تَاجِ الْعُرُوسِ أَنَّ تَفْلًا يَتَّفَلُ مِنْ حَدِّ نَصْرٍ وَضَرْبِ تَفْلَا بَصَقٍ، وَالتَّفَالُ وَالتَّفَالُ بَضْمَهُمَا وَكَسْرُهُمَا مِنْ لُغَةِ الْعَامَةِ "البُصَاقُ".

وَتَفَلَ الرَّجُلُ كَفَرَحَ تَرَكَ الطَّيِّبَ فَتَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُ وَهِيَ تَفْلَةٌ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ (لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ وَليُخْرِجَنَّ إِذَا خَرَجَنَّ تَفَلَاتٍ)، أَيِ تَارَكَاتِ الطَّيِّبِ، أَيِ لِيُخْرِجَنَّ بِمَنْزِلَةِ التَّفَالَاتِ أَيِ الْمُنْتَنَاتِ⁴.

وَيَتَضَحُّ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ الْمَعْنَى الدَّالَّ عَلَى الطَّيِّبِ أَوْ الرَّائِحَةِ الْحَسَنَةِ قَدْ زَالَ مِنَ الْاسْتِعْمَالِ الْكَلَامِيِّ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا غَيْرُ الْمَظْهَرِ الدَّالِّ عَلَى الشَّيْءِ الْحَبِيثِ، كَمَا أَنَّ الْمَشْتَقَاتِ: تَفَلَ وَتَفَلًا وَمَتَفَالًا غَيْرُ مَوْجُودَةٍ، رَغْمَ أَنَّهَا جَمِيعًا تَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ الْمُنْتَنِ عِدَا اللَّفْظَيْنِ: "تَفَلٌ عَلِيَّةٌ" فَعَلَ مَاضٍ، وَ"التَّفُولُ بِإِبْدَالِ الْأَلْفِ وَوَاوٍ هُوَ اسْمٌ لِمَا يَرْمَى مِنْ بَصَاقِ الْفَمِ.

4- ذفر: الذَّفْرُ فِي اللَّغَةِ كُلِّ رِيحٍ ذَكِيَّةٍ مِنْ طَيِّبٍ أَوْ نَتْنٍ¹، فَذَفَرَ الشَّيْءُ ذَفْرًا رِيحَهُ فِي الطَّيِّبِ وَفِي النَّتْنِ².

¹ - النُّوَادِرُ فِي اللَّغَةِ، أَبُو زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ، بَيْرُوتَ، دَط، 1894م، ص 143، 145.

² - الْقَامُوسُ الْمَحِيْطُ، 3/ 345.

³ - مَعْجَمُ مَتْنِ اللَّغَةِ، 1/ 295.

⁴ - تَاجِ الْعُرُوسِ، 7/ 240. وَمَعْجَمُ مَتْنِ اللَّغَةِ، 1/ 399.

وفي اصطلاح التواتيين يقبلون الدال زايا فيقولون: زَفْرَة، وهم يقصدون بذلك الرائحة الكريهة التي تنبعث من الجسد أو غيره. فقد سقط المعنى الدال على على الرائحة الحسنة، وبقي المعنى الدال على على الرائحة المنتنة.

5- التلعة: وهي من ألفاظ التضاد، وهي تدل على ما ارتفع من الأرض وما انخفض منها³، ويبدو أن ميل الأصوات إلى الجهر وخاصة في لهجات البدو، قد دفع إلى التعاقب النطقي بين التاء والطاء، فنطقت الكلمة بالطاء أي "الطَّلعة" بدلا من التلعة، وهي تعني في اصطلاح التواتيين ما ارتفع من الأرض وعلا، وقد زال المعنى النقيض أو الضد الدال على الانخفاض.

6- نصل: يقال في فصيح الكلام: نَصَلَ السهم إذا خرج نصله، ونصل السهم أيضا إذا ثبت نصله في الشيء لم يخرج⁴ وبأبهما "دخل"، وكلاهما ضد الآخر، وَنَصَّلَ وَأَنْصَلَ بتعدية الفعل بالهمز أو التضعيف، السهم تنصيلاً وإنصالاً: إذا نزع نصله وركب عليه النصل، وال ضد كامن في هذا التعبير الخاص بالنصل والسهم ونحوهما.

أما في العامية الجزائرية فيقال: نَصَّلَ (بالتضعيف) الشيء إذا نزع، كأن يقال بصيغة الأمر: نَصَّلَ الباب: أي أقلعها أو انزعها من الحائط، ونصل المدية أو الشفرة من مقبضها، ولا تقال بصيغة تعدية الفعل بالهمز كما هو الحال في الفصحى⁵.

وهي كسائر مثيلاتها في الألفاظ التي بقيت تدل على إحدى الداليتين، وعوضت الدلالة الثانية فيها بضدها من غير جنسها، أي بالفعل "ركب الشيء" ونحوه.

¹ - المخصص، ابن سيده، 265/13.

² - معجم متن اللغة، 499 / 2.

³ - التضاد في ضوء اللغات السامية، رجي كمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1975م، ص 70.

⁴ - معجم متن اللغة، 475 / 5.

⁵ - الأضداد اللغوية الفصيحة في العامية الجزائرية، عبد الجليل مرتاض، ص 17.

7- **المجمر:** وهذا المصطلح على وزن مبرد في الفصحى، وعلى وزن مكتب في العامية، وهو ما يوضع فيه الفحم أو الدخنة¹.

وفي اصطلاح التواتيين بقي في الاستعمال الشعبي الدال على الضدية لمعنى "المَجْمَر"، وهو العود الذي يدخن به فلا يعرف فيها بهذا المعنى².

العامي الفصيح:

إن العلاقة بين اللغة العربية الفصحى والعامية الدارجة تكاد تختفي من أذهان كثير من الناس، حتى تصور بعضهم أن اللهجة الدارجة لغة دخيلة على الأصل، لأنهم توهموا غلبة القليل على الكثير، إذ أن العامية دخلت فيها بعض الألفاظ القليلة التي تعود إلى أصل فارسي أو تركي أو انجليزي، فاعتقد هذا الفريق أن هذه الألفاظ هي اللغة العامية، في حين أن الأمر ليس كذلك، إذ لا عبرة بالنادر القليل بل الشائع الغالب³.

ولا بد لنا من الإشارة إلى أن تحول الفصيح إلى العامي، وخلو الفصيحة المعاصرة منه يرجع إلى أسباب منها:

- أن الفصيح القديم ننا قلّت الحاجة إليه، وذلك لأنه يتعلق بدلالة بعدت عن اهتمام المعربين منها.
- أو أنها مما زالت من حيز الفصيح فقبعت في العامية، وأن غيرها يسد مسدها.
- أو أنها كانت لغة خاصة في بيئة معينة، فلم يكن لها من الشمول وهي فصيحة فتحوّلت لخصوصيتها عامية⁴.

¹ - الأضداد اللغوية الفصيحة في العامية الجزائرية، عبد الجليل مراتض، المرجع السابق، ص17.

² - المرجع نفسه.

³ - مفردات فصيحة حفظتها اللغة الشعبية، خالد أحمد المشهداني، مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث والرابع، 1981م، ص 249.

⁴ - العربية تاريخ وتطور، إبراهيم السمراي، مكتبة المعارف، بيروت لبنان، ط1، 1993م، ص302.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه اللغة العامية قد اكتسبت مع الزمن في استعمالها الجديد الشعبي نمطا جديدا، فقد عرض لها شيء من التحوير والقلب الإبدال، كما زيد في أحرفها أو نقص حتى بعدت ونأت عن سمتها القديم.

وعلى هذا سنحاول إظهار بعض المفردات التي تتداولها في اصطلاحنا الشعبي والتي حافظت على قيمها الدلالية الفصيحة، بعد أن تنكرت لها الفصحى المعاصرة، واحتفظت بها العامية المعبرة عن أحوال الناس، من أجل أن نبين العلاقة واضحة جلية متينة بين العربية الفصحى والعربية العامية، لأن بعض الناس بلغ بهم التطرف حدا لا يعتبرون العامية لغة عربية ذات أصول قديمة.

والآن نستعرض بعض الألفاظ الشائعة في الاستعمال العامي لمنطقة توات ودالاتها:

1- باهت: يقولون فلان باهت، إذا كان حيراناً، والبهيتة: الباطل الذي يتحير من بطلانه¹. فقد بقي هذا الاستعمال الفصيح شائعاً ومتداولاً على ألسنة العامة في منطقة توات، رغم خلوه من الفصيحة.

2- برّق: يقال: برق عينيه تبريقاً وسعهما، وله أصول في اللغة²، كما يقولون: فلان برّق فلان قدام فلان، أي كذّبه³.

لقد بقي هذا المصطلح مستعملاً بهذا المعنى الدلالي متداولاً في الاستعمال الخطابي للتواتيين.

3- بگّة: بكّ الشيء يبكُّه بكّا خرقة وثقبه⁴، وهذا المصطلح حافظ على معناه عند التواتيين.

4- بهلول: يقولون فلان بهلول، قال في الزاهر: البهلول الناقص العقل، وقال في القاموس: البهلول الضحاك والسيد الجامع للخير¹. ولا نجد البهلول بفتح الباء في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نظفر به في اصطلاح العامة وفي خطاباتهم اليومية.

¹ - القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب، محمد بن أبي السرور الصديق الشافعي، تح سيد إبراهيم سالم، دار الفكر العربي، مصر، دط، دت، ص 20.

² - المرجع نفسه.

³ - معجم شمال المغرب، عبد المنعم سيّد عبد العال، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 1968م، ص 25.

⁴ - القاموس المحيط، 305/3. ومعجم متن اللغة، 1/ 329.

5- البور: جاء في الكتب العربية البور: الأرض التي لم تزرع والمعامي المجهولة والأغفال ونحوها. وفي كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة: "ولكم البور والمعامي وأغفال الأرض"، وهو بالفتح مصدرًا وروي بالضم².

وهو بهذه الدلالة في لغة الزراع في توات، ولا نكاد نسمعه في الفصيحة المعاصرة.

6بيط بمعنى **بيص**: يستعمل الأطفال الصغار في بعض ترقيصاتهم وألعابهم هذه العبارة "حَيْطُ بَيْطُ"، وهي محرفة لا محالة عن العبارة اللغوية القديمة "حَيْصَ بَيْصَ" بفتح الباء، جاءت في قولهم: وقعوا في حيص بيص، وكلمة "حَيْصَ" تعني الحيد عن الشيء، وقوله عز وجل: (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ)³ أي مهرب، وكان الكلمة أُلْف استعملها في الحيد عن الشر خاصة، ولزيادة المعنى اتبعت في المثل كلمة "بَيْصَ" التي تفيد تقوية المعنى، وهو ما يسميه العلماء واللغويون بالاتباع كقولهم: تفرقوا شذر مذر⁴.

وعليه فالصغار يقولون: حَيْطُ بَيْطُ للدلالة على المعنى السالف أو قريباً منه، ولا نجد هذا في الفصيحة المعاصرة.

7- تَفُّ: وينطقها أهل توات "تَفُّ" على وجه فلان⁵، قال بعض أئمة اللغة: تقال عند قبح الفعل، والتَفُّ وسخ الظفر، والتَفُّه المرأة الحقورة، والتفتاف من يلقط أحاديث النساء... كالمفتفت، والجمع تفتافون وتفتاتف⁶.

ينطق بهذه الكلمة أي "تَفُّ" بإشباع الضمة حتى تصير واوًا خالصة، أي "تَفُّو" وذلك تعبيراً عن الأغراض والمعاني السالفة الذكر.

¹ - القول المقتضب، ص 134. والقاموس المحيط، 3/ 350.

² - العربية تاريخ وتطور، إبراهيم السمرائي، ص 309.

³ - سورة الشورى، الآية 35.

⁴ - العربية تاريخ وتطور، ص 309.

⁵ - القول المقتضب، ص 106.

⁶ - القاموس المحيط، 3/ 124.

8- تكة: التِّكَّة بالكسر ما تربط به السراويل مُعَرَّب¹، وجمعه تِكْكُ، واستتكَ التِّكَّة أدخلها فيها².

ويبدو أن هذه الكلمة المنتشرة في اصطلاح أهل توات في الفترات السابقة هي في طريقها إلى الزوال، كما أفلت من الفصيحة المعاصرة لاستغناء العامة عنها وانتشار الوسائل الحديثة التي تعوض نطقها.

9- تليس: نوع من السجاد الرخيص، يصنع من وبر الماعز، وهو خفيف النسيج يفرش على الأرض، ويستعمله فقراء المغاربة، والمادة عربية. ولزوال استعمال هذه الأفرشة واستغناء الناس عنها زالت هذه الكلمة من أفواه الناس في توات.

10- جاب: يقولون في توات وغيرها من المناطق: جَابَ أي أتى بالشيء، قاله بعض أئمة اللغة، وهي منحوتة من جاء به³.

11- جَعْبَة: ذكرت المعاجم أن الجُعْبَة هي كنانة الشباب، وجمعها جِعَابٌ، وقد تطلق على أكبر أواني الشرب، وجَعَبَهَا صَنَعَهَا، والجِعَاب صَانِعُهَا⁴. وهي في عامية التواتيين تطلق على فوهة البندقية لاستدارتها، وهي كلمة فصيحة.

12- جفلت: وجفل الظليم وأجفل إذا شرد فذهب، وهو يجفل جفولا وأجفل: ذهب في الأرض وأسرع، والجافل المنزعج، وأجفل القوم انجفالا إذا هبوا بسرعة وانقلعوا كلهم ومضوا، وفي الحديث لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة: انجفل الناس قبله، أي ذهبوا مسرعين نحوه، وانجفلت الشجرة إذا هبت بها ريح شديدة فقعرتها⁵.

يقول أهل توات إذا نفرت الدابة: جَفَلْتُ، وَجَيْمٌ جَافِلٌ هَيْمٌ جَافِلٌ إذا استعصى انقياده.

¹ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص 104.

² - القاموس المحيط، 3/ 307.

³ - القول المقتضب، ص 17.

⁴ - تاج العروس، 1/ 183.

⁵ - لسان العرب، ابن منظور، ج11، مادة (جفل).

13- الحبق: والحَبْقُ دواء من أدوية الصيادلة، والحبق الفونذج: وهو نبات طيب الريح مربع السوق، وورقه نحو ورق الخِلاف، منه سُهلي ومنه جبلي وليس بمرعى، وجمعه جِباق¹.

لا يزال التواتيون يطلقون هذا الاسم على النبات أو الدواء بقولهم: حَبْقُ.

14- الحدبة: الحدب في عرف اللغويين وأرباب المعاجم الغلط المرتفع من الأرض، والجمع أحداب وحداب، ومن الأرض ما أشرفَ وغلَطَ وارْتَفَعَ، ولا تكون الحدبة إلا في فُفٍ أو غلظ أرض².

وهذا اللفظ يستعمل في اصطلاح التواتيين، ففي لغة الزراع "الحَدْبُ" الأرض المرتفعة التي بها حجارة وحصى، فيصعب استخدامها واستصلاحها للزراعة.

15- حرن: حرنت الدابة تحرن حِرانا وحُرانا، وحرنت لغتان وهي حرون: هي التي استُدِرَّ جرينها ووقفت³.

وهذا الفعل مما بقي في لساننا الدارج، وفي بعض الألسن الدارجة، وقلما يرد في استعمال المعاصرين في عربيتهم المعاصرة، وقد يستعار نبذا للرجل الذي يتوقف في أمر فلا يدرك وجهه الصحيح⁴.

16- حفف: المرأة تحفُّ وجهها حفاً: تزيل منه الشعر، واحتفَّت المرأة وأحفَّت: تأمر من يحفُّ شعر وجهها نتفاً بخطين، وحفف شعره نتفه، وحف رأسه وشاربه أخفاهما، والحفافة ما سقط من الشعر المحفوف⁵.

وهذا من الكلام الذي زال، ولم يبق إلا في اللسن الدارجة.

¹ - لسان العرب، ج10، مادة (حبق).

² - تاج العروس، 1/ 206.

³ - لسان العرب، ج13، مادة (حرن).

⁴ - العربية تاريخ وتطور، ص 103.

⁵ - تاج العروس، 6/ 72، 73.

17- خربش: من معاني الخربشة إفساد العمل والكتاب، يقال: كتب كتابا مخربشا، وكتاب مخربش مفسد.

وهذا اللفظ موجود في اصطلاح التواتيين والمتداول على ألسنتهم وحتى بعض الألسن الدارجة، ولا نكاد نظفر به في الفصحى من عصرنا¹.

18- خرص: جاء في معاني الخرص مصدرا: حَذَرَ ما على النخل من الرطب تمرا، ومن العنب زيبيا، وهو من الظن الحزر، إنما هو تقدير بظن يقال: كم خِرس أرضك؟ وكم خِرس نخلك؟ بكسر الخاء، وفاعل ذلك الخارص، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الخُراص على نخيل خيبر عند إدراك ثمرها، فيحزونه رطبا كذا وتمرا كذا².

وهذا الكلم أو الفعل مما نعرفه في اصطلاح التواتيين، وخاصة في عامية الزراع وأرياب حساب مياه الفقاقير، وهو لفظ شائع ذائع حتى يومنا هذا، وإن كان سقط من الاستعمالات الخطائية الفصيحة.

19- خنز: خَنَزَ اللحم كَفَرِحَ خنوزا وخنزا أنتن فهو خنزٌ وخنزٌ³. لقد حافظت لهجة توات على هذا الفعل في منطوقها، وحافظ الفعل على الدلالة الفصيحة نفسها.

20- خنن: جاء في كتب اللغة العربية الخنين: وهو خروج الصوت من الأنف، من خَنَّ يَخَنَّ خنينا، وقال الأعرابي: النشيج من الفم، والخنين من الأنف وكذلك النخير⁴.

وهذا اللفظ من اللغة الدارجة في توات، وفي مناطق وبلدان أخرى⁵، ولا نكاد نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

¹ - العربية تاريخ وتطور، ص 318.

² - لسان العرب، ج 7، مادة (خرص).

³ - تاج العروس، 34 / 4.

⁴ - لسان العرب، 143 / 13.

⁵ - العربية تاريخ وتطور، ص 320.

21- دبر: الدبرة بالتحريك قرحة الدابة والبعير، والجمع دَبْرٌ وأدبار مثل شجرة وأشجار، ودَبَرَ البعير بالكسر يدبر دبرا فهو دَبْرٌ وأدبر، والأنثى دِبْرَةٌ ودبراء، وإبل دَبْرَى، وقد أدبرها الجمل والقنب¹.

والدَّبرَةُ بتفخيم الدال في اصطلاح التواتيين تطلق على المعاني السالفة الذكر، وهو مما لا نظير به في الفصيحة المعاصرة.

22- دحس: من معاني الدحس أن تدخل يدك في جلد الشاة وصفاقها فتسلخها²، والمعنى الإدخال³، ومنه أيضا قولك: دحست الثوب في الوعاء بمعنى أدخلته⁴.

وهذا من المصطلحات المتداولة عند أهل توات، ولا نكاد نقوله في لغتنا العربية المعاصرة.

23- دملج: والدُّمْلُج بفتح اللام وضمها زنبور المعضد من الحلبي، يقال: ألقى عليه دماليجه، والدملجة تسوية الشيء وصنعتة كما يدلج السوار، ودملج الشيء إذا سواه وأحسن صنعتة⁵.

والدبلج بإبدال الميم باءً يطلق في اصطلاح التواتيين على السوار، وجمعه دبالج، وهي كلمة فصيحة وإن اعتراها الإبدال في المستوى الصوتي.

24- دهل: في المعاجم العربية الداھل هو المتحير، قال الأزھري: أصله داله، أي أن الداھل مقلوب الداله⁶.

وفي اصطلاح أهل توات الداله المتحير الذي لا يدري الصواب من الأمور.

¹ - لسان العرب، ج4، مادة (دبر).

² - عيوب المنطق ومحاسنه، أحمد تيمور باشا، بقلم إبراهيم أنيس، دار تحفة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، دط، ص 93.

³ - تاج العروس، 4/ 146.

⁴ - العربية تاريخ وتطور، ص 222.

⁵ - معجم متن اللغة، 2/ 453.

⁶ - لسان العرب، ج11، مادة (دهل).

25- راز: رازه يروزه روزاً، جرب ما عنده وخبره، والروز التجربة والامتحان والتقدير¹. وهذا التعبير مما لا نجد في الاستعمالات العربية الفصيحة، إلا أن العامة في توات وبعض المناطق يقولون: راز السروال أي وضعه على جسمه ليعلم إن كان من مقاسه.

26- الرزة: رَزَّ الباب رَزًّا أصلح عليه الرزة، وهي حديدة يدخل فيها القفل، سميت لأنه يُرَزُّ فيها القفل أي يدخل، والجمع رزات، ورَزَّ الشيء في الشيء كالمسمار في الحائط أثبته، فارتَزَّ ثبت². لقد أطلقه أهل توات على الحديدة التي تربط الباب بإطاره، وإن خلت منه الفصيحة في استعمالاتها الآنية.

27- الرزمة: قال بعض أئمة اللغة: الرزمة ما شد في ثوب واحد ويفتح، ورَزَمَ الثياب شدّها³. وهذا المصطلح من المفردات التي يستعملها التواتيون إلى يومنا هذا.

28- الرضفة: الرَضْفُ الحجارة التي حميت بالشمس أو النار، واحدتها رضفة، والرَضْفُ الحجارة المحماة بوغر اللبن، وفي الحديث: كان في التشهد الأول كأنه على الرضف، وهي الحجارة المحماة على النار⁴. وهذا المصطلح بهذه الدلالة عند أهل توات.

29- زقى: زقى يزقي زقيا، والزقية الصيحة⁵، قال تعالى: (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً)⁶. وقرأ عبد الرحمن بن الأسود إنه في حرف عبد الله بن مسعود في رواية شاذة كُتِبَتْ "زُقِيَّة" بدل "صَيْحَةَ".

وقال أبو جعفر معقبا على هذه القراءة: هذا مخالف للمصحف، وأيضا فإن اللغة المعروفة: زقا يزقو إذا صاح فكان يجب على هذا أن يكون إلا زقوة⁷.

¹ - القاموس المحيط، 184/2.

² - تاج العروس، 37/4.

³ - القول المقتضب، ص 145.

⁴ - لسان العرب، ج 9، مادة (رضف).

⁵ - القاموس المحيط، 341/4.

⁶ - سورة يس، الآية 53.

⁷ - إعراب القرآن، أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية، 1985م، ط 2، 391/3.

ويستفاد من هذا أن زقى تعني صاح، والزقية الصيحة، ويلفظه أهل توات بنطق القاف جيما قاهرية، وهو فصيح، ولا نكاد نجد له اسما ولا رسما في عربيتنا المعاصرة.

30- زين: الزين خلاف الشين... والفعل زان، وما يتصل بالفعل من مفردات كله من فصيح العربية. وقلما يرد في الفصيحة المعاصرة الوصف بـ "الزين" خلاف الشين، ولكنه يستعمل كثيرا في اصطلاح التواتيين، وفي بلدان عربية أخرى كالعراق¹.

31- سرت: سَرَطَ الطعام سرتا بلعه، وليس "السِرَاط" من الفعل "سرت"، بل هو معرب من الرومية التي أرادوا بها الإغريقية². وهذا الفعل "سرت" مستخدم في أغلب اللهجات العربية بمعنى بلع.

32- شاف: يقولون: شاف الشيء أي نظره³، قال في القاموس: شاف الشيء أي نظره، وشفته شوفا: جلوته، ودينار مشوف: مجلو⁴.

وفي لسان التواتيين شاف تدل على الإبصار والملاحظة، والفعل يتوارد في أغلب اللهجات العربية⁵، ولا نكاد نذكر هذا في لغتنا العربية المعاصرة.

33- شكوة: الشكوة جلد الرضيع، وهو اللبن، وهو السقاء، وهو مسك السخلة⁶. والشكوة في عصرنا عامية لأنها لا تقال في الفصحى المعاصرة.

34- صكك: الصكُّ الضرب الشديد، والصكك: اضطراب الركبتين⁷. وهذا المصطلح موجود بدلالته بدلالته عند التواتيين، ولا شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

¹ - العربية تاريخ وتطور، ص 127.

² - المرجع نفسه، ص 130.

³ - القول المقتضب، ص 111.

⁴ - القاموس المحيط، 3/ 165.

⁵ - معجم شمال المغرب، ص 112.

⁶ - تاج العروس، 10/ 302.

⁷ - لسان العرب، ج 10، مادة (صكك).

35- صنان: يقولون: فلان رائحته "صُنَان"، الصُنَان والصننة: ذفر رائحة الإبط¹. وهذا المصطلح لا يزال مستعملاً لدى منطوق أهل توات بالدلالة اللغوية الفصيحة.

36- طاس: الطاس في العربية الفصحى الذي يُشرب فيه، ويشمل الإناء الصغير والكبير سواء كان المشروب ماءً أو غيره². لقد استعمله التواتيون بنفس الدلالة، وقد يضيفون إليه هاءً في آخره فيصير: "طاسه" للإناء الذي يوضع فيه الأكل أو الشرب.

37- طبطب: قال في القاموس: الطبطة صوت الماء وصوت تلاطم السيل، وطبطب صَوَّت³، وفي عامية التواتيين: طبطب إذا قرع الباب، والطَّبْطِيبُ: صوت قرع الباب، ولا نكاد نظفر بهذا الاستعمال الفصيح في العربية المعاصرة.

38- طبق: الطبق غطاء كل شيء، والجمع أطباق⁴. وهو في توات يصنع من سعف النخيل، ويستخدم لأغراض منزلية عدة، و"الطَّبَّقُ" بتشديد الطاء، وإبدال القاف جيماً قاهرية، وهو مذكر مؤنثه "الطَّبِيقَةُ"، ويفرق بينهما الشكل وطبيعة الاستخدام.

39- طحر: طَحْر يطْحُرُ طحيراً، والطَّحْر والطُّحَار والطَّحِير: النفس العالي من الصوت، وهو مثل الزحير أو فوقه⁵. وهذا من الكلام الدارج المتداول في لغتنا الشعبية، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

40- طرف: جاء في كتب اللغة "طُرِفَتْ عينه" وطرف بصره إذا أطبق أحد جفنيه من ألم أصابه، والطرفة: نقطة حمراء تحدث في العين من ضربة أو نحوها، والطَّرِيفُ والطَّارِفُ الشيء الجديد⁶.

¹ - القول المقتضب، ص 156.

² - مفردات فصيحة حفظتها اللغة الشعبية، خالد أحمد المشهداني، ص 251

³ - القاموس المحيط، 1/ 100.

⁴ - العربية تاريخ وتطور، ص 149.

⁵ - دراسة اللهجات العربية القديمة، داود سلوم، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1986م، ص 148.

⁶ - عيوب المنطق ومحاسنه، ص 132.

وفي اصطلاح أهل توات نجد المعاني الدالة على الألم أو الأذى الذي يصيب العين، فيقولون: عَيْنُو مَطْرُوفَةٌ وانظُرْتُ إذا علق بها قذى أو وسخ فأدى إلى احمرارها.

41- عرمة: والعرمة النبار من الحنطة والشعير¹ والذي اجتمع من الزرع بعدما درس، والعرمة مجتمع الرمل².

أما "العرمة" بتسكين الراء في اصطلاح التواتيين فتدل على كليهما، ولا نكاد نظفر بمثل هذا في الفصيحة المعاصرة.

42- عيط: يقولون: فلان عيط إذا صاح، وفي القاموس التعييط الجلبة والصياح والسيلان³.

و"لَعِيَّاطٌ" في اصطلاح التواتيين يحمل نفس دلالة الجلبة والصياح.

43- غبن: الغَبْنُ بالتسكين في البيع، والغَبْنُ بالتحريك في الرأي، وغبن الشيء فيه غبنًا وغبنًا⁴. وفي عامية توات اقتصر مصطلح "لَعَبْنٌ" على الأمور الحسية أو الملموسة، ففنى المعنى الدال على هذا الرأي.

44- غشيم: نجد في كتب اللغة غَشَمَ الحاطب: احتطب ليلا فقطع كل ما قدر عليه بلا نظر وفكر⁵. والغشيم مؤنثه غشيمة معناه الجاهل الذي لا دراية له، والذي لا يحكم صنعته⁶.

وهذا المصطلح ذائع الاستعمال عند أهل توات للدلالة على المعاني السالفة الذكر، لأن "لَعَشِيمٌ" هو الشخص الجاهل الذي لا يسحن التصرف ولا يدرك أمور حياته.

45- فحج: الفحج تباعد ما بين الساقين في الإنسان والدابة، وقيل تباعد ما بين الرجلين⁷.

¹ - لسان العرب، ج12، مادة (عرم).

² - القول المقتضب، ص 147.

³ - القاموس المحيط، 2/389.

⁴ - العربية تاريخ وتطور، ص 161.

⁵ - عيوب المنطق ومحاسنه، ص 271.

⁶ - القول المقتضب، ص 147-148.

⁷ - تاج العروس، 2/83.

و"الفجح" بتقديم الجيم على الحاء تباعد ما بين الساقين في الإنسان، وهذا معروف في لسان التواتيين، وقد يعسر عليك أن تقف عليه في العربية المعاصرة.

46- فرك: الفَرْكُ ذلك الشيء حتى ينقلع قشره عن لبّه كالجوز، وفركه يفرِّكه فركاً فانفرك.

والفَرْكُ: المتفرك وقشره، واستفرك الحُبُّ في السنبلَة: سَمِنَ واشتدَّ، وبُرِّ فَرِيك وهو الذي فُرِكَ وتُقِّي، وأفرك الحُبُّ حان أن يفرك، والفَرِيك طعام يفرك ثم يُلْتُ بسُمن أو غيره، وأفرك السنبل أي صار فريكاً، وهو حين يصلح أن يفرك فيؤكل¹.

وهذا المصطلح ذائع الاستعمال في عامية الزراع لحفاظه على دلالاته اللغوية دون تغيير.

45- فلج: الفَلَج من كل شيء التَّصْف، وقد فَلَجه جعله نصفين، وقيل الفَلَج اعوجاج اليدين وهو أفلج، والفَلَج تباعد ما بين الساقين، والفَلَج في الأسنان تباعد ما بين الثنايا والرباعيات، وهو أفلج الأسنان، وامرأة فَلَجاء الأسنان².

وهذا المصطلح ذائع عند التواتيين، لأن الفلج يعني التباعد ما بين الثنايا والرباعيات، والإنسان الذي تظهر فيه هذه الصفة يطلقون عليه اسم "بُوقَلَجَة".

48- فروة: الفروة في معاجم اللغة جلد الرأس بما عليه من الشعر يكون للإنسان وغيره، والفروة أيضاً شبه الخريطة من الجلد، ولا تسمى الجلد فرروة إذا لم يكن عليها وبر ولا صوف³.

لقد وظف أهل توات هذا المصطلح على دلالاته في الاستعمال.

49- فيش: قال المبرد: حدثني المازني قال: حدثني الأصمعي قال سمعت أعرابياً يقول: جاءت فُقيم تفايش بقباثلها أي تفاخر¹.

¹ - لسان العرب، ج10، مادة (فرك).

² - تاج العروس، 2/ 88.87.

³ - تاج العروس، 10/ 278.

وفي معجميات اللغة: فاش الرجل يفيش افتخر وتكبر ورأى ما ليس عنده، وهو فيّاش كشدّاد أي نفاخ بالباطل وليس عنده طائل، والفيش النفخ، والفيّاش المفاخر².

وهذا المصطلح حافظ على دلالاته ومعناه، ولا نكاد نعثر عليه في الفصيحة المعاصرة.

50- قرق: بالضم سكون عند عوام المغرب بمعنى الفعل، قال ابن قرمان:

بعثت قرقى إلى القراق يصلحه وقد تعذر قراط من الثمن

فامنن على شاعر خفت مؤنته قدر السؤال بقدر الناس والزمن³

والقرق بالفتح صوت الدجاجة⁴، أو صوتها إذا حضنت⁵.

نجد انتشارا واسعا لهذا اللفظ بإبدال القاف جيما قاهرية لنفس الدلالة، وقرقت الدجاجة إذا انقطع بيضها وأرادت حضنه.

51- كب: كبّ الشيء كبا قلبه وأهرقه⁶. وهذا اللفظ بالدلالة نفسها عند أهل توات، فيطلق على إفراغ ما في الإناء أو الكأس من شراب.

52- كركبه: قال صاحب القاموس معناه الحركة⁷، وكركب الشيء فتكركب أي قلبه وشوش نظامه فتقلّب، وهو محرف عن تكرتب علينا: أي تقلب علينا⁸. لقد بقي هذا المصطلح بنفس الدلالة في عامية توات بقولهم: تُكركب بمعنى التشويش والحركة.

¹ - الفاضل في اللغة والأدب، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دط، دت، ص 18.

² - تاج العروس، 4 / 336.

³ - شفاء الغليل، ص 236.

⁴ - القاموس المحيط، 3 / 288.

⁵ - لسان العرب، ج 10، مادة (قرق)، ص 322.

⁶ - القاموس المحيط، 1 / 152.

⁷ - القول المقتضب، ص 18.

⁸ - نفسه.

53- الكرناف: الكرناف والكرناف: أصول الكرب التي تبقى في جذع السَّعْف، الواحدة كُرْنافة وكِرْنافة، وجمع الكرناف كرانيف، وكُرْنَف النخلة جرد جذعها من الكرانيف¹. فنجد كل هذه التعابير والدلالات اللغوية الفصيحة في اللسان الدارج، وخاصة الزراع وأصحاب النخيل في إقليم توات.

54- ماعون: الماعون الآنية لكل شيء، ويطلق الماعون على المطر والفأس والقدوم والقدر ونحوها، والانقياد والطاعة². لكن هذا المصطلح اقتصر على لفظ الآنية، بجمعه يقولون: مَاعِين.

55- مرق: مرق السهم من الرمية يمرق مروقا: خرج من الجانب الآخر، والمروق: الخروج من شيء من غير مدخله، وكان ذلك بسرعة³.

تجاوز أهل توات في استعمال هذا الفعل فقالوا: مَرَّقَ بمعنى حرَّج ومر بسرعة، وهذا الفعل لا نكاد نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

56- مصمص: يقولون مصمص الآنية، ويقع هذا كثيرا من أهل الأرياف، ومَصْمِصُ الآنية: أي اغسلها غسلاً خفيفاً، والممصصة المضمضة بطرف اللسان⁴.

لقد حافظ هذا المصطلح على دلالاته عند التواتيين، وقد تحطى هذه الدلالة لينتقل إلى الأوصاف و النعوت، فيوصف الرجل القبيح الأفعال والصفات بذلك فيقولون: قُبِيحٌ مَصْمِصٌ وَجْهُهُ مَغْسُولٌ إِذَا غَسَلَ الْحَيَاءَ مِنْ وَجْهِهِ.

57- النخامة: نجد في معجمات اللغة: نَخَّمَ الرَّجُلُ نَخْمًا وَتَنَخَّمَ: دفع بشيء من صدره أو أنفه، والنخامة: ما يخرج من الصدر والحلق، والنخمة ضرب من خشام الأنف، وهو ضيق في نفسه، والنخامة

¹ - لسان العرب، ج9، مادة (كرنف).

² - القول المقتضب، ص 158.

³ - لسان العرب، ج10، مادة (مرق).

⁴ - القول المقتضب، ص 78، 79.

ما يلقيه الإنسان من حواشي صدره، أو ما يخرج من الخيشوم عند التَّنَحُّم¹.

وهذا المصطلح عند أهل توات يطلق على البُصاق الذي يخرج من الصدر في حال المرض.

58- النش: يقولون: نشَّ الشيء أو نش الذبابة، والنشاشة التحريك، والنشُّ اسم لسوق الرقيق، ونش القدر يَنش نشيشاً أخذ ماءه في النضوب².

وهذا المصطلح معروف في اللسان التواتي، ولا نكاد نعثر على هذا الاستعمال في الفصيحة المعاصرة.

60- الودعة: الودُعُ والودَعُ والودعات: مناقيف صغار تخرج من البحر ثم تثقب وتتخذ منها القلائد، وهي خَرَزٌ بيض جوف في بطونها شق كشف النواة تتفاوت في الصغر والكبر. وودَع الصبي: وضع في عنقه الودَع، وذو الودَع الصبي، لأنه يقلدها ما دام صبياً³.

61- وغر: وغَرَ صدره عليه يوغر، ووغِرَ يَغِر إذا امتلاً غيظاً وحقدًا، والوغرة: شدة الحر⁴.

والوغرة من الكلم الدارج المستخدم في عاميتنا للدلالة على الحر وشدته.

62- الوقر: يقولون: فلان وَقِرٌ، قال في القاموس: الوقار كسحاب الرزانة والتبجيل، والوقَرُ: المحرب العاقل قد حنكته الدهور، والوقَرُ ثقل في السمع، والوقِر بكسر الواو: الحمل الثقيل يجمع على أوقار⁵. وفي اصطلاح التواتيين يقولون: لُوقِرَ الذي يعني الحياء والتبجيل واحترام الكبار.

63- وكح: من معانيها التعب والإعياء⁶. وهذا المصطلح كثير الانتشار في إقليم توات بهذه الدلالة، لكننا لا نسمعه في الفصيحة المعاصرة.

¹ - لسان العرب، ج12، مادة (نخم).

² - القول المقتضب، ص 74.

³ - تاج العروس، 534/5.

⁴ - العربية تاريخ وتطور، ص 184.

⁵ - القاموس المحيط، 161/2.

⁶ - تاج العروس، 249/2.

64- الولى: الولى والولى: الاعزاز والاتصال¹. وهذ الكلمة شائعة فى أغلب اللهجات بالجزائر، ولا نكاد نظفر به فى الفصيحة المعاصرة.

هذه نظرة سريعة لمصطلحات الإقليم القديمة والحديثة التى سارت على ألسن أهل توات المتضمنة الكثير من المفردات الصحيحة الفصيحة التى غابت فى عصرنا الحالى، وعليه يمكن القول إن هذه المفردات والمصطلحات حافظت على دلالتها ومعانيها القديمة بالرغم من بعض التغييرات التى طرأت عليها، إلا أنها لم تغير وتؤثر على مضمونها وأصلها الفصيح.

¹ - القاموس المحيط، 213/3.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية بتوات

ومصطلحاتها

المبحث الأول: الوضع الاقتصادي:

قامت الحياة الاقتصادية على أربعة أنشطة هي: التجارة والزراعة والصناعة والرعي، ولا تكاد أي حياة اقتصادية في أي منطقة من العالم إلا وتقوم على هذه الأنشطة.

فالتجارة مثلاً: كانت الداخلية منها والخارجية، فالداخلية بين الأهالي والخارجية كانت عن طريق القوافل التجارية القادمة من المغرب والسودان، تتميز توات بكثرة المياه المتمثلة في الفقاقير، لذلك فالزراعة كانت مزدهرة خاصة التمور، كما أهتم التواتيون بممارسة الصناعات الحرفية التقليدية، كالأبسطة النسيجية المعروفة بالدكالي وصناعة السلال والحصير والقفاف من سعف النخيل¹.

● **الطرق التجارية بالإقليم** : توات كانت تعد مركز عبور لكثير من القوافل التجارية تأتيها من

جهات عديدة نذكر منها: أهم الطرق التي تربط أقاليم توات بجزائر الحضارة في الشمال:

1. الطريق الرئيسي المتجه من الشمال الغربي نحو منطقة توات مروراً بسلجماسة وتبلبالة إلى بودة.
2. الطريق المتجه من تلمسان نحو بودة مروراً بمنطقة بشار وبني عباس (وادي الساوره).
3. الطريق المتجه من الشمال (الوسط) نحو توات من بجاية إلى ورجلان إلى أولاد سعيد بشورارة.
4. الطريق المتجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب يربط تونس بتوات مروراً بغدامس إلى عين صالح إلى أقبلي بأولف.
5. الطريق الذي يربط طرابلس الغرب بتوات مروراً بغدامس².

¹ - ينظر: مسعودي الزهراء، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والعشرين، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة أدرار، 2010/2009م، ص 34.

- ينظر: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، مولاي بالحميسي، الجزائر، د.ط، 1979م، ص 70.

² - ينظر: دليل ولاية أدرار، نيكولو أحمد، المرجع السابق، ص 6 .

ينظر: الرحلات بإقليم توات (دراسة تاريخية وادبية للرحلات المخطوطة بجزائر توات)، كروم عبد الله، مؤسسة النشر دحلب ، الجزائر، 2007، ص 27.

● الصناعة في توات:

مارس التواتيون الكثير من الصناعات وذلك حسب المواد المتوفرة محليا والوسائل البسيطة التي يملكونها من بينها نجد:

1- النجارة: يصنع النجارون أقبالاً (والتي تسمى محلياً عندهم ب: أفكر) ومهاريس مع أعمدتها، وتعتبر جذوع النخيل المادة الأولية لهذه الصناعة، وكانت البيوت تغطي بها بعد تقطيعها وتحضيرها لذلك.

2- صناعة الجلود: وتشمل منتجات مختلفة ذات صبغة محلية، وصناعة الجلد يقوم بها العرب من بدو رحل وهي قليلة جداً بالمقارنة مع الحرف التقليدية الأخرى، إذ يستعملون الجلود القادمة من السودان أو من الجلود التي تدبغ محلياً بالإضافة إلى وبر الجمال وتدبغ هذه الجلود بواسطة الملح الممزوج بالورق الصالح وهي نبتة تنمو بزاوية سيدي عبد القادر بفنوغيل، ويحضر الجلد بإبقائه في الماء لمدة ثلاثة أيام وبعدها ينزع منه الصوف ثم يرجع ثانية إلى الماء لمدة ثمانية أيام ثم يخرج وتوضع عليه الدباغة المصنوعة من شجرة (تلاية)، والإسكافي يصنع الدباغة من قشور الرمان التي يطلي بها الجلود وعادة عندما تكون جاهزة يكون لونها أحمر.

وتشتهر بصناعة الجلود منطقة أولف وبرج باجي مختار وتمثل أهم المنتجات في النعال والجزم والأكياس بأحجام مختلفة والراحلة للجمال، أما الإسكافيون فيصنعون مختلف أنواع الأحذية والأرائك والحقائب وأعمدة السيوف، وعملهم يكون في الغالب تقليدياً من حيث الشكل والزخرفة وهذه لبدائية ومحدودية الوسائل التي يستعملونها.

3- الحدادة: "يرتكز نشاط الحدادين على الحديد المستورد من المغرب والموسى ويصنعون الفؤوس والمقاطع والسكاكين والرماح والسيوف والأقفال والمسامير وأدوات صغيرة ومزخرفة بمادة

نحاسية ويصلحون البنادق ويصنعون العصي المزخرفة بالبرونز والنحاس، وقد اشتهرت بهذه الصناعة فئة من التوارق تُعرف بالمَعْلَمِين¹.

4- صناعة الحلبي الفضية: وهي من الحرف التي اشتهر بها أهل تمنطيط فهم يصنعون حلياً من الفضة، ويستعملون في صناعتهم تقنيات بسيطة وتكون منتجاتهم متفاوتة الجودة والقيمة فهم يصنعون الأساور والخواتم والخلاخل والتمايم وللأساور ثلاثة أنواع:

1-4- أدبلز لحرش: وهو عبارة عن أنبوب مقعر ومقوس كالحلقة ومزين بخيوط عبارة عن مستطيلات مزخرفة وكریات صغيرة، وهو المصنوع بكثرة نتيجة للطلب المتزايد عليه.

2-4- أدبلز الملس: يتميز بكونه ذا زخرفة مغايرة فخيوطه مزركشة باللون الأسود.

3-4- أنبل: يختلف تماماً على النوعين الأوليين فهو عبارة عن قطعتين مشدودتين مزينتين بالفضة، وهو أغلى الأساور ثمناً فالطلب عليه قليل.

5- الخاتم: عبارة عن شكل دائري توضع عليه قطعة مربعة مزينة بخيوط من الفضة وكریات صغيرة.

6- محبس: حلقة بسيطة عريضة وضيقة وتوضع عليه قبة مزركشة، ويعتبر من الصناعات القديمة بتمنطيط ويصنع بزاوية كنتة وأنزجير وبرج باجي مختار.

7- صناعة السعف: التواتيون منذ القدم سعوا لتلبية احتياجاتهم الضرورية وقاموا بمنطقة توات بتحويل مشتقات النخيل إلى مواد ولوازم ذات استعمال يومي فاستعملوا الليف (الذي يصطلحون عليه "الفدام") لصناعة الحبال والخيوط، كما استعملوه كغطاء لقلال الماء ونستعمل خيوط الليف كأيدي للقفف كما نصنع منه الغرارة² في زاوية سيدي البكري والمنصورية، ومن سعف النخيل صنعوا القفاف والمظل أما النساء فقد تخصصن في صناعة التدارة والأطباق يقمن بإنتاجهن في فصل الربيع والصيف وبالضبط بداية من شهر أبريل

¹ - توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، 136/1، 137.

² - مصطلح يطلقه التواتيون على وعاء يصنع من ليف النخل، يستعملونه لنقل الأتربة والذبال (الغبار) فوق ظهور الحمير.

هذه الفترة هي فترة راحة لهن بسبب انقضاء موسم حصاد القمح وجني التمور. وهم يستعملون أفضل أنواع سعف النخيل ليحصلوا على أجود منتج.

8- صناعة الفخار: يتم تحضير الطين، هذه المادة بمنطقة تمنطيط بعد استخراجها من الأرض فتتنظف من الشوائب والحجارة والجذور العالقة بالتراب والحشيش والحصى وخاصة حجارة الكلس بعد ذلك يبلل الطين بالماء في نفس اليوم دون خلطه، وفي اليوم الثاني تقوم الفخارجية عجين الطين حتى تتمكن من تليينه ليبتعد عن أخطار الكسر أثناء عملية التجفيف بعد ذلك تضاف له مادة التفون وهو عبارة عن شقف صغيرة من الطين المحروق فيقدم للرحى التي تقوم بسحقه جيداً ثم تحصل على عجينة جاهزة قابلة للتشكيل.

تنشط صناعة الفخار في فصل الربيع وهو الفصل الأنسب لهذه الصناعة سواءً من حيث اعتدال الجو أو من حيث العمل نفسه. وفخارها ذو خاصية فريدة فهو يمتاز باللون الأسود القاتم¹.

• رحلات القوافل:

كانت القوافل التواتية الآتية من الأزواد تتجه مرتين في السنة إلى توات، في شهر ماي تكون الرحلة الأولى والثانية في شهر أكتوبر ومحمل القافلتين تتكون ما بين ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف جمل يطلق عليها تسمية "أكابار" ينتظرها سكان توات في مواقيتها فتأتي بالعبيد وجلود الأبقار والذهب وريش النعام واللحم وتنشط الحياة الاقتصادية بقدمها، بإقليم تيدكلت يقايضون بمنتجاتهم المحلية المتمثلة أساساً في التمر والتبغ والحبال المصنوعة من الليف وبرجوع قافلة السودان تصل إلى إقليم "تينجورارين" قوافل الشمال تأتي بالحبوب والصوف والغنم والقطن ومواد استهلاكية أخرى لتعود بالمنتجات المحلية وسلع السودان كالعبيد وريش النعام والعاج.

هذا وقد اعتادت القوافل التواتية عند بلوغها توات التفرع إلى مجموعات صغيرة منها ما يتوجه إلى تيمادين برقان ومنها ما يواصل سيره إلى قصر زاوية كنتة، وقسم ثالث يتوجه إلى عين صالح،

¹ - ينظر: توات والأزواد، 1/139، 140.

وقد يواصل بعضهم السير ليصلوا إلى بني عباس بإقليم الساورة وغرداية بإقليم وادي ميزاب، فبعدها يقاوضون سلعهم التي جاءوا بها بمواد نخلية كالتبغ والتّمر والأغطية والجمال الصغيرة يجتمعون بقصر أقبلي فينطلقون نحو الأزواد، وعادة ما تدوم رحلتهم التجارية ذهابا وإيابا ما بين جاوا وتوات مدة ثلاثة أشهر¹.

● المقاييس:

كانت المقاييس التي تعارف عليها الناس في سنغاي وتعاملوا على أساسها هي :

- 1- الشبر: ويساوي الامتداد ما بين الخنصر والإبهام حين تكون الكف مفتوحة.
- 2- الذراع: وهو امتداد ما بين عقدة المرفق ونهاية الوسطى، ويساوي حوالي 50سم تقريبا.
- 3- البريد: وقد استعمل ولكن بقلّة، وكان يساوي المسافة التي تعادل سير ساعة بالحصان المسرع .
- 3- الميل: وهو يستعمل في قياس المسافات بصورة خاصة، وقد قدره موني أيضا ب: 1920مترا بالتقريب.
- 4- القامة: هي طول الرجل المتوسط، وتساوي في العادة 1.70 سنتيم.
- 5- الفتر: هو المسافة بين السبابة والإبهام في حالة انفتاح اليد اليمنى ويساوي 17سم.
- 6- القدم: لقياس الأرض وتحسب قدماً بعد أخرى ويستعمل بكثرة لمعرفة وقت الزوال.
- 7- الحبل: لقياس الأرض أيضاً، وطوله 10 أمتار.
- 8- الفرسخ: تعادل ثلاثة أميال.

¹ - توات والأزواد، المرجع السابق، 143/1، 144.

9-الحبة: هي وحدة لقياس الماء عبارة عن ثقب في لوحة من النحاس تساوي حجم الإبهام، طولها تسعة مليمتر يمر بها في الدقيقة ثلاث لترات من الماء.

وتقدر على أساسها فيقال: ثلاثة دراهم من الفضة وعشرة دراهم نحاس وهكذا، ومن هذا يظهر أنه في غير المعادن الثمينة فإن استعمال الأوزان كان قليلاً وإنما تستعمل المكايل عوضاً عنها. وأهم الموازين التي كان متعارف عليها هي :

1-المثقال: وكان يساوي وزن 72 من حبات القمح المتوسطة الحجم.

2-الدرهم: وهو يساوي سبعة أعشار الدينار.

3-الدينار: وهو يساوي أربعين درهماً.

4-المد: المقدر بحفنة اليدين المتوسطتين، يستعمله التجار والعامّة عند كيل المواد الجافة كالتمر والحبوب، يكثر استعماله عند استخراج زكاة الفطر صبيحة عيد الفطر. وقيل: "المدُّ: كيلٌ وهو رطلٌ وثلثٌ عند أهل الحجاز فهو رُئُغٌ صاعٍ لأن الصَّاعَ خمسةُ أرطالٍ وثُلثٌ، والمدُّ رطلان عند أهل العراق والجمع أمداد." "

5-الصاع: أو الرابعة تساوي أربعة أضعاف المد. وقال أبو حنيفة: "الصَّاع ثمانيةُ أرطالٍ لأنه الذي تعامل به أهل العراق..." "

6-القصة: تستعمل بإقليم توات وتعادل 2.5 كيلوغراماً، فقد تزيد أو تنقص ما بين منطقة أو أخرى.

7-المزود: جلد من الغنم أو البقر يعادل خمسين أو ثمانين كيلوغراماً حسب المادة.

8-الحمل: يعادل ستين صاعاً.

9-العملة: العملة هي مقياس لكل تعامل مالي سواء على المستوى المحلي أو الخارجي، كما أن لها مدلولاً حضارياً لا يمكن إهماله فهي تعطي الصورة الصادقة بتطوير المجتمعات وتعكس الدور الاجتماعي في مدى تداولها والتعامل بها، فالعملة التي كانت متداولة محلياً هي العملة التي كانت تضرب بدار النقود التي تعرف بدار السكة، كانت في شكل مستدير من مزج المعادن والسبائك الذهبية والفضية، إلا أن الفضة كانت أكثر المعادن طلباً التي يتم استيرادها من مناطق أخرى.

• أدوات الوزن:

يوضح الأستاذ محمد حوتية أن التواتيين اهتموا بالوزن في الأشياء الثمينة كالفضة والذهب التي توزن بميزان صغير وقبل الوزن يجربون الميزان بحبوب من القمح، ومن النادر أن يجد الفرد الأوزان بصرفها وهي جميعها من أحجار مختلفة ليست مؤشرة من طرف سلطة الضبط لكن مراقبة من قبل وجهاء المدينة، فمن أدواتهم نجد :

-الأوقية: تعادل في المتوسط 27.5 غرام.

-الرطل: يساوي في الغالب 500 غرام . وقيل: معيار يوزن به ... وهو بالبغدادي اثنتا عشرة أوقية، والأوقية: إستانرٌ وثلاثا إستانرٍ، والإستانرُ: أربعة مثاقيل ونصف مثقالٍ، والمثقال: درهمٌ وثلاثة أسباعٍ، والدّرهَم ستة دوانقَ والدّانقُ: ثمانِي حباتٍ ومُحسَا حَبَّة.

• الأسواق: أما عملية المقايضة والبيع والشراء فكانت عبر أسواق محلية ومراكز تجارية وهي:

-الأسواق المحلية: وهي التي يرتادها سكان القرية التي توجد فيها السوق المحلية عندهم وفي الغالب يوجد فيها بعض الدكاكين البسيطة، أما معظم البضائع فكانت تعرض في العراء، كما يتبادل فيها البضائع الرخيصة الأثمان ويعقد سوقاً أسبوعياً يكثر فيه الناس بعض الشيء عن الأيام الأخرى، وتتضاعف فيه كميات البضائع بهذه الأسواق.

-**الأسواق الجهوية:** حيث تتواجد المراكز الحكومية في الأقاليم وكانت تصلها جماعات التجار من خارج المنطقة الموجودة بها، كما كانت توجد فيها بضائع أكثر كمية وتنوعاً منها في الأسواق المحلية، كما يمارس فيها التبادل بين المنتجات الجهوية والمحلية والخارجية.

-**الأسواق الكبرى:** وأغلبها يقع شمال البلاد وكانت تجري عن طريقها حركة الاستيراد والتصدير مع الخارج وفيها يتم عقد الصفقات الكبيرة بين التجار الموسرين، ويقصد هذه الأسواق التجار من جميع الجهات، وكانت أهم هذه الأسواق في تمبكتو- جني، غاو - توات - قورارة- تيدكلت.

وتعد توات مركز إنعاش لتجارة القوافل، إذ تقع في واحة غنية وتزود التجار بالغذاء والماء العذب وتوفر الكالأ للدواب، كما يتم بها تغيير الجمال والأدلاء وغالباً ما يقوم تجار السودان ونجار الساحل الشمالي بعرض سلعهم بها.

-**المراكز التجارية:** إن التجارة في الصحراء لم تكن تخضع لإجراءات الحدود من التفتيش والتعريفة الجمركية، فإن التاجر يواجه المخاطر في طريقه بما في ذلك خطر السطو والنهب، فلقوافل تقطع مسافات شاسعة في ظروف مناخية صعبة، وهي مضطرة لسلوك طرق معينة تقع على جنباتها نقاط المياه وهذا الاعتبار يسهل كثيراً مهمة قطاع الطريق والقبائل التي تعيش على السلب والنهب، على أن الطرق التجارية كانت تتمتع عادة بحماية فعالة من بعض القبائل التي يهمنها استمرار تيار التبادل التجاري الذي يمدّها بما تحتاج إليه من منتجات الخارج.

بل إن حالة الأمن في الطرق التجارية بلغت في بعض المناطق درجة قال معها المستكشف ديفير لي أنه حينما يعجز الحمل عن حمل عبئه يودع التاجر ذلك الحمل على حافة الطريق وهو واثق أنه سيجده في مكانه عند عودته من رحلته ولو استغرقت عاماً كاملاً، وكبار التجار يحصلون على ضمانات للأمن عندما يدفعون أتاوى مهمة لقبائل الرحل وفي مختلف أطراف الصحراء توجد مراكز عمرانية كثيرة لها أهميتها التجارية وأشهر المراكز التجارية :

● مركز توات:

تعد توات من المراكز التجارية الهامة والتي أشاد المؤرخ ابن خلدون بعمرانها مما يؤكد أنها كانت مزدهرة فيقول: "فمنها على ثلاث مراحل قبيلة سجلماسة وتسمى وطن توات، وفيها قصور متعددة تناهز المتين آخذة من الغرب إلى الشرق" وواصلت توات نشاطها التجاري في عهد السنغاي، وذكرها المغيلي وكانت أرضها خصبة لزراعة الحبوب والشعير ويزرعون بها قصب السكر بكميات وفيرة تكفي حاجتهم ويصدرون الباقي لتجار المغرب، كما يوجد الثمر ولا يستعملون أية عملة سوى الذهب، وحتى نعطي فكرة واضحة عن المعاملة التي كانت تجري بين التجار وسكان إقليم توات بنظام المقايضة وهي الطريقة الأكثر تداولاً حسب القاعدة التالية:

- حمولة واحدة من القمح تعادل خمس حمولات من تمر الحميرة.
- حمولة واحدة من الشعير تعادل خمسة عشر حمولة من تمر الحشف واثنين من تمر الحميرة.
- واحد كيلوغرام من القمح يعادل خمسة كيلوغرامات من الفلفل الحار.
- حمولة واحدة من الفول تعادل خمس حمولات من تمر الحميرة أو ست حمولات من تمر تناصر.
- حمولتان من اللحوم الجافة تعادل خمس حمولات حميرة أو ستة من تمر تناصر.
- رأس واحد من الغنم يساوي حمولة واحدة من تمر الحميرة.
- عشر جزات من الصوف تعادل حمولة من تمر تناصر.

● توات من خلال النشاط التجاري والقوافل:

تعد توات من الأقاليم التي ساهمت في تنشيط الحركة التجارية والاقتصادية بالمنطقة لتوسطها بين الشمال والجنوب وتواجد طريق سبيل القوافل التجارية الأولى بها، يقول الشيخ محمد باي: "وكانت توات مركزاً غنياً نتيجة النشاط التجاري، حيث كانت القوافل التي تذهب من المغرب إلى السودان تمر

عبرها فتبادل هناك بالمواد التي تحمل من الشمال مثل الزيت والحبوب والملابس القطنية، وهي المواد التي كانت تحملها القوافل التواتية إلى السودان أيضاً لتبادلها هناك بالعاج والذهب وريش النعام والأفاوة السودانية، كانت توات غنية باعتبارها محطة وسوقاً في الطريق التجاري بين المغرب والسودان، كما كانت لها أهمية فلاحية في منطقتها بل كانت أهم منطقة فلاحية¹.

هذا ويوضح الشيخ هذه الأهمية بقوله: "وتعتبر تيممي مجموعة واحاتها أهم منطقة وأغناها في توات، فهي تقع وسط توات الأصلية ... وهي تتوفر على مياه ارتوازية غزيرة تستخرج بواسطة الفقارة، وتجري في سواقيها طويلة جداً تبلغ أحياناً مئات المتر، ولذلك تمارس بها زراعات مهمة إذ بالإضافة إلى النخيل توجد حبوب القمح والشعير والتبغ وبعض أنواع الذرة وبعض الفواكه مثل الرمان والعنب، وكانت تصدر منتجاتها نحو منطقة المغرب الشرقي والمنطقة الوهرانية²."

• الأزمات الاقتصادية:

لم يسلم الإقليم التواتي من الأزمات كغيره من المناطق والأقاليم والتي وضحها الشيخ محمد باي بلعالم حيث يقول: "ففي سنة 1010هـ وقع قحط عظيم في سائر نواحي توات حتى بلغ سعر الصاع من التمر قيمة الشاة وكان الناس يقتاتون الجمار³ أثناء ذلك. وفي سنة 1053هـ نزل جراد عظيم قام سنتين في توات. وفي سنة 1076هـ وقع قحط شديد، وكذلك توات الأزمات الاقتصادية نذكر منها الأزمة التي وقعت سنة 1929م ودامت إلى 1933م قضت على كل شيء حتى صار الناس يغسلون ثيابهم بالطين البيضاء وبعض الأعشاب بدلاً من الصابون. وكذلك في سنة 1944م وقعت أزمة شديدة أيضاً⁴."

¹ - الرحلة العلية، محمد باي بلعالم، 08/1.

² - المرجع نفسه.

³ - وهو قلب النخلة.

⁴ - المرجع نفسه، 70،69/1.

المبحث الثاني: المصطلحات الاقتصادية:

والآن ندرس بعض المصطلحات المرتبطة بالحياة الاقتصادية للتواتين ومنها:

- **البور:** بضم الباء عند العامة وسم للأرض البيضاء التي لا تصلح للزراعة. والأرض البائرة التي لم تعمر والتي تترك بغير حرث وهو نفس المعنى عند العرب قال ابن منظور¹: والبور الأرض التي لا تزرع والمعامي الجهولة والأغفال ونحوها ... وبور الأرض بالضم: ما بار منها ولم يعمر بالزرع ... أرض باثرة متروكة من أن يزرع فيها".

كما تطلق العامة لفظ (البائر والبائرة) للشيء الكاسد، الذي لم ينفذ فتراهم يقولون: سلعة باثرة إذا كسدت ولم تشتتر، وبنت باثرة إذا لم يتقدم لخطبتها أحد وما إلى ذلك. وقيل: "بَارَ الشيء (بواراً) كسد على الاستعارة؛ لأنه إذا تُرِكَ صار غير مُنتَفِعٍ به فَأَشْبَهَ الهَالِكُ من هذا الوجه"².

واللفظ بهذا المعنى العامي ورد مستعملاً أيضاً في لسان العرب قال ابن منظور: "والبوار: الكساد. وبارت السوق وبارت البياعات إذا كسدت تبور، ومن هذا قيل: نعوذ بالله من بوار الأيم أي كسادها، وهو أن تبقى المرأة في بيتها لا يخطبها خاطب، من بارت السوق إذا كسدت، والأيم التي لا زوج لها وهي مع ذلك لا يرغب فيها أحد"³.

- **التابوت:** هي خزانة من حديد ونحوه لحزن المتاع والأشياء الثمينة جاء في اللسان: "التابوت: الأضلاع وما تحويه كالقلب والكبد وغيرهما، تشبيهاً بالصندوق الذي يُحْرَزُ فيه المتاع أي: أنه مكتوب موضوع في الصندوق"⁴.

- **التاغوية:** آلة يحفظ فيها الحليب بعد حلبه، تصنع من نبات اليقطين (القرعة) وقد تكون أعجمية.

¹ - لسان العرب، ج04، مادة(بور).

² - معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير، رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1423هـ/2002م، ص 36.

³ - ينظر: معجم متن اللغة، 367/1.

⁴ - لسان العرب، ج02، مادة(تبت). ومعجم متن اللغة، 384/1.

- التدارة: هي اسم لمكان حفظ مدقوق التمر وقد يكون معناه مأخوذ من الدارة التي هي عند العرب: "لكل موضع يُدارُ به شيء يَحْجَرُهُ، فاسمه دارَةٌ نحو الدارات التي تتخذ في المطابخ ونحوها ويجعل فيها الخمر"¹.

- التوتية: هي صنف من الزنك أصلها التوتياء، والتوتياء التي تعرفها العرب أصلها حجارة كما قال ابن منظور: "التوتياء: معروف حجر يكتحل به، وهو مُعَرَّب"².

- ثراس: يقال للرجل الشجاع البطل. وأصلها عند العرب من الترس: وهو ما يضعه المحارب فوق صدره. جاء في اللسان: "الترس من السلاح: المتوقى بها، معروف، وجمعه أتراسٌ وتراسٌ وترسةٌ وثروسٌ ... ورجلٌ تراسٌ: ذو ثرسٍ. ورجلٌ ترأسٌ: صاحب ثرسٍ"³.

- جبس: أصلها بالصاد: حصٌّ بالتشديد بعد إبدال الباء صادًا وإدغامها في أختها. والحص أو الجبس يكون في البناء جاء في كلام العرب: "الجِصُّ والجِصُّ: معروف، الذي يطلى به، وهو معرب، قال ابن دريد: هو الجِصُّ ولم يقل الجِصُّ، وليس الجِصُّ بعربي وهو من كلام العجم، ولغة أهل الحجاز في الجِص: القَصَّ. ورجل جِصَّصٌ: صانع للجِصِّ. والجِصَّصَة: الموضع الذي يعمل به الجِصُّ. وَجِصَّصَ الحائط وغيره: طلاه بالجِصِّ"⁴.

- جعبة: تطلق على الأنبوب الحديدي القصي الشكل. وهي عند العرب بمعنى أدق وأخص من هذا التعميم لكنها تشترك معها في المعنى العام. قالت العرب: "الجعبة: كِنَانَةُ النُّشَابِ، والجمع جِعَابٌ. وفي الحديث فانتزع طلقاً من جعبته. وهو متكرر في الحديث. وقال ابن شميل: الجعبة: المستديرة الواسعة التي على فمها طبقٌ من فوقها"⁵.

¹ - لسان العرب، ج4، مادة(دار).

² - لسان العرب، ج02، مادة(توت).

³ - الصحاح، الجوهري، تحقيق محمد تامر، دار الحديث القاهرة، 2009م، ص 132.

⁴ - لسان العرب، ج07، مادة(جص).

⁵ - ينظر: معجم متن اللغة، 533/1.

- **الجلابة:** هي الثوب الثقيل الذي يغطي الإنسان من رأسه إلى قدمه. واللفظ ورد بهذا المعنى في اللسان قال ابن منظور: "والجلبابُ: ثوب أوسع من الخمار، دون الرداء، تغطي به المرأة رأسها وصدرها؛ وقيل: هو ثوب واسع، دون الملحفة، تلبسه المرأة؛ وقيل: هو الملحفة ... وقيل: هو ما تغطي به المرأة الثياب من فوق كالمُلحفة؛ وقيل: هو الخمار. وفي حديث أم عطية: لثلبسها صاحبته من جلبابها أي إزارها. وقد تجلبب ... وفي التنزيل العزيز: ﴿يُذْنِبْنَ عَلَيْنَهُنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ﴾¹. قال ابن السكيت: قالت العامرية: الجلباب الخمار؛ وقيل: جلباب المرأة مَلَأَتَهَا التي تَشْتَمَلُ بِهَا، واحدها جلبابٌ، والجماعة جَلَابِيْبٌ، وقد جَلَبَبْتُ². قال ابن فارس: (الجلباب) ما يُعْطَى به من ثوبٍ أو غيره، الجمع (الجلابيب)، وَجَلَبَبْتُ المرأة لبست الجلباب³.

- **الجير:** مادة بيضاء لطلاء البيوت وأصلها الجيَّار. وهي بنفس المعنى الذي عبّرت به العرب. جاء في اللسان: "الجيرُ: الجِصُّ فإذا خلط بالنورة فهو الجيَّارُ، وقيل: الجيَّارُ النورة وحدها"⁴.

- **الحانوت:** وهو اسم للدكان بشكل عام وقد وسعت العامة في مدلول الكلمة لأن أصلها عند العرب هو مكان لبيع الخمر. قال ابن منظور: "الحانوتُ: معروف، وقد غلب على حانوت الخمار، وهو يُدَكَّرُ ويُؤنَّثُ، فلما سكنت الواو انقلبت هاء التأنيث تاء، وأصله حانوة مثل تُرْقُوة"⁵.

وقيل: محلُّ المتجر: دكان الخمار على التغليب⁶.

- **حبس:** هو السجن، والمحبس هو الخاتم الذي يجسونه في أصابعهم، وهو نفس المعنى الذي تحدثت به العرب قالت العرب: "الحبسُ: ضد التخلية ... والحبس والحبسة والمحبسُ: اسم الموضع ... المحبسُ على

¹ - سورة الأحزاب، الآية 59. ينظر: معجم متن اللغة، 547/1.

² - لسان العرب، ج01، مادة(جلب).

³ - معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير، رجب عبد الجواد إبراهيم، ص 50.

⁴ - لسان العرب، ج04، مادة(جبر).

⁵ - الصحاح، ص299.

⁶ - معجم متن اللغة، 175/2.

قياسهم الموضع الذي يجبس فيه، والمحبس يكون سجنًا ويكون فعلاً كالحبس¹. وقيل: (حَبَسْتُهُ) بمعنى وَقَفْتُهُ فهو (حَبِيسٌ) والجمع (حُبُسٌ)، ويستعمل (الحَبِيسُ) في كل موقفٍ واحداً كان أو جماعة².

- **الحريرة:** وتسمى الحساء أيضاً وهي عندهم تصنع من الدقيق وتحسى، وتعتبر وجبة رئيسية في شهر رمضان. والحريرة كانت معروفة عند العرب قديماً شكلاً ومضموناً، وبهذا المعنى نفسه ودون أدنى تغيير جاء في اللسان: "...الحريرة: الحسا من الدَّسَمِ والدقيق، وقيل: هو الدقيق الذي يطبخ بلبن، وقال شمر: الحريرة من الدقيق، والخزيرة من النخال؛ وقال ابن الأعرابي: هي العصيدة ثم النَّخِيرَةُ ثم الحريرة ثم الحَسُو. وفي حديث عمر: ذَرِي وأنا أحرُّ لك؛ يقول: ذَرِي الدقيق لأتخذ لك منه حريرة"³.

- **حَفَف:** وهي عندهم بمعنى الحلاقة، والحلاق صاحب الحرفة هو حفاف، وبهذا اللفظ تحديدا عبرت العرب عن المعنى نفسه حيث جاء في اللسان: "حَفَّ رأسه وشاربه يُحْفُ حَفًّا أي أخفاه. قال ابن سيده: وحَفَّ اللحية يُحْفُها حَفًّا: أخذ منها، وحفه يحْفُها حَفًّا: قَشَره، والمرأة تَحْفُ وجهها حَفًّا وحَفافًا: تزيل عنه الشعر بالموسى وتَقَشُرُه، مشتق من ذلك"⁴.

- **الحلاس:** ما يوضع فوق ظهر الدابة غطاء لظهرها وواق لها من الاحتكاك بالأثقال: "الحِلْسُ والحَلْسُ مثل شِبِهٍ وشَبِهٍ ومَثَلٍ ومَثَلٍ: كل شيء وُلِيَ ظهر البعير والدابة تحت الرجل والقتب والسرّج، وهي بمنزلة المرشحة تكون تحت اللبّد، وقيل: هو كساء رقيق يكون تحت البرذعة، والجمع أحلاس وحُلوس. وحَلَسَ الناقة والدابة يَحْلِسُها ويَحْلِسُها حَلَسًا: عَشَّاهما بحلس"⁵.

- **الحلفة:** نبات معلوم وهو معروف عند العرب منذ القديم جاء في اللسان: "الحَلْفُ والحلفاء: نبات من الأغلات، واحدها حَلِفة وحَلْفة وحلفاء وحلفاء؛ قال سيبويه: "خلفاء واحدة وحلفاء للجميع..."⁶

¹ - ينظر: معجم متن اللغة، 12/2.

² - معجم المصطلحات الإسلامية في الصباح المنير، رجب عبد الجواد إبراهيم، ص 55.

³ - ينظر: معجم متن اللغة، 61/2.

⁴ - لسان العرب، ج 09، مادة(حف).

⁵ - ينظر: معجم متن اللغة، 145/2.

...¹ "وأرض حَلْفَةٌ ومُحَلْفَةٌ كثيرة الحلفاء. وقال أبو حنيفة: أرض حَلْفَةٌ تُنبت الحلفاء. الليث: الحلفاء نبات حَمَلَه قصبُ النَّشَاب. قال الأزهري: الحلفاء نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخيل والحِوَص، ينبت في مغايز الماء والنُّوز، الواحدة حَلْفَةٌ مثل قصبَةٍ وقصباءٍ وبُهمى وشُكاعي واحدة وجمع. ابن الأعرابي: الحلفاء الأُمَّة الصَّحابة. الجوهري: الحلفاء نبت في الماء"². قال الشهابي: "هو من فصيلة النجيليات، يكثر في الجزائر والمغرب والأندلس، يصنعون بورقة الحصر والقفف والحبال، ويستخرجون منها أليافاً وكاغداً"³.

- **الحنبل:** وقد تنطق بإبدال النون ميمًا "حمبل" وهو نوع من الفراش الكبير الحجم، يستعمل في تفريش بيوت الضيافة، كما يستعمل فراشاً في المناسبات العامة وهو محلي الصنع أحياناً. جاء في اللسان: "الحنبل: الفروُّ الحَلَق، وأطلقه بعضهم فقال: هو الفرو"⁴.

- **الحنثيت:** نبات معروف له رائحة مميزة ومنفرة أحياناً، تستعمله العامة في تداويها بالأعشاب. وأصل نطقها عند العرب باللام "حلتيت". قال صاحب متن اللغة: "الحَلِيت والحَلِيتُ: من العقاقير: وهو صمغ الانجذان ولا ينبت في بلاد العرب"⁵.

وقد عرفه ابن منظور بقوله: "الحَلِيتُ: عقير معروف. قال ابن سيده؛ وقال أبو حنيفة: الحلتيت عربي أو معرّب، قال: ولم يبلّغني أنه ينبت ببلاد العرب، ولكن ينبت بين بُسْتٍ وبين بلاد القَيْقَان؛ قال: هو نبات يَسْتَلْنَطْح، ثم يخرج من وسطه قَصْبَةٌ، تسمو في رأسها كُغْبِرَةٌ؛ قال: وأهل تلك البلاد يطْبُخون بَقْلَةَ الحلتيت ويأكلونها، وليست مما يبقى على الشتاء"⁶. والغريب أيضاً أن من ضمن

¹ - أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح محمد الدالي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، دط، دت، ص618.

² - الصحاح، ص274.

³ - معجم متن اللغة، 147/2.

⁴ - لسان العرب، ج11، مادة(حبل).

⁵ - معجم متن اللغة، 144/2.

⁶ - لسان العرب، ج02، مادة(حلت).

استعمالات الحنثيت عند العامة هو استعماله لإخراج البرد وغيرها، وهو ما عبرت عنه العرب بإخراج الشتاء.

- **الحنث:** نبات أخضر تصبغ به اليد وأصلها الحناء من حنأ. وتعرف دائرتي رغان وزاوية كنته محليا بكثرة زراعتها لهذه النبتة حتى عرفت تاريخياً بما فليل في تسميتها تميزا لها عن بقية الأقاليم الفرعية (توات الحناء). والحناء نبتة معروفة عند العرب منذ القديم جاء في اللسان: "حَنَأَتِ الأَرْضُ تَحْنَأُ: اخضرت والتف نبتها. وَأَخْضَرَ ناضِرٌ وِباقِلٌ وِحاِنِيٌّ: شديد الحُضْرَة. والحناء بالمد والتشديد: معروف، وحنأً لِحِيثُهُ وحنأً رأسه تَحْنِيئاً وتَحْنِيئَةً: خضبه بالحناء"¹.

- **حوائج:** جمع حاجة وأصلها بالهمزة حوائج، وهو لفظ فصيح دون أدنى شك جاء في اللسان: "الحائجة: المأربئة، معروفة ... وجمع الحائجة حوائج. قال الأزهري: الحائج جمع الحاجّة، وكذلك الحوائج والحاجات"².

- **خاتم:** (خَتَمْتُ) عليه من باب ضَرَبَ طَبَعْتُ، ومنه (الخاتِمُ): حَلَقَةٌ ذات فَصٍّ من غيرها فإن لم يكن لها فَصٌّ فهي فَتْحَةٌ بفاءٍ وتاءٍ مُثَنَّاةٌ من فوق وخاءٍ مُعَجَّمَةٌ وِزَانُ قَصَبَةٍ³. وقال صاحب متن اللغة: "الخاتم والخاتم ... هو ما تحلّى به الأصابع، وهو حلقة ذات فصّ، جمع خواتم وخواتيم وخُتُوم"⁴. قال الجوهري: والخاتم بكسر التاء وفتحها... وتَحْتَمْتُ، إذا لِبِسْتَهُ⁵.

- **خامج:** بمعنى فاسد وغير صالح للأكل والاستعمال. وقد توسع العامة في دلالة اللفظ لتطلقه على أي شكل من أشكال الفساد في الجماد والحيوان. فيقولون: لحم خامج بمعنى فاسد، كما يقولون: فلان خامج بمعنى فاسد أيضا. والمعنيان معا نجدهما. بل إن العرب قد تعدت اللفظ في معناه إلى الحديث عن أسباب الخمج وهي أيضاً نفسها التي يكون منها الخمج عند العامة.. وقال أبو حنيفة: خَمَجَ اللحم

¹ - لسان العرب، ج01، مادة(حنأ). وينظر: معجم متن اللغة، 174/2.

² - لسان العرب، ج02، مادة(حاج). وينظر: معجم متن اللغة، 187/2.

³ - معجم المصطلحات الإسلامية في الصباح المنير، رجب عبد الجواد إبراهيم، ص 78.

⁴ - معجم متن اللغة، 227/2.

⁵ - الصحاح، ص305.

خَمَجًا، وهو الذي يُعْمُ وهو سُخْنٌ فَيُنْتِنُ. وقال مرة: خَمَجٌ خَمَجًا: أَنْتَنَ. الأزهرى: وَخَمَجَ التمر إذا فسد جوفه وَخَمَضَ. وروي عن ابن الأعرابي أنه قال: الخَمَجُ أن يَخْمُضَ الرُّطْبُ إذا لم يُشَرَّرَ ولم يُشَرَّق. أبو عمرو: الخَمَجُ فساد الدين¹. والقول عند ابن فارس: خَمَجَ اللَّحْمَ، إذا تَغَيَّرَ وَأَزْوَحَ².

- الخردة: لفظة تطلق على الملابس والأشياء القديمة البالية. ويذكر الأستاذ أحمد تيمور³ أن الكلمة تركيبة الأصل. غي أنه يمكن أن يكون أصل الكلمة ب"الشاء" لا "الذال" أي حرثا. لأن لفظ حرثي في العربية يعبر عن معنى الخردة تماماً. جاء في اللسان: "الْحُرْثِيُّ: أَرْدَأُ المتاع والغنائم، وهي سَقَطُ البيت من المتاع؛ وفي الصحاح: أثاث البيت وأسقاطه"⁴.

- الخرص: ما تعلقه المرأة في أذنها، وهو بمعنى القرط. وهذا هو نفسه الذي عبرت به العرب قديماً في هذا المعنى. جاء في المقاييس الخُرْصُ: "هي الحَلْقَةُ من الذهب"، وأضاف الجوهري الفضة أيضاً⁵. قال شمر: الخُرْصُ الحلقة الصغيرة من الحلي كهيئة القرط وغيرها، والجمع الخُرْصان ... قال ابن دريد: "الخُرْصُ ضربٌ من الحَلِيِّ إما حَلْقَةٌ وإما شَنْفٌ"⁶.

- خلاص: بمعنى التوقف والنهاية. وقد وردت اللفظة عند العرب بهذا المعنى أيضاً. جاء في اللسان: "خَلَصَ الشيء، بالفتح يَخْلُصُ خُلُوصاً، أي صار خَالِصاً وَخَلَصَ إليه الشيء: وصل"⁷.

- خلخال: ما تضعه النساء من حلي في الرجل. وإذا لبسته المرأة قالوا عنها: إنها تخللت. ومن عادتهم أن المرأة حينما تخرج من دارها بعد أسبوع فرحها ترتدي هذا النوع من الزينة، ويقولون عنها: إنها تخللت، ويسمون هذا اليوم بيوم الخلال. وهذه المعاني جميعها التي عبرت بها العامة في معنى اللفظ نجدها عند

¹ - لسان العرب، ج2، مادة(خمج). وينظر: معجم متن اللغة، 2/330.

² - مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، 2008م، ص269.

³ - ينظر: معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، أحمد تيمور، إعداد وتحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، ط2، 2002م، 167/3.

⁴ - لسان العرب، ج2، مادة(خرث).

⁵ - مقاييس اللغة، ص251. وينظر: الصحاح، ص313.

⁶ - الاشتقاق، ابن دريد، تح عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، 1411هـ/1991م، ط1، 1/509.

⁷ - الصحاح، ص336.

العرب قديماً. جاء في اللسان: "والخَلْخَلُ والخُلْخُلُ: من الحلي: معروف ... والخلخالُ: كالحلخل. والخلخل لغة في الخَلْخَالِ أو مقصور منه، واحد خَلْخَلِ النساء، والمُخَلْخَلُ: موضع الخلخال من الساق. والخلخال: الذي تلبسه المرأة. وتخلخلت المرأة: لبست الخلخال"¹.

- **الخصوة:** ما يعلق في أصابع اليد من نحاس أو فضة أو ذهب أو نحو ذلك، وقد ورد اللفظ في صيغته في اللسان، يقول ابن منظور: "والخُوصُ: ورقُّ المُقْلِ والنخل والتَّارجيل وما شاكلها، واحده خصوة. وقد أَخَوَصَت النخلة وأخوصت الخصوة: بدت. وأخوصت الشجرة وأخوص الرَّمْثُ والعَرَفَجُ أي تَفَطَّر بورق ... وخصوة الألاء على خِلْقَةِ آذان الغنم، وخصوة العرفج كأنها ورق الحناء، وخصوة السَّنْط على خِلْقَةِ الحلفاء، وخصوة الأوطى مثل هَدَب الأثل. قال أبو منصور: الخصوة خصوة النخل والمُقل والعرفج، وللثمام خصوة أيضاً، وأما البقول التي يتناثر ورقها وقتَ الهيح فلا خصوة لها"².

- **الدَّرَاعَةُ:** هي عندهم لنوع مخصوص من الثياب الفضفاض، وهي في المعجم الكبير بالمعنى نفسه حيث يقول: "الدَّرَاعَةُ والمدْرَعُ: ضرب من الثياب التي تلبس، وقيل: جُبَّة مشقوقة المُقَدَّم. والمدْرَعَة: ضرب آخر ولا تكون إلا من الصوف خاصة، فرقوا بين أسماء الدُرُوع والدَّرَاعَة"³.

- **دَشَّش:** ومنه الدَّشيشة، وهي نوع من الطعام حباته صغيرة جدا ويستعمل لتحضير الحريرة، وقد يستعمل اللفظ مجازاً دلالة على فتاته الصغير، فيقولون: دَشَّشه أي جزأه فتاتاً فتاتاً. وقد وردت اللفظة في كلام العرب بالجيم والبدال "الجشيشة والدشيشة" حيث قال ابن منظور: "الجشيشُ الحَبُّ حين يدقُّ قبل أن يطبخ، فإذا طبخ فهو جشيشة؛ قال ابن سيده: وهذا فرق ليس بقوي. وفي الحديث أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أومَّ على بعض أزواجه بجشيشة؛ قال شمر: الجشيش أن تطحن الحنطة طحنا جليلاً ثم تَنْصَب به القدر ويلقى عليها لحم أو تمر فيطبخ، فهذا الجشيش، ويقال لها دشيشة بالبدال، وفي حديث جابر: فعمدت إلى شعير فَجَشَّشْتُهُ أي طحنته. وقد جششت الحنطة، والجريش مثله،

¹ - لسان العرب، ج11، مادة(خلل). واللهجة التواتية، 78/1.

² - لسان العرب، ج05، مادة(خوص).

³ - ينظر: المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، ط1، 1429هـ/2008م، 6/250.

وجششت الشيء أجشّه جشاً: دققته وكسّرتّه، والسويق جشيش. الليث: الجشّ طحن السويق والبُرّ إذا لم يجعل دقيقاً¹. وقال في موضع آخر: "الدّشّ: اتخاذه الدّشيشة، وهي لغة في الجشيشة، قال الأزهري: ليست بلغة ولكنها لُكنة"².

- **الدلال:** هو الشخص الذي يدلل بسلعته ويدور بها بين الديار والقصور، وهذا المعنى نفسه الذي عبرت به العرب قديماً. جاء في اللسان: "الدّلال: الذي يجمع البّيعين، والاسم الدّلالة والدّلالة، والدّلالة: ما جعلته للدّليل أو الدّلال. وقال ابن دريد: الدّلالة: بالفتح، حرّفة الدّلال"³.

- **الدهليس:** وأصلها بالزاي، وهو ما تتخذ العامة تحت الأرض من مأوى ومستقر اتقاء شر الحرارة صيفاً. والكلمة في أصلها فارسية كما ورد في اللسان حيث يقول: "الدّهليز: الدّليج، فارسي معرب، والدّهليز بالكسر ما بين الباب والدار، فارسي معرب، والجمع الدهاليز. الليث: دهليز إعراب دهاليج، قال: والدّهليز معرب بالفارسية داليز ودالاز"⁴.

- **الرزمة:** وهي المجموعة من الشيء، ولها "أصلان متقاربان: أحدهما جمع الشيء وضمّ بعضه إلى بعض تباعاً، والآخر: صوت يُتابع... يقول العرب: رزمت الشيء: جمعته. ومن ذلك: اشتقاق رزمة الثياب"⁵. قال الجوهري: ورزمت الشيء: جمعته. والرزمة: الكارّة من الثياب... وقد رزمتها ترزماً: إذا شددتها رزماً. الرّزمة: جمع الرجل بين التمر والجراد"⁶.

- **رَقَعَه:** بمعنى ضربه أو صفعه، وأصلها بالقاف، وبهذا المعنى تقريباً ورد اللفظ في لسان العرب. قال ابن منظور: "رَقَعَ الغرض بسهمه إذا أصابه، وكل إصابة رَقْعٌ. وقال ابن الأعرابي: رَقَعَةُ السهم صوته في

¹ - لسان العرب، ج06، مادة(جش).

² - لسان العرب، ج06، مادة(جش).

³ - لسان العرب، ج11، مادة(دل). واللهجة التواتية، 84/1.

⁴ - لسان العرب، ج05، مادة(دلر).

⁵ - مقاييس اللغة، ص333.

⁶ - الصحاح، ص441.

الرُّقْعَة. ورَقَعَهُ رَقْعاً قَبِيحاً أي هجاه وشتمه" ونرى أن معنى (رَقَعَ) في العربية أوسع ويشمل الإصابة المادية كالضرب والإصابة المعنوية كالشتم والهجاء.

ومن مشتقات اللفظة عند العامة (الرُّقْعَة): بالقاف المعقودة وهي خرقة جلدية يضعونها تحت الرحى ليستقر عليها الطحين، ومن مشتقات اللفظ عندهم (رَقَعَ) التي هي من الترقيع، وهذه المعاني جميعاً لمشتقات اللفظ (رَقَعَ) وردت مستعملة في لسان العرب حيث قال: "رَقَعَ الثوبَ والأديمَ بالرَّقَاعِ يَرَقِّعُهُ رَقْعاً ورَقَّعَهُ: أَلْحَمَ خَرَقَهُ ... والرُّقْعَة: الخِرْقَة"¹.

- زرب: بمعنى أسرع ومنه الزريبة: سكن يصنع من سعف النخيل وهو بسيط في شكله، ولذلك يقولون تمثيلاً للبساطة في الحياة والزهد فيها: (زريبة توصل للأخرة). والزريبة عند العرب هي مكان مخصص للبهائم، جاء في مقاييس اللغة: "الزاء والراء والباء أصل يدل على بعض المأوى. فالزَّرْبُ زَرْبُ الغنم، وهي حظيرتها. ويقال: الزَّرْبِيَّةُ الزَّرْبِيَّةُ. والزريبة: قُتْرَةُ الصَّائِدِ"².

- الزريبة: الفراش الوثير من القطن والوبر ونحوهما، وقد وردت اللفظة بمعناها ومبناها في القرآن الكريم. جاء في اللسان: "الزَّرَابِيُّ البُسْطُ؛ وقيل: كل ما بُسِطَ وأُتْكِيَ عليه؛ وقيل: هي الطنَّافِسُ، وفي الصحاح: النمارق. والواحد من كل ذلك زَرْبِيَّةٌ بفتح الزاي وسكون الراء، عن ابن الأعرابي والزجاج في قوله تعالى: ﴿وَزَّرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ﴾³؛ الزَّرَابِيُّ البُسْطُ"⁴.

- الزريعة: أصل البزر الذي ينبت منه الزرع، وهي فصيحة دون أدنى تغيير، جاء في اللسان: "والزَّرْبِيَّةُ ما بُدِرَ وقيل: الزَّرْبِعُ ما يَنْبُثُ في الأرض المستحيلة مما يتناثر فيها أيام الحصاد من الحَبِّ، قال ابن بري:

¹ - لسان العرب، ج08، مادة(رَقَعَ). واللهجة التواتية، 94/1.

² - مقاييس اللغة، ص398.

³ - سورة الغاشية، الآية 16.

⁴ - لسان العرب، ج01، مادة(زرب). واللهجة التواتية، 97/1.

الزَّرِيعَةُ بتخفيف الراء الحب الذي يُزْرَعُ ... والله يزرعُ الزرع ينميه حتى يبلغ غايته على المثل، الزرعُ الإنبات يقال: زرعه الله أي أنبته، وفي التنزيل: ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾¹.

- زطام: وهو كيس لحفظ النقود ولعل أصله بالكاف زكام من زكم بمعنى ملاً، جاء في اللسان: "الزُّكَامُ مأخوذاً من الزَّكْبِ والزَّكْبُ وهو الملاء، يقال: زُكِمَ فلان ومُلِيَءَ بمعنى واحد"³.

- الزَّرْعَطْرُ: نبات معروف وأصله في العربية صعتر وسعتر، جاء في اللسان: "الصَّعْتَرُ من البقول بالصاد، قال ابن سيده: هو ضرب من النبات، واحدته صَعْتَرَةٌ، وبها كُنِيَ البَوْلَانِيُّ أبا صعتره. قال أبو حنيفة: الصَّعْتَرُ مما ينبت بأرض العرب، منه سهليٌّ ومنه جبليٌّ"⁴. وذكر الجوهري: "سعتر بالسين، قال: وبعضهم يكتبه بالصاد في كتب الطب لئلا يلتبس بالشعير"⁵.

- زفن: بمعنى التطويل والرقص ومنه الزفان الذي يضرب على الطبل، واللفظ بمعناه ومبناه ورد مستعملاً في كلام العرب، جاء في اللسان: "الزُّفْنُ الرقصُ زَفَنَ يَزْفِنُ زَفْنًا وهو شبيه بالرقص، وفي حديث فاطمة - عليها السلام- أنها كانت تَزْفِنُ للحسين أي تُرَقِّصه وأصل الزفن اللعب والدفع؛ ومنه حديث عائشة - رضي الله عنها- قدِمَ وفد الحبشة فجعلوا يَزْفِنون ويلعبون أي يرقصون ... ويقال للرقاص: زَفَّانٌ"⁶ وقد تستعمل العامة اللفظ مجازاً فيقولون للإنسان الذي يتلاعب بآخر (راه يزفن به).

- الزُّفَاقُ: بالقاف المعقودة هي عند العامة اسم للطريق الضيق، وهي بهذا المعنى صحيحة معنى ومبنى، جاء في الصحاح: "الزُّفَاقُ السكة يذكر ويؤنث؛ قال الأخفش: أهل الحجاز يؤنثون الطريق والسرائ

¹ - سورة الواقعة، الآية 64.

² - لسان العرب، ج 08، مادة (زرع). واللهجة التواتية، 98/1.

³ - لسان العرب، ج 12، مادة (زكم).

⁴ - لسان العرب، ج 04، مادة (صعتر). واللهجة التواتية، 98/1.

⁵ - الصحاح، ص 538.

⁶ - لسان العرب، ج 13، مادة (زفن). واللهجة التواتية، 100-99/1.

والسبيل والسوق والزقاق والكلاء وهو سوق البصرة، وبنو تميم يذكرون هذا كله؛ وقيل: الزُّقاق الطريق الضيق دون السِّكة والجمع الزُّقَانُ والأزِقَّة، مثل: حُوار وحوران وأحورة¹.

- **الزلافة:** نوع من الأوعية المصنوعة من الطين، وقد تكون لعامة الأواني في حجم متوسط، وقد عبرت العرب بهذا اللفظ لمثل هذا المعنى في قولهم: "الزَّلْفَةُ الصَّحْفَةُ الممتلئة بالتحريك، والزَّلْفَةُ الإِجَانَةُ الخضراء"؛ والأجانة هي مكان لحمل الماء، والفرق بين الاستعمالين كما نرى أن العامة أشعبت حركة اللام ألفاً، بينما في الأصل فتحة فقط².

- **الزلط:** وهو الفقر في أشد صورته، وصاحبه مزلولط. وقد تكون مأخوذة من الصلت اي الخفيف اللباس، أو من سلت الشيء إذا أماطه³. ومعلوم أن الفقر يجلب السكينة والمزلة أحياناً لكن أن ترى فقراً مع غلظة وبأسا فذاك ما عبرت عنه العامة في أمثالها بقولها: (الزلط والتفرعين) مشتقة من عمل فرعون.

- **زمر:** الفعل من المزمار أو الزمارة، وهي النفخ مع إخراج الصوت، وهذا الفعل كانت تعرفه العرب قديماً في شكله وإيقاعه، جاء في اللسان: "الزَّمْرُ بالمزمار زَمَرَ يَزْمُرُ وَيَزْمُرُ زَمْرًا وَزَمْرَانًا غَتَّى فِي الْقَصَبِ ... والمزمارُ والزَّمَارَةُ ما يُزْمَرُ فيه، الجوهري: المزمارُ واحد المزامير"⁴.

- **الزرنقة:** الممر الضيق، وهو مستعمل بهذا المعنى في كلام العرب، جاء في مقاييس اللغة: "الزاء والنون والقاف أصل يدل على ضيق أو تضيق. الزَّرْنَقَةُ كالمدخل في السِّكَّة وغيرها في ضيق وفيها ميل"⁵.

- **زوق:** وهو التزيين أي التحلية، وقد تأتي عندهم مجازاً فيقولون: كلام مزوق أي بمعنى معسول ومزين، وبهذه المعاني جميعاً عبرت العرب باللفظ حيث جاء في الصحاح: "زوق الزَّووق: الزَّبِقُ في لغة أهل المدينة، وهو يقع في التزاويق لأنه يُجعل مع الذهب على الحديدة ثم يُدخَل في النار فيذهب منه الزَّبِقُ

¹ - الصحاح، ص 494.

² - لسان العرب، ج 13، مادة (زلف).

³ - ينظر: قاموس رد العامي إلى الفصح، ص 237-238.

⁴ - لسان العرب، ج 04، مادة (زمر).

⁵ - مقاييس اللغة، ص 389.

ويبقى الذهب ثم قيل: لكل مُنْفَسٍ مُزَوَّقٍ، وإن لم يكن فيه الرَبَقُ"¹. وجاء في اللهجة التواتية: "المزَوَّقُ المزَيَّنُّ به كثر حتى سمي كل مزَيَّنٍ بشيء مُزَوَّقًا، وكلام مُزَوَّقٌ مُحَسَّنٌ؛ عن كراع: ... وزَوَّقْتُ الكلام والكتاب إذا حسَّنته وقوَّمته"².

- سانقو: وهي الأساور التي تضعها المرأة في يدها للزينة، ويبدو أن اللفظ دخيل رغم أنه ورد شبيهه معناه مستعملاً عند العرب قديماً، جاء في اللسان: "... أَسَنَقَ فلاناً النعيمُ إذا تَرَفَّه، وقد سَنَقَ سَنَقاً"³.

- السبط: نبات طويل أخضر ينبت في أماكن مخصصة ويطعمون به الدواب، وبهذا المعنى تماماً ورد اللفظ في الصحاح: "السَّبَطُ بالتحريك نَبْتُ الواحدة سَبَطَةٌ. قال أبو عبيد: السَّبَطُ النَّصِيُّ ما دام رطباً فإذا يبس فهو الحَلِيُّ"⁴... ابن سيده: السَّبَطُ الرطب من الحَلِيِّ وهو من نبات الرمل، وقال أبو حنيفة قال أبو زياد: السَّبَطُ من الشجر وهو سَلْبٌ طَوَالٌ في السماء دُقَاقُ العيدان تأكله الإبل والغنم وليس له زهرة ولا شوك ولا ورق دِقَاقٌ على قدر الكُرَاثِ؛ قال: وأخبرني أعرابي من عَمَزَةَ أن السبط نباته نباتُ الدُّخْنِ الكِبَارِ دون الذرة وله حَبٌّ كحَبِّ البُرِّ لا يخرج من أَكْمَتِهِ إلا بالدَّقِ والناس يستخرجونه ويأكلونه خَبْزاً وطبخاً واحده سَبَطَةٌ وجمع السَّبَطُ أسباطٌ، وأرض مَسْبَطَةٌ من السبط كثيرة السبط الليث السبط نبات كالثليل إلا أنه يطول وينبت في الرمال الواحدة سَبَطَةٌ"⁵.

- السطل: هو الدلو وهي لفظة عربية صحيحة كما ورد في مقاييس اللغة حيث قال: "...على أنهم يسمون إناء من الآنية سَطَلاً وسَيْطَلاً"⁶ وهو معروف يستعمل بلفظه.

¹ - الصحاح، ص506.

² - اللهجة التواتية، 103/1.

³ - لسان العرب، ج10، مادة(سنق).

⁴ - الصحاح، ص513.

⁵ - لسان العرب، ج07، مادة(سبط).

⁶ - مقاييس اللغة، ص405.

- **السفود:** هي حديدة رقيقة وطويلة تستعملها العامة في تحضير ما يعرف عندهم بالملفوف، وسميت بالملفوف لأنها قطعة من كبد الشاة ملفوفة بالشحم الرقيق، والسفود ورد بهذا المعنى عند العرب، جاء في الصحاح: "السَّفُودُ بالتشديد: الحديدة التي يُشوى بها اللحم. وجمعه سفافيد"¹.

- **السّفوف:** ويسمى بها التمر بعد دقه وتفتيته، وقد تطلق في جهات أخرى على الطعام اليابس الذي يسف فقط، وقد ورد اللفظ بمبناه ومعناه في كلام العرب، جاء في اللسان: "سَفَفْتُ الدَّوَاءَ بالكسر واستَفَفْتُهُ بمعنى إذا أخذته غير ملتوتٍ، وكذلك السَّوِيُّ وكل دَوَاءٍ يُؤخذ غير معجون فهو سَفُوفٌ بفتح السين مثل سَفُوفِ حَبِّ الرِّمَانِ ونحوه"².

- **السَّلعة:** وهي بمعنى البضاعة التي تباع وتشتري، وهو اللفظ الذي تحدثت به العرب أيضا في هذا المعنى، جاء في الصحاح: "السَّلْعَةُ المتاع"³، وجمعها السَّلْعُ.

- **سَلَف:** ومنه السَّلْفَةُ أي بمعنى القرض والدَّيْن وهو بهذا المعنى جاء في كلام العرب، قال ابن منظور: "السَّلْفُ نوع من البيوع يُعَجَّلُ فيه الثمن وتضبط السلعة بالوصفِ إلى أجل معلوم وقد اسلَفْتُ في كذا استلفت منه دراهم تسَلَفْتُ فأسَلَفَنِي. الليث: السَّلْفُ القرض والفعلُ أسلَفْتُ، يقال: أسَلَفْتُه مالاً أي أقرضته... قال السَّلْفُ في المعاملات له معنيان أحدهما القرض الذي لا منفعة للمقرض فيه غير الأجر والشكر وعلى المُقْتَرِضِ رُدُّه كما أخذه، والعرب تسمي القرض سلفاً كما ذكره الليث والمعنى الثاني في السلف هو أن يُعطي مالاً في سلعة إلى أجل معلوم بزيادة في السَّعْر الموجود عند السَّلْفِ وذلك منفعة للمُسَلِّفِ، ويقال له: سَلِمَ دون الأول قال: وهو في المعنيين معاً اسم من أسلَفْتُ وكذلك السلم اسم من أسَلَمْتُ"⁴.

¹ - الصحاح، ص 541.

² - الصحاح، ص 543.

³ - الصحاح، ص 552.

⁴ - لسان العرب، ج 09، مادة (سلف).

- السَّنارة: وأصلها بالصاد، نوع من الحبال الدقيقة، وهي في أصلها عند العرب رأس المغزل الذي يغزل به، لكن العامة فيما يبدو قد استعملتها من باب المجاز على اعتبار أن رأس المغزل أو المغزل يغزل بها أحياناً، جاء في مقاييس اللغة: "الصَّنَارَةُ بكسر الصاد: حديدة في المغزل مُعَقَّة"¹.

- السِّي: وهي مختصرة من سيد، سي محمد وسي فلان².

- الشاش: وهو العمامة، أصلها جاج ومعناها ولاية في تركستان مشهورة بنسيجها، وقيل: نسبة إلى البلدة المسماة بالشاش في أطراف الهند، ومن أنواعه المرمر وهو نوع غال³، ومؤنث الشاش عندهم هي الشاشية وهي قبعة دائرية توضع فوق الرأس، وتكون غالباً مصنوعة من الصوف ونحوه.

- الشال: ما يوضع على القبة والرأس، وهي كلمة فارسية⁴، وشال في العربية بمعنى رفع، جاء في اللسان: "... شال الميزان: ارتفعت إحدى كفتيه، ويقال: شال ميزان فلان يَشُولُ شَوْلَانًا، وهو مثل في المُفَاخِرَةِ، يقال: فَاخَرْتَهُ فَشَالَ مِيزَانَهُ أَي فَخَرْتُهُ بِآبَائِي وَغَلْبْتُهُ؛ قال ابن بري: ومنه قول الأخطل:

وَإِذَا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ رَجَحُوا
وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ

وَشُلْتُ بِالْجَرَّةِ أَشُولُ بِهَاشٍ وَلَا رَفَعْتَهَا ... وَأَشَالَ الْحَجْرَ وَشَالَ بِهِ وَشَاوَلَهُ رَفَعَهُ⁵، ومن معنى شال تقول العامة في تعظيم أوليائها الشيخ مولاي عبد القادر الجيلالي⁶ شايل الله به، ومولاي سليمان بن

¹ - مقاييس اللغة، ص495.

² - ينظر: معجم تيمور الكبير، 4/152.

³ - ينظر: الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، ص81.

⁴ - المرجع نفسه، ص118.

⁵ - لسان العرب، ج11، مادة(شال). واللهجة التواتية، 112/1-113.

⁶ - عبد القادر الجيلالي: ولد سنة 471هـ وتوفي سنة 561هـ الموافق(1079.1166م) عاش ببغداد، واتصل بشيوخ التصوف وأخذ عنهم وبرع في أساليب الوعظ والإرشاد وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة 528هـ. الصحراء الكبرى وشواطئها، إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص109.

علي شاييل الله به، والشيخ المغيلي¹ شاييل الله به، ومعناها في كل حسب التقدير (شاييل الله به) بمعنى رافع، وقد قيل في تفسيرها أيضاً: شيء لله به.

- **الشقفة:** الجزء من وعاء الطين وغيره بعد كسره، وبهذا المعنى تحدث صاحب اللسان حين قال: "شقف: التهذيب: أهمله الليث، وروي عن أبي عمرو: الشَّقْفُ الحَزْقُ المُكْسَرُ"².

- **الشكال:** من الفعل شكل بمعنى شد، والشكال هو الحبل الذي يشدون به قوائم الدابة ونحوها، واللفظ بهذا المعنى ورد في الصحاح: "الشكال: العقال، والجمع سُكُلٌ، الأصمعي: الشكال حبل يُجَعَلُ بين التّصديِر والحَقَب... وهو أن تكون ثلاث قوائم مُحَجَّلَةً وواحدة مُطْلَقَةً؛ شُبّه بالشكال وهو العقال. أو تكون الثلاث مطلقاً ورجلٌ مُحَجَّلٌ، قال أبو عبيد: وليس يكون الشكال إلا في الرّجل، ولا يكون في اليد"³.

- **الشكوة:** هي وعاء من جلد الشاة لِحَض وحفظ اللبن، كما تستعمل في استخراج الزبدة من الحليب عن طريق الحَض، والشكوة بهذه المعاني وردت في لسان العرب، قال ابن منظور: "والشكوة: جلد الرضيع وهو لبّن، فإذا كان جلد الجذع فما فوقه سُمِّيَ وطباً، وفي حديث عبد الله بن عمرو: كان له شكوةٌ يَنْقَعُ فيها زيباً⁴، قال: هي وعاءٌ كالدّلُو أو القربة الصغيرة، وجمعها سُكَيٌّ. ابن سيده: الشكوة مَسْكُ السَّخْلَةِ السَّخْلَةُ ما دام يَرِضَعُ، فإذا فُطِمَ فَمَسْكُهُ البَدْرَةُ، فإذا أَجْدَعَ فَمَسْكُهُ السَّقَاءُ، وقيل: هو وعاءٌ من أَدَمٍ يُبْرَدُ فيه الماءُ ويُجَبَسُ فيه اللبّن، والجمعُ شَكَوَاتٌ وَشِكَاءٌ. وقول الرائد: وشكتِ النساءُ أي اتخذت

¹ - عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م): هو أبو عبد الله التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، فقيه مفسر متكلم، نشأ بتلمسان، وقع نزاع بينه وبين الإمام السيوطي في علم المنطق، ناوأ اليهود في توات وكانت له معهم مشاحنات أدت إلى قتالهم وهدم كنائسهم، وكانت له رسالة في أمور السلطنة، ومن توات ارتحل إلى بلاد التكرور، توفي في توات، له من المؤلفات "البدر المنير في علوم التفسير و" مصباح الأرواح في أصول الفلاح" و" تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين، وغيرها من المؤلفات. ينظر: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهيض، مؤسسة نويهيض، بيروت، 1980م، ص308.

² - لسان العرب، ج09، مادة(شقف).

³ - الصحاح، ص609.

⁴ - النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير(606/544هـ)، تح أحمد بن محمد الخراط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، دط، دت، 497/2.

الشكاء، وقال ثعلب: إنما هو تَشَكَّتْ النساءُ أي اتخذن الشكاءَ لِمَخْضِ اللبنِ لأنه قليل، يعني أن الشكوةَ صغيرةٌ فلا يُمَخَضُ فيها إلا القليل من اللبن¹.

- **الشملة:** ما لباس رقيق شفاف يوضع ويلبس في البيت، وقد يسمون ما يوضع فوق شعر الرأس بالملحفة، واللفظ بهذه المعاني ورد في لسان العرب، قال ابن منظور: "المِشْمَلُ: ثوب يُشْتَمَلُ به، واشْتَمَلَ بالثوب إذا أداره على جسده كله حتى تخرج منه يده، واشتمل عليه الأمر: أحاط به، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ﴾²... المحكم: والشملة الصمء التي ليس تحتها قميص ولا سراويل، وكُرِهت الصلاة فيها... والشملة كساءٌ دون القطيفة يُشْتَمَلُ به، وجمعها شِمَالٌ... قال أبو منصور: الشملة عند العرب مِئْزَرٌ من صوف أو شعر يُئْتَزَرُ به، فإذا لُقِقَ لِفَقَيْنِ فهي مِشْمَلَةٌ يَشْتَمَلُ بها الرجل إذا نام بالليل³.

- **الصَّابِرة:** قدر الطبخ المصنوع من الطين، وهو عندهم يستعمل لتحضير الطعام، وحول هذا المعنى دارت اللفظ أيضا في اللسان، قال ابن منظور: "والصُّبْرَةُ ما جُمِعَ من الطعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض. الجوهرى: واحدة صُبْرٍ الطعام، يقال: اشتريت الشيء صُبْرَةً أي بلا وزن ولا كيل. وفي الحديث: مرَّ على صُبْرَةٍ طعام فأدخل يده فيها؛ الصُّبْرَةُ: الطعام المجتمع كالكُومَةِ"⁴.

- **مِصْحَصِح:** بمعنى الواعي المدقق في صغائر الأمور، فالرجل الذي لا تفوته حتى صغائر الأشياء في إشرافه على أمر ما هو عند العامة رجل مصحصح، وبهذا المعنى جاء اللفظ في اللسان، قال ابن منظور: "رجل صُحِّصِحٌ وصُحِّصُوهُ: يَتَّبِعُ دقائق الأمور فيُحْصِيها وَيَعْلَمُها"⁶.

¹ - اللهجة التواتية، 117/1. وينظر أيضا: فقه اللغة للثعالبي، ص 46.

² - سورة الأنعام، الآية 143.

³ - لسان العرب، ج 11، مادة (شمل). وينظر: الصحاح، ص 614.

⁴ - حديث حسن صحيح، سنن الترمذي، حكم وعلق عليه الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1437هـ، ص 311.

⁵ - لسان العرب، ج 04، مادة (صبر).

⁶ - لسان العرب، ج 02، مادة (صحح).

- **الصُّطْلَة:** وتنطق أيضا بالسين (السطل) مذكر وقد تؤنث (السطلة)، وهي الدلو الذي له عروة يحمل فيه الماء ونحوه، وهو لفظ فصيح، وبهذا المعنى ورد اللفظ عند العرب قديماً، قال ابن منظور: " سطل السَّيْطَلُ الطُّسَيْسَةُ الصَّغِيرَةُ، يقال: إنه على صفة تَوَّرٍ له عُرْوَةٌ كعروة المِرْجَلِ السَّطَلِ مثله ... والجمع سُطُولٌ عربي صحيح السَّيْطَلُ لغة فيه"¹.

- **الصَّكُّ:** الصك عند العامة هو الضرب الشديد، ويكون بخاصة من الحمار، والصك بمعنى الضرب ورد مستعملاً عند العرب، قال ابن منظور: "الصَّكُّ: الضرب الشديد بالشيء العريض، وقيل: هو الضرب عامة بأي شيء كان، صَكَّهُ يَصُكُّهُ صَكًّا، الأصمعي: صَكَّمْتَهُ وَكَمَّمْتَهُ وَصَكَّكْتُهُ وَدَكَّكْتُهُ وَلَكَّكْتُهُ، كله إذا دفعته، وَصَكَّهُ أَي ضربه ... وقد مَشَّشَتِ الدابة وَصَكَّكْتِ"²، وقد تعبر العامة باللفظ مجازاً عن عدم الاهتمام بالشيء فتراهم يقولون: (فلان صك فلان) أي أنكروه ولم يعطيه ما يستحق من العناية والاهتمام.

- **الطَّاسُ:** هو إناء الشرب، وقد ورد اللفظ مستعملاً في الصحاح قول الجوهري: "الطَّاسُ: الذي يُشْرَبُ فيه"³.

- **الطَّاسَةُ:** هي إناء للشرب كذلك لكنها دائرية الشكل، وأصلها في لسان العرب (الطست) بكسر الطاء وتشديدها، قال ابن منظور: "الطَّسُّ وَالطَّسَّةُ وَالطَّسَّةُ: لغة في الطَّسْتِ ... وَالطَّسْتُ: من آنية الصُّفْرِ، أنثى وقد تذكر. الجوهري: الطَّسْتُ الطَّسُّ بلغة طيءٍ أُبدل من إحدى السينين تاء للاستتقال، فإذا جَمَعَتْ أَوْ صَعَّرَتْ رددت السين لأنك فصلت بينهما بألف أو ياء، فقلت: طَّاسٌ وَطَّسَيْسٌ"⁴.

¹ - لسان العرب، ج11، مادة(سطل).

² - لسان العرب، ج10، مادة(صك).

³ - الصحاح، ص715.

⁴ - لسان العرب، ج06، مادة(طس).

ويرى الجمع اللغوي في مصر¹ أن تطلق الكلمة على الإناء المقعر الصغير من صفر أو زجاج، وهو الذي يشرب فيه وتغسل فيه الأصابع بعد الطعام، واسمه الفريخي من العربية.

- **الطاجين**: نوع من أواني القلي للطعام، وهو بنفس المعنى ورد منسوباً في اللسان إلى الفرس لكنه عرب، قال ابن منظور: "الطاجينُ: المقلَى، وهو بالفارسية تابه، والطَّجْنُ: قَلْوُكُ عليه، دخيل. قال الليث: أهملت الجيم والطاء في الثلاثي الصحيح، ووجدناها مستعملة بعضها عربية وبعضها مُعَرَّبَةٌ، فمن المُعرب قولهم: طَجَنَةُ بلد معروف، وقولهم للطابق الذي يُقلى عليه اللحم الطاجنُ، وَقَلِيَّةٌ مُطَجَّنَةٌ، والعامية تقول: مُطَنَجَنَةٌ. الجوهري: الطَّيَجَنُ والطَّاجِنُ يُقلى فيه، وكلاهما معرَّب لأن الطاء والجيم لا يجتمعان في أصل كلام العرب"².

- **الطبق**: إناء محلي الصنع، يصنع من سعف النخيل ويكون غطاءً وأداة لحمل التمر ونحوه، واللفظ فصيح في معناه ومبناه، وقد ورد مستعملاً في كلا العرب، قال ابن منظور: "الطَّبُقُ: غطاء كل شيء، والجمع أطباق، وقد أَطْبَقَهُ وطَبَّقَهُ فانطبق. وتَطَبَّقَ: غطاه وجعله مُطَبَّقاً؛ ومنه قوله: لو تَطَبَّقَت السماء على الأرض ما فعلت كذا. وفي الحديث: حِجَابُهُ النور لو كُشِفَ طِبْقُهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كل شيء أدركه بصره؛ الطَّبُقُ: كل غطاء لازم على الشيء. وطَبَّقُ كل شيء: ما ساواه، والجمع أطباق"³. وقيل: "الطَّبُقُ: من أمتعة البيت، ... وأصل (الطَّبُقِ) الشيء على مقدار الشيء مُطَبَّقاً له من جميع جوانبه كالغطاء له"⁴.

- **الطلب**: اسم آلة غنائية معلومة، وقد يطلق على نوع غنائي معلوم يعتمد أساساً على هذه الآلة في إيقاعه، كما تسمى العامة مستعمل هذه الآلة: الطَّبَّال. واللفظ في جميع معانيه ومشتقاته المستعملة عند العامة ورد في الصحاح، قوله "الطَّبَّالُ: معروف الذي يُضْرَبُ به"⁵. ويضيف ابن منظور: "وهو ذو الوجه

¹ ينظر: الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، ص 118. وقاموس رد العامي، ص 360، 361.

² - لسان العرب، ج 13، مادة (طجن).

³ - لسان العرب، ج 10، مادة (طبق).

⁴ - معجم المصطلحات الإسلامية في الصباح المنير، رجب عبد الجواد إبراهيم، ص 186.

⁵ - الصحاح، ص 692.

الواحد والوجهين، والجمع أطبال وطُبول. والطَّبَّال: صاحب الطَّبَل، وفعله التَّطْبِيل، وحرفته الطَّبَّالة؛ وقد طَبَّلَ يَطْبُلُ. والطَّبَّلة: شيء من خشب تتخذة النساء¹.

– **الطربوش**: كلمة فارسية معربة أصلها في الفارسية: سربوس مركبة من (سر) ومعناه رأس، ومن (بوش) ومعناه غطاء، والمعنى الكلي غطاء الرأس².

– **الطوب**: وسيلة البناء المعلومة، تصنع في قوالب محددة، وقد وردت مستعملة في اللسان، قال ابن منظور: "والطُّوبَةُ: الآجُرَّة، شامية أو رومية، قال ثعلب، قال أبو عمرو: لو أمكَّنتُ من نفسي ما تركوا لي طُوبَةً، يعني آجرة. الجوهري: "والطُّوبُ الآجر بلغة أهل مصر"³، والطوبه الآجرة، ذكرها الشافعي. قال ابن شميل: فلان لا آجُرَّة له ولا طُوبَة؛ قال: الآجر الطين"⁴.

– **العدس**: نوع من الأطعمة حباته صغيرة مائلة إلى الصفر، وقد عرفته العرب بقولها: "العَدَسُ: من الحبوب، واحده عَدَسَة، ويقال له: العَلَسُ والعَدَسُ والبُّلْسُ"⁵.

– **العروة**: تكون في الإناء ونحوه للشد، واللفظ فصيح، يقول الثعالبي في حديثه عن الفرق بين الكوز والكوب من باب ذكر الأشياء المختلفة الأسماء والأوصاف تبعا لاختلاف أحوالها: "ولا يقال كوز إلا إذا كانت له عروة وإلا فهو كوب"⁶. كما جاء مقاييس اللغة: "العروة عُرْوَة الكوز ونحوه، والجمع عُرَى، وعُرَيْتُ الشيء: اتَّخَذَتْ له عُرْوَة"⁷.

– **العصيدة**: أكلة تصنع من الدقيق، أساسها الخلط الجيد للدقيق بأطراف اليد، ولم يكتف ابن منظور بعرض معنى هذا اللفظ كما عرفته العرب، بل تعداه إلى عرض طريقة التحضير والعصد والتي تصل إلى

¹ – لسان العرب، ج11، مادة(طبل).

² – ينظر: الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، ص 119.

³ – الصحاح، ص714.

⁴ – لسان العرب، ج01، مادة(طوب).

⁵ – لسان العرب، ج06، مادة(عدس).

⁶ – فقه اللغة، ص 27.

⁷ – مقاييس اللغة، ص664.

الدرجة التي يصير معها العجين كتلة واحدة فيقلب في الإناء، قال ابن منظور: "عَصَدَ الشيء يَعْصِدُهُ عَصْدًا، فهو معصود وعصيْدٌ: لواه؛ والعَصِيْدَةُ منه، والمعْصِدُ ما تُعْصِدُ به. قال الجوهري: "والعصيدة التي تَعْصِدُهَا بالمِسْوَاطِ فَتُجْمَرُهَا بِهِ، فَتَنْقَلِبُ وَلَا يَبْقَى فِي الْإِنَاءِ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا انْقَلَبَ"¹. وفي حديث خولة: فَفَرَّغْتُ لَهُ عَصِيْدَةً²؛ وهو دقيق يُكْتَبُ بالسمن ويطحخ. يقال: عَصَدْتُ العَصِيْدَةَ وَأَعْصَدْتُهَا أَي اتَّخَذْتُهَا، وَعَصَدَ البعير عنقه: لواه نحوه حاركه للموت"³.

- **العلف**: ما تأكله الدواب، والدابة التي تعلق تصير عندهم معلوفة، والملاحظ أن العامة قد ضيقت من دلالة اللفظ فأطلقتها على النوى الموجود في التمر وهو الذي يتخذونه علفاً للدواب، غير أن لفظ (العلف) كما استخدمته العرب واسع الدلالة بحيث يطلق على هذا النوع وعلى غيره مما تقتات عليه الدواب، فهو عندهم جميعاً علف الدواب، وفي ذلك يقول الجوهري: "العَلْفُ للدواب، والجمع عِلَافٌ مثل جبل وجبال"⁴. وفي الحديث: وتَأْكُلُونَ عِلَافَهَا⁵؛ وهو جمع عِلْف، وهو ما تأكله الماشية، قال ابن سيده: العَلْفُ قَصِيْمُ الدابة، عَلَفَهَا يَعْلِفُهَا عِلْفًا، فهي معلوفة وَعَلِيفٌ ... والعَلُوفَةُ والعَلِيفَةُ والمُعَلَّفَةُ جميعاً: الناقة أو الشاة تُعَلَّفُ للسَّمْنِ وَلَا تُرْسَلُ للرعي. قال الأزهري: تُسَمَّنُ بما يُجْمَعُ من العلف، وقال اللحياني: العَلِيفَةُ الْمُعَلَّفَةُ، وجمعها عِلَافٌ فقط، وقد عِلَّفْتُهَا إِذَا أَكْثَرْتُ تَعَهُدَهَا بِالِقَاءِ العلف لها"⁶.

- **عمنول**: هي منحوتة من كلمتي: عام وأول، وهي صحيحة.

- **العنبر**: نبات معروف تتخذه العامة للطيب، وقد ورد اللفظ في لسان العرب بهذا المفهوم، قال ابن منظور: "العَنْبَرُ: من الطيب معروف، وبه سمي الرجل. وفي حديث ابن عباس: أنه سئل عن زكاة العنبر

¹ - الصحاح، ص775.

² - المجموع المغني في غريب القرآن والحديث، أبي موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المدني الاصفهاني (ت581هـ)، تح عبد الكريم العزباوي، مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط1، 1408هـ/1988م، 461/2. المعجم الكبير، للطبراني، تح حمدي عبد الحميد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دط، دت، 232/24.

³ - لسان العرب، ج3، مادة(عصد).

⁴ - الصحاح، ص804.

⁵ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، تح سامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، دط، 1425هـ/2004م، ص71. إعجاز القرآن الكريم والبلغة النبوية، صادق الرافي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393هـ/1973م، ص250.

⁶ - لسان العرب، ج09، مادة(علف).

فقال: إنما هو شيء دَسْرَه البحر¹؛ هو هذا الطيب المعروف، وجمعه ابن جني على عنابر، فلا أدري أحفظ ذلك أم قال ليُرِينَا النون متحركة، وإن لم يسمع عنابر، والعَنْبَر: الزعفران².

- العنزى: صنف من الماشية، واللفظ ورد بهذا المعنى أيضا في مقاييس اللغة: "جنس من الحيوان، العَنْزُ: الأنثى من المعزى ومن الأوعال والظباء. ويقال للأنثى من أولاد الظباء: عَنز، وثلاثُ أعنز، والجمع: عِنَاز. قال أبو حاتم: لم أسمع في الغنم إلا ثلاث أعنز، ولم أسمع العِنَاز إلا في الظباء"³.

- عود اقماري: هو من أهم أنواع الطيب المستعملة في الإقليم، كما يقول الجوهري: "والعود: الذي يُتَبَخَّرُ به"⁴، يجلب عن طريق قوافل التجار والحجيج، وهو في شكله عود طويل وبذلك نعت، أما قمار المنسوب لها فهي بلدة من بلاد الهند تشتهر بهذا النوع من الطيب وإليها ينسب فيقال: عود قماري، واللفظ بهذا المعنى ورد في لسان العرب، قال ابن منظور: "وقمار: موضع، إليه ينسب العود القماري، وعود قماري: منسوب إلى موضع ببلاد الهند"⁵.

- العياط: الصراخ وهو فصيح، جاء في لسان العرب: "التعيط ههنا الجلبة وصياح الأشر بقوله: عيط"⁶.

- الغالية: نوع من الطيب تستعمله العامة للزينة، وهو معروف عند العرب قديماً، جاء في الصحاح: "الغالية من الطيب. يقال: إن أول من سمّاها بذلك سليمان بن عبد الملك، تقول منه: تَعَلَّيْتُ

¹ - ينظر: صحيح البخاري، ص360.

² - مقاييس اللغة، ص633.

³ - مقاييس اللغة، ص612.

⁴ - الصحاح، ص823.

⁵ - لسان العرب، ج02، مادة(قمري).

⁶ - لسان العرب، ج07، مادة(عيط).

بالعالية¹. وقال أبو نصر: سألت الأصمعي: هل يجوز تَعَلَّلت؟ فقال: إن أردت أنك أدخلته في حَيْتِكَ أو شاربك فجائز².

- **الغرارة**: ما يحمل فيه فوق الدواب وغيرها. وهي في الوقت نفسه من أدوات كيل الزرع ونحوه، بحيث يقولون بعتك غرارة زرع وما إلى ذلك، واللفظ بهذا المعنى تحدثت به العرب، قال ابن منظور: "الغرارةُ واحد الغرائر التي للتبن، وأظنه معرباً³."

- **الغريال**: أداة لغريلة الدقيق ونحوه والفعل غربل، واللفظ فصيح جاء في لسان العرب لابن منظور: "عَرَبَلَ الشيء: نخله، والغريال: ما عُرِبَ به، معروف، عَرَبَلْتُ الدقيق وغيره، ويقال: عَرَبَلَهُ"⁴.

- **الغرفاف**: إناء يغرفون به الماء وكافة السوائل، وقد جاء في الصحاح: عَرَفْتُ الماء بيدي عَرَفًا، واغترفُ منه، والعرفة: المرة الواحدة، والعرفة بالضم اسم للمفعول منه. وفي القرآن الكريم: ﴿إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ عُرْفَةً﴾⁵، والغرافُ: مكيال ضخمة⁶.

- **الغرفية**: إناء مغروف الوسط يستعمل أيضا في عملية الغرف، جاء في اللسان: "ومزادة عَرَفِيَّةٌ وَعَرَفِيَّةٌ، فالعَرَفِيَّةُ رقيقةٌ من جلود يُؤْتَى بها من البحرين، وعَرَفِيَّةٌ دُبِغَت بِالْعَرَفِ. وسقاء عَرَفِيٌّ أي مدبوغ بالغرف"⁷.

- **الغشيم**: الجاهل وهي فصيحة، جاء في اللسان: "وقيل: العَشْمَشْمُ والمِعْشَمُ من الرجال الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عما يريد ويهوى من شجاعته"¹.

¹ - الصحاح، ص 854.

² - تحذیب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهری (380/282هـ)، نقله عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، 1324هـ/1964م، 191/8.

³ - الصحاح، ص 843.

⁴ - لسان العرب، ج 11، مادة (غبل).

⁵ - سورة البقرة، الآية 249.

⁶ - الصحاح، ص 845.

⁷ - لسان العرب، ج 11، مادة (غرف).

- **الغلاي:** آلة غلي الماء وهي صيغة مبالغة من الفعل غلي الفصيح، جاء في اللسان: "غَلَّت القدر تَغلي غَلِيًّا وَعَلِيَانًا، وَأَعْلَيْتُهَا أَنَا. ولا يقال: غَلَيْت" ².

- **الغلة:** نتاج الحقول وغيره واللفظ فصيح أيضاً جاء في اللسان: "الغَلَّة: الدَّخْل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض، والغلة: واحدة العَلَّات. واستغل عبده أي كلَّفه أن يُغِلَّ عليه. واستغلال المُسْتَعْلَات: أخذ عَلَّتْها. وأغَلَّت الضَّيِّعة: أعطت الغَلَّة، فهي مُغَلَّة إذا أتت بشيء وأصلها باقٍ... والغَلَّة: الدَّخْل الذي يحصل من الزرع والتمر واللبن والإجارة والتَّاج ونحو ذلك. وفلان يُغِلُّ على عياله أي يأتيهم بالغَلَّة" ³.

- **الغيباز:** نوع من الثياب، يضعونه غطاءً للجسم بوجه عام، وقد يكون بزيادة النون والزاي ⁴.

- **فالصُّو:** يقولون هذا الأمر فالصو بمعنى باطل، وهي من فلص، وفي لسان العرب معنى شبيه لما قالت العامة، يقول صاحب مقاييس اللغة: "الانفلاصُ: التَّفَلُّثُ. وفلَّصت الشيء من الشيء خلَّصته. هذا إن صح فإنما هو من الابدال، والأصل الميم، يقال: مَلَّص" ⁵.

- **فاح:** ويقولون أيضاً لَفَّح: نوع من التوابل له رائحة طيبة. لكنهم قد يعبرون باللفظ (فايح) كناية عن الرائحة الكريهة فقط، فتراهم يقولون: راك فايح: بمعنى أراك فائحاً. واللفظ في كل هذه المعاني الواردة عند العامة ورد مستعملاً عند العرب الفصحاء، قال ابن منظور: "الْفَوْحُ: وجدانك الريح الطيبة. فاحت ريح المسك تَفُوحُ وَتَفِيحُ فوحاً وفيحاً وفُؤُوحاً وفُؤُوحاً وفُؤُوحاً وفِيحاناً: انتشرت رائحته، وعمَّ بعضهم به الرائحتين

¹ - لسان العرب، ج12، مادة(غشم).

² - الصحاح، ص853.

³ - لسان العرب، ج11، مادة(غل).

⁴ - قاموس رد العامي، ص403.

⁵ - مقاييس اللغة، ص720.

معاً. وفاح الطيب يفوح فَوْحاً إذا تَضَوَّعَ؛ الفراء: يقال فاحت ريحه وفاخت، أما فاحت فمعناه أخذت بنفسه، وفاحت دون ذلك. وقال أبو زيد: الفَوْحُ من الريح والفَوْحُ إذا كان لها صوت¹.

- **فراها:** فرى الشيء عندهم إذا بث فيه وحسم أمره، واللفظ بهذا الاستعمال فصيح إلا أن العرب استعملته على الوجهين، جاء في لسان العرب لابن منظور: "فَرَى الشيء يَفْرِيه فَرِيًّا وَفَرَاهُ، كلاهما: شَقَّه وأفسده، وأفراه أصلحه، وقيل: أمر بإصلاحه كأنه رفع عنه ما لحقه من آفة الفَرِيِّ وَخَلَّه ... فإذا قلت: فَرَيْتَ بغير ألف، فإن معناه أن تُقَدِّرَ الشيء وتعالجه وتصلحه مثل النعل تَحْدُوها أو النَّطع أو القربة ونحو ذلك. يقال: فَرَيْتَ أفري فرياً، وكذلك فَرَيْتَ الأرض إذا سرتها وقطعتها ... قال ابن سيده: وحكى ابن الأعرابي وحده فرى أوداجه وأفراها قطعها ... ويقال: للشجاع: ما يَفْرِي فَرِيَّةً أحد، بالتشديد؛ قال ابن سيده: هذه رواية أبي عبيد، وقال غيره: لا يفري فريه، بالتخفيف، ومن شَدَّدَ فهو غلط ... وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- في عمر-رضي الله عنه-...: (لم أرى عبقرياً يَفْرِي فريه)² قال أبو عبيد: هو كقولك: يعمل عمله ويقول قوله ويقطع قطعه"³.

- **فرتك:** بمعنى شئت، والعامية تنطقه أحياناً بقاف معقودة (فرتق). وفرتك ماله وفرتقه: أي ضيعه وبعثه لعله، وقد ورد اللفظ في لسان العرب بهذا المفهوم تماماً، قال ابن منظور: "فَرَتَكَ عمله: أفسده، يكون ذلك في النسج وغيره. وفي النوادر: بَرَتَكَ الشيء بَرَتَكَهُ وَفَرَتَكَهُ فَرَتَكَهُ وَكَرَنَفَتُهُ إذا قَطَعْتَهُ مثل الذر"⁴.

- **فرز:** الفرز بمعنى التمييز والاختيار وهو لفظ فصيح، جاء في مقاييس اللغة: "فَرَزَ أصيل يدل على عزل الشيء عن غيره. يقال: فرزت الشيء فرزاً، وهو مفروز، والقطعة فِرْزَة"⁵. والفرز: النصيب المَفْرُوز لصاحبه، واحداً كان أو اثنين. وَفَرَزَهُ يَفْرِزُهُ فَرِزاً وَأَفْرَزَهُ: مازَهُ. الجوهري: الفَرُزُ مصدر قولك فَرَزْتُ الشيء

¹ - لسان العرب، ج2، مادة(فوح).

² - صحيح البخاري، باب فضائل الصحابة، ص905.

³ - لسان العرب، ج15، مادة(فري).

⁴ - لسان العرب، ج10، مادة(فتك). ومعجم تيمور الكبير، 36/5.

⁵ - مقاييس اللغة، ص731.

أَفْرَزُهُ إِذَا عَزَلْتَهُ عَنْ غَيْرِهِ وَمِزْتَهُ، وَالْقِطْعَةُ مِنْهُ فِرْزَةٌ بِالْكَسْرِ، وَكَذَلِكَ أَفْرَزْتُهُ بِالْأَلْفِ. وَفَارَزَ فُلَانٌ شَرِيكَه؛ أَي فَاصِلُهُ وَقَاطَعُهُ ... "1.

- **مفروح:** من فرطح أي العريض المتسع، وهو لفظ فصيح جاء في الصحاح: "فرطح: رأسٌ مُفْرَطُحٌ أي عريض"2. وقد تنطقه العامة كما العرب الفصحاء باللام بدل الراء (مفلطح) وهو أيضا بنفس المعنى عند الاثنين.

- **الفريك:** نوع من القمح يفرك باليد، وأصل اللفظ فرك بمعنى الدلك باليد، ويكون لسنا بل الزرع لإخراج حبها، ومنه فقد سمي هذا النوع من الحب عند العامة (الفريك)، واللفظة فصيحة في مبنائها ومعناها حيث يقول الجوهري: "فرك: فَرَكْتُ الثوب والسنبُل، أي صار فَرِيكاً وهو حين يصلح أن يُفْرَكَ فيؤكل، تقول للثب أول ما يطلع: نُجْمٌ، ثم فرخ وقصب، ثم أعصف، ثم سبَل، ثم سنبل، ثم أحب وألب، ثم أسقى، ثم أفرك، ثم أخصد"3.

- **الفرن:** يستعمل للطبخ، واللفظ فصيح جاء في لسان العرب: "الفرن: الذي يُجْبَزُ عليه الفَرْنِيُّ... وقال ابن دريد: الفَرْنُ شيء يُجْتَبَزُ فيه قال: ولا أحسبه عربياً. غيره: الفَرْنُ المِخْبُزُ، شامية، والجمع أفران. والفَرْنِيَّةُ: الحُبْرَةُ المستديرة العظيمة، منسوبة إلى الفَرْنِ. والفَرْنِيُّ: طعام يتخذ، وهي حُبْرَةٌ مُسَلَّكَةٌ مُصَعَّبَةٌ مضمومة الجوانب إلى الوسط، يُسَلِّكُ بعضها في بعض ثم تُرَوَّى لبناً وسمناً وسكراً، واحدته فَرْنِيَّةٌ"4. الفَرْنُ: الذي يُجْبَزُ عليه الفَرْنِيُّ، وهو خبز غليظ نسب إلى موضعه، وهو غير التَّنُّور، ويُروى: (نُقابِل) بالباء، وفي كلام بعض العرب: فإذا هي مثل الفَرْنِيَّةِ الحمراء"5.

¹ - الصحاح، ص 879.

² - لسان العرب، ج 02، مادة (فطح).

³ - الصحاح، ص 886.

⁴ - لسان العرب، ج 13، مادة (فرن).

⁵ - الصحاح، ص 887.

- **الفريئة:** هي دقيق القمح بعد طحنه ليتخذ منه الخبز في الفرن، واللفظ كما نرى فصيح أخذ معناه من موضع نضجه وهو الفرن، يقول ابن منظور: "الْفُرْنُ شيء يُخْتَبَزُ فيه ... والفارئة: حَبَاةُ هذا الْفُرْيِيِّ المذكور، ويسمى ذلك الْمُخْتَبَرُ فُرْنًا. وفي كلام بعض العرب: فإذا هي مثل الْفُرْيِيَّةِ الحمراء"¹.

- **الفوطة:** هي إزار معروف يلبس خاصة في الإحرام للحج، كما يستخدم منشفة بعد الاستحمام، والفوطة ثوب كانت العرب تعرفه من قديم لكنهم لم يتفوقوا على موطن صنعه الأصلي، جاء في اللسان: "الفوطة: ثوب قصير غليظ يكون مئزرًا يجلب من السند، وقيل: الفوطة ثوب من صوف، فلم يُجَلْ بأكثر، وجمعها الْفُوطُ. قال أبو منصور: لم أسمع في شيء من كلام العرب في الْفُوطِ، قال: ورأيت بالكوفة أزرًا مَخْطُطَةً يشتريها الجَمَّالون والخدم فيتزرون بها، الواحدة فوطة، قال: فلا أدري أعربيٌّ أم لا"². وقد رأى بعض الباحثين أن الفوطة ليست عربية وفارسيته فوتة. والفوطة إجمالاً هي لباس الهند، أما الإزار فهو لباس العرب³.

- **الفول:** نبات أخضر معروف، كان أهل توات يزرعون منه الكثير ليقثتوا منه، والفول نبت معروف عند العرب، جاء في اللسان: "الْفُؤْلُ: حَبٌّ كَالْحَمَّصِ، وأهل الشام يسمون الفول الباقلاً، الواحدة فولة؛ حكاها سيبويه وخصَّ بعضهم به اليابس"⁴. وجاء في مقاييس اللغة: "يقولون: الفول: الباقلي"⁵.

- **القازوز:** نوع من المشروبات الغازية وغيرها أصلها بالقاف، وفي لسان العرب معنى قريب جداً من هذا اللفظ، يقول ابن منظور: "القازوزة: مَشْرَبَةٌ وهي قَدَحٌ دون الْقَرْقَارَةِ، أعجمية معربة؛ الفراء: القوازيُّ الجماجم الصغار التي هي من قوارير؛ وقال أبو حنيفة: هذا الحرف فارسي والحرف العجمي يعرَّب على وجوه؛ وقال الليث: القافزُ مَشْرَبَةٌ دون الْقَرْقَارَةِ معربة، قال: وليس في كلام العرب مما يفصل ألف بين حرفين مثلين مما يرجع إلى بناء قَقَزَ ونحوه، وأما بابلُ فهو اسم بلدة، وهو اسم خاص لا يجري مجرى اسم

¹ - لسان العرب، ج13، مادة(فرن).

² - لسان العرب، ج07، مادة(فوطة).

³ - ينظر الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، ص 91.

⁴ - لسان العرب، ج11، مادة(فول).

⁵ - مقاييس اللغة، ص724.

العوام، قال: وقد قال بعض العرب قازوزة للقافزة، قال الجوهري: ولا تقل قافزة، وقال أبو عبيد في كتاب ما خالفت العامة فيه لغات العرب: وهي قافزة وقازوزة التي تسمى قافزة. وفي حديث ابن سلام قال: قال موسى الجبريل -عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام: هل ينام ربك؟ فقال الله تعالى: قل له فليأخذ قازوزتين أو قارورتين وليقيم على الجبل من أول الليل حتى يصبح...¹ والقازوزة: مَشْرَبَةٌ كَالْقَارُورَةِ².

- **قاصح**: بمعنى صلب، وبهذا المعنى أيضاً استعملته العرب كذلك، جاء في اللسان: "قصح: القَصْحُ والقُصَاخُ والقُصُوحُ: بقاء الانعاض؛ وقيل: هو شدة الانعاض ويُبْسُهُ. قصح يَقْصَحُ قُصُوحاً، وأَقْصَحَ: كَثُرَ انعاضه، وهو قاصحٌ وقُصَاخٌ ومَقْصُوحٌ، هذه حكاية أهل اللغة... الأزهري: إِنَّهُ لَقُصَاخٌ مَقْصُوحٌ. وقاصحه: يابسه. ورُمح قاصحٌ: صُلب شديد والقُصُوحُ: اليُبْسُ. وقَصَحَ الشَّيْءُ قَصَاحَةً وقُصُوحَةً إِذَا صَلَبَ"³.

- **القدح**: أصله بالقاف، وتطلق على آنية الشرب المصنوعة من الفخار ونحوه، وهو نفس المعنى الذي عنت به العرب في لفظها المذكور، جاء في لسان العرب لابن منظور: "الْقَدْحُ من الآنية، لأن به يغرف الشيء"⁴. وجاء في الصحاح: أنها للشرب، والمقدح: المعرفة⁵.

كما أن اللفظ عند العامة مستعمل في فعله (قَدَحَ) دلالة على إشعال النار من الزناد ونحوه، وآلة الزناد وإشعال النار (قَدَّاحَةٌ)، وهذا المعنى استعملته العرب في كلامها وحديثها عن لفظ (قَدَحَ)، يقول ابن منظور: "وقَدَحَ بِالزَّيْدِ يَقْدَحُ قَدْحاً واقْتَدَحَ: رام الإيراء به. والمقدح والمقداح والمقدحة والقَدَّاحُ، كله: الحديد التي يُقْدَحُ بها؛ وقيل: القَدَّاحُ والقَدَّاحَةُ الحجر الذي يُقْدَحُ به النار؛ وقَدَحْتُ النار. الأزهري:

¹ - حديث منكر، ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، اغتنى به يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1428هـ/2007م، ص1217.

² - لسان العرب، ج05، مادة(قوز).

³ - لسان العرب، ج02، مادة(قصح).

⁴ - مقاييس اللغة، ص766.

⁵ - الصحاح، ص918.

القَدَّاحُ الحجر الذي يُورى منه النار ... والقَدْحُ: قَدْحُكَ بِالرَّزْدِ وبالْقَدَّاحِ لثُورِي؛ الأصمعي: يقال للذي يُضْرَبُ فتُخْرَجُ منه النار قَدَّاحَةً. وقد حُتُّ في نسبه إذا طعنت¹.

- **قَدَّ قَدَّ:** بمعنى قياسان متساويان وعند العامة مكررة للتأكيد، وقد وردت بهذا المعنى أيضا في كلام العرب، قال ابن منظور: "وفي صفة جهنم-نعوذ بالله منها- فيقال: هل امتلأتِ؟ فتقول: هل من مزيد؟ حتى إذا أُوعِبُوا فيها قالت: قَدَّ قَدَّ أي حسي حسي؛ ويروى بالطاء بدل الدال وهو بمعناه. ومنه حديث التلبية: فيقول: قَدَّ قَدَّ بمعنى حَسْبُ، وتكرارها لتأكيد الأمر، ويقول المتكلم: قدي أي حسي، والمخاطب: قَدَّكَ أي حسيك. وفي حديث عمر-رضي الله عنه- أنه قال لأبي بكر-رضي الله عنه:- قَدَّكَ يا أبا بكر²3".

وتقول العامة أيضا في مشتقات اللفظ (قَدَّ): فلان قد فلان بمعنى صنوه، واللفظ بهذا المعنى أيضا فصيح، جاء في لسان العرب لابن منظور: "والقَدُّ: القامةُ. والقَدُّ: قَدَّرُ الشيء وتقطيعه، والجمع أَقْدٌ وقُدودٌ"⁴.

- **القُدرة:** من القدر، وهو ما يطبخ فيه، وهو فصيح جاء في مقاييس اللغة: "والقَدْرُ: معروفة، والقَدِير: اللحم بطبخ في القدر"⁵. يقول الجوهري: القَدْرُ نُؤْتُث، وتصغيرها قُدَيْرٌ بلا هاء، على غير قياس⁶.

- **القربة:** أصلها بالقاف تستعمل لحفظ وتبريد الماء، تتخذها العامة من جلد الماشية، وقد ورد اللفظ في الصحاح: "والقَرَبَةُ: ما يُسْتَقَى فيه الماء؛ والجمع في أدنى العدد: قَرَبَاتٌ وقَرَبَاتٌ وقَرَبَاتٌ، والكثير قَرَبٌ؛ وكذلك جمع كل ما كان على فِعْلَةٍ، مثل: سِدْرَةٌ وفِقْرَةٌ، لك أن تفتح العين وتكسِر وتُسكِّن"¹.

¹ - لسان العرب، ج02، مادة(قدح).

² - النهاية في غريب الحديث، 19/4.

³ - لسان العرب، ج03، مادة(قد).

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - مقاييس اللغة، 765.

⁶ - الصحاح، ص920.

- قرصة: من الدقيق وغيره بمعنى جزء قليل منه، واللفظ بهذا المعنى الدقيق عند العامة ورد مستعملاً في كلام العرب، قال ابن منظور: "... والقُرْص: من الخبز وما أشبهه، ويقال للمرأة: قرصي العجين أي سويّه قرصة، وقَرَص العجين: قطعه ليبسطه قُرْصَةً قُرْصَةً، والتشديد للكثير. وقد يقولون للصغيرة جداً: قُرْصَة واحدة، قال: والتذكير أكثر، قال: وكلما أخذت شيئاً بين شيئين أو قطعته، فقد قَرَصْتَه، والقُرْصَةُ والقُرْصُ: القطعة منه، والجمع أقراصٌ وقُرْصَةٌ وقِرَاصٌ. وقَرَصَت المرأة العجين تَقْرُصُهُ قَرِصاً وقَرَصْتَه تَقْرِصاً أي قَطَعْتَه قُرْصَة قُرْصَة"².

- القرطاسية: هي نوع من الثياب ترتديه العامة بخاصة أثناء تأديتها لإيقاع البارود. والكلمة مشتقة من الفعل (قرطس) الذي يعني الرمي، جاء في الصحاح "قَرَطَس: القَرَطَاسُ: الذي يكتب فيه، والقَرَطَاسُ بالضّم مثله، وكذلك القَرَطَاسُ، ذكره أبو زيد في نواتره. يسمى العَرَضُ قَرَطَاساً، يقال: رمى فَقَرَطَسَ، إذا أصاب"³. ومن هنا فاللفظ في أصله صحيح كما استعملته العامة لأن في لعبة البارود رمى له وقرطس له، والدليل على أن العامة تستعمل اللفظ (قرطس) لمعنى الرمي والإصابة أنك تراهم يقولون في تعابيرهم المجازية نعتاً للرجل المعيان. فلان قرطس فلان بعينه، فهو قرطاس أي رماه بعينه وأصابه.

- القرعة: اسم نبات معروف وهو الذي تسميه العرب بالدباء، ولفظ القرع فصيح أيضاً جاء في الصحاح: "القَرْعُ: حمل اليقطين، الواحدة قَرْعَةٌ. وكان النبي-صلى الله عليه وسلم- يحب القرع، وأكثر ما تسميه العرب الدُّبَاءَ وقلَّ من يستعمل القَرْعَ، قال المعري: القرع الذي يُؤْكَل فيه لغتان: الإسكان والتحريك، والأصل التحريك"⁴.

¹ - الصحاح، ص925.

² - لسان العرب، ج07، مادة(قرص).

³ - الصحاح، ص932.

⁴ - لسان العرب، ج08، مادة(قرع).

- **القرفة:** من التوابل وهي عشبة معروفة، عرفتها العرب بهذا الاسم حيث جاء في الصحاح: "القرفة: القشره. والقرفة من الأدوية"¹.

- **القش:** تقولها العامة لمتاع البيت وغيره، وقد جاء في اللسان: "القش: ما يُكْنَسُ من المنازل وغيرها ... تَطْلُبُ الأكل من هنا وهنا وَلَفُّ ما يُقَدَّر عليه. والقشيش والقشاش: ما أَقْتَشَشْتَهُ، ورجل قَشَّان وقَشَّاش وقَشُوش ومَقَشَّ. وقَشَّ الشيء يُقَشُّه قَشًّا: جمعه"².

- **القصرية:** مكان تجمع وتوزيع ماء الساقية، وقد تكن منسوبة إلى القصر لأنها كانت في الأصل لا تستعمل إلا حيث الترف ولين العيش، وهي من الألفاظ العباسية³.

- **القصة:** آنية للأكل تستخدم من الخشب، ويأكل عليها عادة عشرة من الناس، وهذا المعنى نفسه وبالعدد المذكور والموصوفة به ورد في لسان العرب حيث قال: "القصة: الضخمة تشبع العشرة، والجمع قِصَاع"⁴.

- **القطيفة:** نوع من الثياب معروف، كان إلى وقت قريب يعتبر من أرقى أنواع الثياب، واللفظ فصيح في معناه ومبناه، جاء في الصحاح: "والقطيفة: دثار مُحْمَل، والجمع قَطَائِفُ وقُطْفُ أيضاً، مثل: صَحِيفَةٍ وصُحُفٍ، كأنهما جمع قَطِيفٍ وصَحِيفٍ. (وفي الحديث: تَعَسَّ عبد القطيفة⁵)، ومنه القطائف التي تُؤْكَل"⁶. التهذيب: القَطَائِفُ طعام يُسَوَّى من الدقيق المَرَق بالماء، شبهت بِحَمَلِ القَطَائِفِ التي تُقْتَرَشُ"⁷....

¹ - الصحاح، ص 934.

² - لسان العرب، ج 06، مادة (قش).

³ - قاموس رد العامي، ص 469.

⁴ - لسان العرب، ج 08، مادة (قصع).

⁵ - صحيح البخاري، ص 712.

⁶ - الصحاح، ص 953.

⁷ - اللهجة التوانية، 1/161. ومعجم تيمور الكبير، 5/145.

- **القَفَّة**: بضم القاف وفتح الفاء مع تشديدها: هي وعاء تتخذه العامة في الغالب من سعف النخيل، ويكون دائري الشكل ويستعمل في حمل بضاعتهم كالتمر والزرع ونحو ذلك، وهم ينطقونها بقاف معقودة واللفظ بهذا المعنى الدقيق ولهذه الأغراض تماماً استعملوا لفظ (القفة) أيضاً. بل إن بعض اللهجات العربية القديمة نطقت القاف كافاً (الكفة) وهو النطق الأقرب إلى نطق العامة، جاء في اللسان: "القَفَّة: الزَّيْل. والقَفَّة: قرعة يابسة، وفي المحكم: كهيئة القَرَعَة تُتَّخَذ من خوص ونحوه تجعل فيها المرأة قُظْنَهَا؛ وأنشد ابن بري شاهداً على قول الجوهري: القَفَّة القرعة اليابسة للراجز:

رُبَّ عَجُوزٍ رَأْسُهَا كَالْقَفَّةِ تَمْشِي بِحُفٍّ، مَعَهَا هِرْشَقَةٌ

ويرى كالكُفَّة. ويروى: تحمل خفّاً، قال أبو عبيدة: القَفَّة مثل القفة من الخوص. قال الأزهري: ورأيت الأعراب يقولون: القَفَّة القفة ويجعلون لها معاليق يُعَلَّقُونَهَا بِهَا من آخرة الرجل، يلقي الراكب فيها زاده وتمره، وهي مُدَوَّرَة كَالْقَرَعَة، وفي حديث أبي ذر: وضعي قُفَّتَكَ؛ القَفَّة: شبه زيل صغير من خوص يُجْتَنَى فِيهِ الرُّطْب وتضع فيه النساء غزلهن ويشبهه به الشيخ والعجوز¹ 2.

والغريب في الأمر أن العامة قد تستعمل لفظ (القَفَّة) للإنسان القصير الثقيل على الأرض، وهذا هو المعنى نفسه الذي عبرت به العرب قديماً، جاء في اللسان: "القَفَّة من الرجال، بفتح القاف: الصغير الجَثَّة القليل"³.

- **القَلَّة**: هي إناء الماء تصنعها العامة من الطين ونحوه، واللفظ فصيح في معناه ومبناه، جاء في اللسان: "والقَلَّة: الحُبُّ العظيم، وقيل: الجِرَّة العظيمة، وقيل: الجِرَّة عامة، وقيل: الكُوز الصغير، والجمع قُلَل وقِلال، وقيل: هو إناءٌ للعرب كالجِرَّة الكبيرة"⁴.

¹ - النهاية في غريب الحديث، 91/4.

² - لسان العرب، ج9، مادة(قف).

³ - المصدر نفسه.

⁴ - لسان العرب، ج11، مادة(قل). وينظر: فقه اللغة للثعالبي، ص 46.

- **القماش:** كلمة فارسية معربة وأصلها في الفارسية كماش ومعناها في لغتها: نسيج من القطن خشن، ولما دخلت العربية اتسعت دلالتها فصارت تعني النسيج عامة¹.

- **قَمَط:** بمعنى أخذه ورفع بين يديه، والعامية تستعمل من مشتقاة اللفظ مصدره (القماطة) وهي عبارة عن شد وربط محكم للصبي الصغير يمشي معه من يديه وصدره إلى أطراف رجله، واللفظ بهذا المعنى وذاك ورد مستعملاً في كلام العرب، قال ابن منظور: "القَمَطُ: شَدُّ كَشَدِّ الصَّبِيِّ فِي الْمَهْدِ وَفِي غَيْرِ الْمَهْدِ إِذَا ضُمَّ أَعْضَاؤُهُ إِلَى جَسَدِهِ ثُمَّ لُفَّ عَلَيْهِ الْقِمَاطُ. ابن سيده: قَمَطَهُ يَقْمُطُهُ وَيَقْمِطُهُ قَمَطًا وَقَمَّطَهُ شَدَّ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَاسْمُ ذَلِكَ الْحَبْلِ الْقِمَاطُ. والقِمَاطُ: حبل يُشَدُّ به قوائم الشاة عند الذبح، وكذلك ما يُشَدُّ به الصبي في المهد، وقد قَمَطَتِ الصَّبِيَّ وَالشَاةَ بِالْقِمَاطِ أَقْمَطَ قَمَطًا. وقَمِطَ الأَسِيرَ إِذَا جُمِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ بِحَبْلِ. والقِمَاطُ: الخِرْقَةُ العَرِيضَةُ الَّتِي تَلْفُهَا عَلَى الصَّبِيِّ إِذَا قُمِطَ، وقد قَمَطَهُ بِهَا، قال: ولا يكون القَمَطُ إِلَّا شَدَّ اليَدَيْنِ وَالرِجْلَيْنِ مَعًا"².

- **قمقوم:** هو وصف لصاحب الجاه والمال خصوصاً، واللفظ فصيح يقول الثعالبي في الفصل السادس عشر في تفصيل أوصاف السيد: "الهمام: السيد البعيد الهمة والقمقام: السيد الجواد"³. أما الجوهري فقد عبر عن اللفظ بقوله: "والقَمَقَامُ: السَّيِّدُ، وَالجَمْعُ: قَمَاقِمٌ وَيُقَالُ: سَيِّدٌ قَمَاقِمٌ بِالضَّمِّ، لكثرة خيره"⁴. وتطلق العامة لفظ القماقم للرجل الكثير الخير على الناس وفضله الواسع عليهم.

- **القنضورة:** كلمة فارسية دخلت إلى العربية وأصلها في لغتها كندورة⁵.

- **القنينة:** بالقاف المعقودة الساكنة وكسر النون الأولى مع تخفيفها، هي وعاء تستعمله العامة لحمل الماء ورشه على المقابر، وقد عبرت العرب بهذا المعنى في قولها: "والقنينة: وعاء يتخذ من خيزران أو قُضبانٍ قد

¹ - ينظر الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، ص 175.

² - لسان العرب، ج 07، مادة (قمط). وينظر: الصحاح، ص 967.

³ - فقه اللغة للثعالبي، ص 144.

⁴ - الصحاح، ص 968.

⁵ - ينظر الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، ص 95.

فُصِّلَ داخله بجواجز بين ... والقَيْنِيَّةُ من الزجاج معروفة، ولم يذكر في الصحاح من الرُّجَاج، والجمع قِنَانٌ، نادر¹.

- **القهوة:** كلمة عربية مشتقة من الإقهاء ومعناه الإقعاد لأنها تتعد عن النوم، وقد ظهر البُن أولاً ببلاد الحبشة ثم نُقل منها إلى أرض اليمن في سنة 656هـ. وأول من ينسب إليه إفشاء القهوة في أرض اليمن هو العارف بالله سيدي علي بن عمر الشاذلي. وقد كان يستعين بها على السهر لذكر الله². وقد أصبحت الكلمة تطلق على المكان الذي تشرب فيه، من باب المجاز في علاقته المكانية.

- **القوت:** ما يقتات به الناس من الأكل، واللفظ فصيح ورد في مقاييس اللغة: "القُوتُ: ما يُمَسِّكُ الرَّمَقَ، وإنما سُمِّي قُوتاً لأنه مِسَاكُ البدن وقُوَّتُهُ"³. وفي الصحاح: هو ما يقوم به بَدَنُ الإنسان من الطعام؛ يقال: ما عنده قُوتٌ ليلة، وقِيْتُ ليلة، وقِيَّتُهُ ليلة؛ فلما كُسرت القاف صارت الواو ياء⁴. وجاء في اللسان: "القُوتُ: مصدر قات يقوت قُوتاً وقِياتَةً. وقال ابن سيده: قاته ذلك قُوتاً وقُوتاً، الأخيرة عن سيبويه. وتَقَوَّتْ بالشيء، واقتات به واقتاتَهُ: جعله قوتَهُ"⁵. وقيل: "القُوتُ: ما يُؤَكَلُ ليمسك الرَّمَقَ والجمع (أقوات)، و(أقتات) به: أكله"⁶.

- **كاغظ:** وهي كلمة صينية الأصل قيل أنها دخلت الإيرانية أولاً ثم انتقلت بعد ذلك إلى العربية⁷.

- **الكثان:** ما يتخذ لباساً وقد ورد اللفظ في لسان العرب بهذا الوصف، قال ابن فارس: "والكثان، بالفتح: معروف، عربي سمي بذلك لأنه يُجَيِّسُ ويُلقَى بعضه على بعض حتى يَكُثَّن"⁸.

¹ - لسان العرب، ج13، مادة(قن).
² - ينظر: معجم تيمور الكبير، 170/5.
³ - مقاييس اللغة، ص755.
⁴ - الصحاح، ص974.
⁵ - لسان العرب، ج02، مادة(قوت).
⁶ - معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير، رجب عبد الجواد إبراهيم، ص247.
⁷ - ينظر: اللهجة النواتية، ص167.
⁸ - مقاييس اللغة، ص800. وينظر: أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح محمد الدالي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، دط، دت، ص300.

- **الكحلة:** بفتح الكاف وتسكين الحاء هي ما يوضع في العين، جاء في مقاييس اللغة: "الكحل: سوادٌ هُدب العين خِلقةً. يقال: كَحَلتْ عينُه كَحَلاً، وهي كَجِيل، والرَّجُلُ أَكْحَلٌ. ويقال للمُلْمُولِ الذي يُكْتَحَلُ به: المِكْحَالُ ما يَكْتَحَلُ به"¹. والكحل تستعمله العامة زينة ودواء، ومن أمثلتهم فيه: (جا يكحلها عماها) وذلك للذي يطلب في إصلاح فيفسد.

- **الكرافس:** نبتة معروفة وقد عرفته العرب قديماً بهذا الاسم أيضاً جاء في اللسان: "الكَرْفَسُ: بَقْلَةٌ من أحرار البقول معروف، قيل هو دخيل"².

- **تكردس:** تكرر الحليب إذا خثر وتجمع قطعاً قطعاً. وتكرر أي شيء عندهم هو تجمعه وانقباضه. وبهذا المعنى الدقيق للفظ عبرت العرب عن معناها، جاء في الصحاح: "والتَّكَرُّدُسُ: الانقباض واجتماع بعضه إلى بعض، وكُرْدَسَ الرَّجُلُ: جُمِعَت يداه ورجلاه. قال: ورجل مُكَرَّدَسٌ: مُلَزَزُ الخَلْقِ"³.

- **كفف:** تقول العامة كفف ثوبه إذا نقصه من أطرافه والثوب عندهم مكفف، واللفظ صحيح في استعماله، جاء في مقاييس اللغة: "الكُفَّةُ: كما قال الأصمعي: كل ما استطال فهو كُفَّةٌ نضم الكاف الثوب ونحوه وهو حاشيته، وإنما قيل لها كُفَّةٌ لأنها مكفوفة، وكذلك كُفَّةُ الرَّمْلِ"⁴. الجوهرية: كُفَّةُ القَمِيصِ القَمِيصُ، ما استدار حول الذيل... وجمعه كِفَافٌ. وكل ما استدار فهو كِفَّةٌ بالكسر، نحو كِفَّةُ الميزان، وكِفَّةُ الصائد وهي جبالته، وكِفَّةُ اللثة، وهي ما انحدر منها. قال: ويقال أيضاً: كِفَّةُ الميزان بالفتح، والجمع كِفَفٌ"⁵.

- **الكناف:** أصلها بالراء (الكرناف) من أجزاء النخلة وهي فصيحة، جاء في لسان العرب لابن منظور: "الكَرِنَافُ وَالكَرْنَافُ: أصول الكَرَبِ التي تَبْقَى في جذع السعف، وما قُطِعَ من السعف فهو الكَرَبُ،

¹ - مقاييس اللغة، ص 802.

² - لسان العرب، ج 06، مادة (كدس).

³ - الصحاح، ص 993.

⁴ - مقاييس اللغة، ص 790.

⁵ - الصحاح، ص 1004.

الواحدة كُرْنَاةً وَكِرْنَاةً، وجمع الكُرْنَاةِ وَالكَرْنَاةِ كَرَانِيفٍ. وقيل: الكَرَانِيفُ أصول السعف الغلاظ العراض التي إذا يبست صارت أمثال الأكتاف"¹. وقد تشتق العامة من اللفظ فعله فيقولون كرنف النخل: إذا قطع أصول سعفه، وهذا المعنى أيضاً ورد في اللسان، قال ابن منظور: "... وَكُرْنَفَ النخلة: جَرَدَ جَدْعَهَا من كرانيفه. والمُكْرِنَف: الذي يَلْقُطُ التمر من أصول الكرانيف"². جاء في مقاييس اللغة: " الكِرْنَاةُ: أصل السَّعْفَةِ الملتزقُ بجذع النَّخلة. يقولون: كَرْنَفَهُ، أي: ضَرَبَهُ، كأنه ضَرِبَ بالكِرْنَاةِ"³.

- الكُوَّةُ: هي الثقب الصغير في الحائط، وقد ورد اللفظ بهذا المعنى في كلام العرب، جاء في الصحاح: " والكُوَّةُ: ثقب في البيت، والجمع كِوَاءٌ بالمد، وكِوَى أيضاً مقصوراً. مثل: بَدْرَةٌ وَبِدْرٌ، والكُوَّةُ بالضم لغة، وتجمع على كُوَى"⁴.

- الكوز: أصله إناء للشرب ونحوه، كما أن العامة تستعمله كوحدة قياس فيُكَالُ به، والكوز بهذا المعنى ورد في اللسان، قال ابن منظور: "كَازَ الشَّيْءُ كَوْزاً: جمعه، وَكُزْتُهُ أَكُوْرُهُ كَوْزاً: جمعته. والكُوْزُ: من الأواني، معروف، وهو مشتق من ذلك، والجمع أَكُوْزٌ وَكِيْزَانٌ وَكِيْوَرَةٌ؛ حكاها سيبويه مثل عودٍ وَعِيدَانٍ وَأَعْوَادٍ وَعَوْدَةٍ، وقال أبو حنيفة: الكُوْزُ فارسي؛ قال ابن سيده: وهذا قول لا يُعْرَجُ عليه، بل الكُوْزُ عربي صحيح ... قال ابن الأعرابي: كَابَ يَكُوْبُ إذا شرب بالكوب، وهو الكُوْزُ بلا عُرْوَةٍ، فإذا كان بعروة فهو كوز، يقال: رأيتَهُ يَكُوْزُ وَيَكْتَأُ وَيَكُوْبُ وَيَكْتَابُ. واكتأز الماء: اغْتَرَفَهُ، وهو افْتَعَلَ من الكُوْزِ"⁵.

- اللحاف: ما يتغطى به الإنسان، ويضعه فوق ثيابه. والفعل منه تَلَحَّفَ. وعندهم من مشتقات اللفظ أيضاً ملحفة، واللفظ أيضاً بهذا المعنى ورد في مقاييس اللغة: "لحف أصل يدل على اشتمال وملازمة. يقال: التَحَفَ باللحاف يَلْتَحِفُ"⁶. وذكر في الصحاح: " التَحَفْتُ بالثوب: تَغَطَّيْتُ به. واللحافُ:

¹ - لسان العرب، ج09، مادة(كنف).

² - المصدر نفسه.

³ - مقاييس اللغة، ص813.

⁴ - الصحاح، ص1015.

⁵ - لسان العرب، ج05، مادة(كوز). وينظر فقه اللغة للثعالبي، 281/38.

⁶ - مقاييس اللغة، ص830.

اسم ما يلتحف به. وكل شيء تغطيت به فقد التَّحَفْتُ به. وَحَفْتُ الرَّجُلَ الحُفُّهُ حَفًّا: طرحت عليه اللِّحَافَ، أو غطيته بثوب¹.

- **اللَّغْلُوغَةُ:** قطعة اللحم الكبيرة، ومن مشتقاتها عند العامة لَغَلَعَ الطعام إذا أمسك قطعة كبيرة من اللحم وأوصلها إلى فمه، واللفظ بهذا المعنى الدقيق ورد في لسان العرب، يقول ابن منظور: "لَغَلَعَ الطعام: أَدَمَهُ بالسمن والودك؛ عن كراع. أبو عمرو: لَغَلَعَ ثريدَه وَسَغَسَعَه وَرَوَّغَه رَوًّاه من الأدم. ويقال: في كلامه لغلة ولخلخة أي عجمة"².

- **لقف:** معناه عند العامة الخطف وذلك أن يرمى إليك شيء فتأخذه بسرعة قبل أن يسقط على الأرض. وقد تستعمل الكلمة عندهم مجازاً وذلك في سرعة أخذ الكلام، فهم يقولون: (لقف الكلمة من فمّو): أي سمعها وأخذها بسرعة. واللفظ (لقف) بهذه المعاني تماماً استعملته العرب قديماً، جاء في الصحاح: "لقف: لَقَفْتُ الشيء بالكسر أَلَقَفُهُ لَقْفًا، وَتَلَقَّفْتُهُ أَيضًا، أي: تناولته بسرعة. واللقْفُ بالتحريك: سقوط الحائط"³.

- **الماعون:** ولما عين هي أواني الطبخ وغيرها. وهي بهذا المعنى العام والجامع أوردها الثعالبي في كتابه حين قال: "كل ما يستعار من قدوم أو شفرة أو قدر أو قصعة فهو ماعون"⁴. كما ورد اللفظ بهذا المعنى أيضاً أيضاً في لسان العرب، قال ابن منظور: "الماعون: أسقاط البيت كالدُّلو والفأس والقِدْر والقَصعة، وهو منه أيضاً لأنه لا يُكْرَهُ معطيه ولا يُعَيِّي كاسبه. وقال ثعلب: الماعون ما يستعار من قَدُومٍ وَسُفْرَةٍ وَسُفْرَةٍ. وفي الحديث: وحُسْنُ مُوَسَّاتِهِم بِالْمَاعُونِ؛ قال: هو اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس وغيرها مما جرت العادة⁵6".

¹ - الصحاح، ص 1029.

² - لسان العرب، ج 08، مادة (لغغ).

³ - الصحاح، ص 1043.

⁴ - ينظر: فقه اللغة للثعالبي، ص 24.

⁵ - ينظر: النهاية في غريب الحديث، 344/4.

⁶ - لسان العرب، ج 13، مادة (معن). وينظر: معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير، رجب عبد الجواد إبراهيم، ص 266.

- **المحبس:** هو خاتم اليد. سمي به لأنه يجبس الأصبع¹.
- **لمخنقة:** وهي القلادة التي توضع في العنق، وهي فصيحة معنى ومبنى، وقد خصص الثعالبي² في كتابه فصلاً خاصاً للحديث عن الحلبي والقلائد والمخنقة. كما أن اللفظة وردت بهذا المعنى في الصحاح حيث يقول: "... والمِخْنَقَةُ بالكسر: القلادة"³.
- **المروود:** ما يوضع به الكحل في العين، واللفظ فصيح ومستعمل في كلام العرب، جاء في الصحاح: "... المِرْوُودُ: الميل، وحديدة تدور في اللِّجام. ومُحْوَرُ البكرة إذا كان من حديد. وفلان يمشي على رُودٍ، أي: على مهلٍ"⁴.
- **المستكة:** هي نوع من الطيب يميل إلى الصفرة. ولعله مشتق من الفعل استاك: بمعنى تطيب، جاء في اللسان: "استاك مشتق من ساك وإذا قلت: استاك أو تسوك فلا تذكر الفم"⁵.
- **المسواك:** نوع من الطيب يكون في شكل عود يتطيب به على مستوى الفم. وهو عند الإنسان عود طيب وزينة في الوقت نفسه يحك على الشفتين، جاء في مقاييس اللغة: "السواك، وهو العود نفسه. والسواك استعماله أيضاً. قال ابن دريد: سَكْتُ الشيء سَوَكًا، إذا دَلَكْتَهُ. ومنه اشتقاق السَّوَاك، يقال ساك فاه، فإذا قُلْتَ استاك لم تذكر الفم"⁶.
- **مغارف:** هي الملاعق يستعملونها لأكل الطعام. وهي في العربية من الفعل غرّف، جاء في اللسان: "غَرَفَ الماءَ والمَرَقَ ونحوهما يَعْرِفُهُ غَرْفًا وَاغْتَرَفَهُ وَاغْتَرَفَ منه... وخيل مَغَارِف: كأنها تَعْرِفُ الجَزِيَّ غَرْفًا"⁷.

¹ - قاموس رد العامي إلى الفصح، ص 111.

² - ينظر: فقه اللغة، ص 225.

³ - الصحاح، ص 347. ومقاييس اللغة، ص 272.

⁴ - الصحاح، ص 476.

⁵ - لسان العرب، ج 10، مادة (ساك). واللهجة التونسية، 181/1.

⁶ - مقاييس اللغة، ص 423.

عَرَفًا¹. والمغارف هي جمع تُفرد عند العامة بقولها مغرفة بمد الغين قليلاً. جاء في اللسان أيضاً: "والمِعْرَفَةُ: ما عُرفَ به"².

- **مكحلة:** آلة البارود. تسمى في بلاد الشام البارودة، وتسمى في بلاد المغرب العربي المكحلة لأنها تشبه وعاء الكحل المسمى بها. وتسمى عند أعراب البادية وفي العراق التفكة³.

- **المنجل:** آلة لها أسنان حادة تستعمل في الحصاد ونحوه. من أشكالها الدائري والمعوج. وقد ورد اللفظ بهذا المعنى في الصحاح: "الْمِنْجَلُ ما يُحْصَدُ به. وَالنَّجْلُ بالتحريك: سِعةٌ شقَّ العين. والرَّجْلُ أَنْجَلٌ والعَيْنُ نَجْلَاءٌ، والجمع: نُجْلٌ"⁴.

- **منقاش:** هي آلة محلية الصنع يستخدمونها في إخراج الشوك من الجسد. وهي بهذا المعنى والمبنى فصيحة، جاء في مقاييس اللغة: "نتخ: كلمة تدل على استخراج الشيء من الشيء. ونتخ الشوكة من الرِّجْلِ بالمنتاخ، أي: المنقاش"⁵.

- **المهراز:** أصلها بالسین مهراس: وهي الآلة التي تهرس فيها الأشياء تتخذها العامة في الغالب من الحجارة الضخمة، أو من الخشب الكبير. وقد ورد لفظ مهراس مستعملاً بهذا المعنى في كلام العرب، قال الجوهري: "والهَرَسُ: الدَّقُّ. والمِهْرَسُ: حَجَرٌ منقورٌ يُدَقُّ فيه ويُتَوَضَّأُ منه"⁶. وفي الحديث: أن أبا هريرة روى عن النبي-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: إذا أراد أحدكم الوضوء فليفرغ على يديه من إنائه ثلاثاً. فقال له قَيْنُ الأشجعي: فإذا جئنا إلى مِهْرَاسِكُمْ هذا كيف نصنع؟ أراد بالمِهْرَاسِ هذا الحجر المنقور الضخم الذي لا يُقَلِّه الرجال ولا يُجَرِّكونه لثقله يسع ماء كثيراً ويتطهر الناس منه. وجاء في حديث آخر للنبي-صلى الله عليه وسلم- مرَّ بمِهْرَاسٍ وجماعة من الرجال يَتَحَادَثُونَ أي يحملونه ويرفعونه، وهو حجر

¹ - لسان العرب، ج 09، مادة(غرف).

² - المصدر نفسه.

³ - قاموس رد العامي إلى الفصح، ص 63.

⁴ - الصحاح، ص 1119.

⁵ - مقاييس اللغة، 883.

⁶ - الصحاح، ص 1198.

منقور، سمي مهراًساً لأنه يُهْرَسُ به الحبُّ وغيره. وفي حديث أنس: فقمتم إلى مهْراس لنا فضربتها بأسفله حتى تكسرت¹. وفي الحديث: أنه عطش يوم أُخْدِ فجاءه علي - كرم الله وجهه - بماء من المهْراس فَعَافَهُ وغسل به الدم عن وجهه؛ قال: المهْراس صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء وقد يُعمل منه حياض للماء".

ومهراز أيضاً كلمة تطلقها العامة على الرجل الشجاع المتمكن من الأمور. فيقولون: واجل مهراز ونحو ذلك. واللفظ بهذا المعنى كذلك ورد في لسان العرب، يقول الجوهري: "... المهْراس من الإبل: الشداد. وأسد هْرَسُ أي شديد وهو من الدَّقُّ"².

-الموس: وهو آلة القطع والحلاقة وما إلى ذلك. واللفظ فصيح كما ورد في لسان العرب، قال ابن منظور: "والمُوسَى: من آلة الحديد فيمن جعلها فُعلى، ومن جعلها من أَوْسَيْتُ أي حَلَقْتُ، فو من باب وسى؛ قال الليث: المَوسُ تأسيس اسم الموسى الذي يلحق به، قال الأزهري: جعل الليث موسى فُعلى من المَوس، وجعل الميم أصلية ولا يجوز تنوينه على قياسه. ابن السكيت: تقول هذه موسى جيّدة، وهي فُعلى؛ عن الكسائي؛ قال: وقال الأُمويُّ: هو مذكر لا غير، هذا موسى كما ترى، وهو مُفْعَلٌ من أَوْسَيْتُ رأسه إذا حلقت بالْمُوسَى"³.

- النَّشُّ: وهي بمعنى المزايدة في القول والفعل. وقد تكون من النجش، ثم أبدلت الجيم شيئاً فصارت النشش، ثم أدغمت الشين الأولى في الثانية فصارت النشُّ. وقد وردت اللفظة في مقاييس اللغة بهذا المعنى تماماً، يقول ابن فارس: "نجش: أصل صحيح يدل على إثارة شيء. منه النَّجْشُ: أن تُزايِدَ في المبيع بئمن كبير لينظر إليك الناظر فيقع فيه، وهو الذي جاء في الحديث: (لا تناجشوا)، كأن الناجش استتار تلك الزيادة"⁴. ويضيق الجوهري: "النَّجْشُ: أن تُزايِدَ في المبيع ليقع غيرك وليس من حاجتك"⁵. وفي

¹ - ينظر: صحيح مسلم، ص1572.

² - الصحاح، ص1198.

³ - لسان العرب، ج06، مادة(موس). واللهجة التواتية، 1/189.

⁴ - مقاييس اللغة، ص886.

⁵ - الصحاح، ص1119.

الحديث: نهي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن النَّجَشِ في البيع وقال: لا تناجَشُوا¹، هو تَفَاعُل من النَّجَشِ؛ قال أبو عبيد: هو أن يزيد الرجل ثمن السلعة وهو لا يريد شرائها، ولكن ليسمعه غيره فيزيد بزيادته، وهو الذي يُرَوَى فيه عن أبي الأوفى: الناجِشُ آكلٌ رِباً حائِئٌ. أبو سعيد: في التَّنَاجِشِ شيء آخر مباح وهي المرأة التي تزوجت وطلّقت مرة بعد أخرى، أو السلعة التي اشترت مرة بعد مرة ثم بيعت. ابن شميل: النَّجَشُ أن تمدح سلعة غيرك لبييعها أو تدّمّها لئلا تنفق عنه؛ رواه ابن أبي الخطاب².

- **النعاليل**: من النعل وهو الحذاء. وقد ورد اللفظ في اللسان، يقول ابن منظور: "النَّعْلُ والنَّعْلَةُ: ما وَقِيَتْ به القدم من الأرض، مؤنثة. وفي الحديث: أن رجلاً شكاً إليه رجلاً من الأنصار ... قال ابن الأثير: النَّعْلُ مؤنثة وهي التي تلبس في المشي تسمى الآن تاسومة، ووصفها بالفرد وهو مذكر لأن تأنيثها غير حقيقي، والفرد هي التي لم تُخَصَّف ولم تُطَارَق إنما هي طاقٌ واحد، والعرب تمدح برقة النعال وتجعلها من لباس الملوك³4. وجاء في الصحاح: " نعل: النِّعْلُ: الحِذاءُ، مؤنثَةٌ، وتصغيرها نُعَيْلَةٌ، تقول: نَعَلْتُ وانْتَعَلْتُ: إذا اخْتَدَيْتُ. ورجلٌ ناعِلٌ: ذو نَعْلٍ"⁵.

هذا ما أمكننا الوقوف عليه من مصطلحات بينت بعض ما تداوله نطق التواتيين في حياتهم الاقتصادية، مع ارتباط ألفاظه بالفصيحة العربية.

¹ - ينظر: صحيح البخاري- كتاب البيوع-، ص515.

² - ينظر: لسان العرب، ج6 مادة(نجش).

³ - ينظر: النهاية في غريب الحديث، 82/5.

⁴ - لسان العرب، ج11، مادة(نعل). واللهجة التواتية، 194/1.

⁵ - الصحاح، ص1151.

خاتمة

أفضى البحث إلى نتائج منها:

أولاً: فقد شهد إقليم توات خلال القرن الثاني عشر الهجري قفزة نوعية في العديد من المجالات خاصة العلمية منها، والتي أسهمت في بنائه الفكري والحضاري اللذين انعكسا على سكانه رغم صعوبة العيش في البيئة الصحراوية وقسوتها، ولا عجب أن يشهد الإقليم تنوعاً ثقافياً لشساعته وتعدّد لهجاته بتعدّد مناطقه: فوراة وتوات وتيديكلت وتانزروفت من زناتية وعامية وتارقية.

ثانياً: إنّ إقليم توات ضارب في التاريخ من خلال التصوص والمخطوطات والمعالم التي لا تزال شاهدة على ذلك.

- إنّ هذا الإقليم تابع جغرافياً للجزائر فهو حلقة وصل بين الشمال والجنوب، حيث يعدّ منطقة عبور القوافل التجارية وكذلك ركب الحجيج.

- اسم الإقليم لا يزال الاختلاف قائماً على أصل تسميته أهى عربيّة أم بربريّة؟

- بساطة المجتمع وتقاربه في المستوى المعيشي جعله يعيش نوعاً من الاستقرار.

- الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية التي يحظى بها الإقليم بين مناطق الجزائر.

ثالثاً: عرفت الزوايا به نهضة نوعية من خلال تحفيظ القرآن الكريم وتدرّيس مختلف العلوم الدّينية وإكرام الناس، وبفضلها ترعرعت اللّغة العربية وحافظت على الانتماء والهوية، فعلماءها وفقهائها استطاعوا إصلاح المجتمع والعمل على نشر الإسلام والعربيّة في بلاد إفريقيا والصحراء عامّة.

- ابتعاد الإقليم عن الصرعات السّياسية الواقعة في بلاد المغرب الإسلامي جعله قبلة للتّفرغ للعلم والعبادة وإيواء مختلف الأجناس البشريّة.

- انتشار المراكز والزّوايا بأغلب واحات ومناطق الإقليم مما ساعد على النهضة العلميّة والدّينية، إضافة إلى الفصل بين الخصومات وإصلاح ذات البين ومساعدة النّاس في شؤون

حياتهم، وهذا ما استلزم ملائمتها مع العصر.

- تخرّج من هذا الإقليم علماء وطلبة نشروا علمهم وأدبهم في كلّ منطقة عندما درسوا ثم أفتوا وألّفوا الدواوين.
- رابعاً: إنّ اللّغة أصابها اللّحن بمخالطة الأعاجم العرب، والذي يُعطينا تركيباً سليماً يؤدّي معناً معيناً.
- إنّ العبارة اللّهجية تحمل معظم الصّفات التي تميّزها في الفصيحة.
- ميل لهجة العامّة إلى الاختصار في الكلام وتسهيل النطق مع الحرص على تناسق الأصوات وانسجامها مع بعضها البعض.
- للّهجة طريقة في الاستعمال تنشأ في ظروف خاصّة للتواصل والربط بين الأفراد.
- احتوى الإقليم على عدد لا بأس به العلماء والفقهاء والذين كتبوا في الشّعر الفصيح منهم ابن أبّ المزّمري ومحمّد بن المبروك البوداوي.
- لغة العامّة لا تختلف عن العربية الفصحى في استعمالها للظواهر الصوتية كالإبدال والقلب والتّخفيف، فللعاميّة صلة وثيقة باللّغة العربية.
- إنّ تقسيمات الكلام في العاميّة من اسم وفعل وحرف نلمس فيها تقارباً شديداً مع الفصيحة العربيّة.
- إنّ الإبدال اللّغوي ترجع أصول ظواهره وجذورها إلى اللّهجات العربيّة القديمة، لأنّ اللّهجات الجزائرية تشترك مع اللّهجات القديمة في كثير من الظواهر والخصائص والدلالات.
- أصاب منطوق التّواتيين بعض النّحت والتّحريف لبعض الأوزان والصّيغ الصّرفية للأفعال والأسماء والجمل وتراكيبها.
- تتحكم في التّغييرات العامّة الطارئة على اللّهجة التّواتيّة أغراض وآليات ودوافع عامّة تخضع لها جميع اللّغات للتّجديد واقتصاد الجهد والإيجاز بُغية التّسهيل.
- التّركيز على السّرعة في تبليغ المعنى بعيداً عن الأسلوب، والذي تعبّر به اللّهجة لتحقيق ذلك.

- حاولتُ جمع وتأصيل بعض المصطلحات في اتّفاقها ومقاربتها للعربيّة بالاستناد إلى المعاجم العربيّة القديمة منها: لسان العرب لابن منظور ومقاييس اللّغة لابن فارس والصّحاح للجوهري، وقد خلصت في هذه الدّراسة إلى أنّ الكثير من المصطلحات لا تبتعد عن الفصيحة العربيّة.

- يلجأ التّوّابون سواء أكانوا علماء أم من عامّة النّاس إلى استعمال مجموعة من المصطلحات المرتبطة بمجال الأدب والاقتصاد وتوظيفها في أغراضهم المتعدّدة، والتي لها أصول عربيّة وهم متأثرون بعبادات وتقاليد توارثها جيل عن جيل، جعلت من منطقتهم قطباً حضارياً يضاف إلى سلسلة الأقطاب الجزائريّة والعربيّة.

وأخيراً أمل أن تكون هذه الدّراسة قد أضافت جديداً في حدود الثّقافة الجزائريّة، ولا أزعم الإمام بجميع جوانب الموضوع، فأتمنى أن تكون هذه الورقات من البحث والدّراسة منطلقاً لدراسات أدقّ وأعمق وصولاً إلى نتائج علمية أكثر دقّة، فإنّ وُفقتُ فمن الله وحده وإنّ أخطأتُ فقد "يشفع لي اجتهادي" كما قال لي أستاذي المشرف.

ملاحق



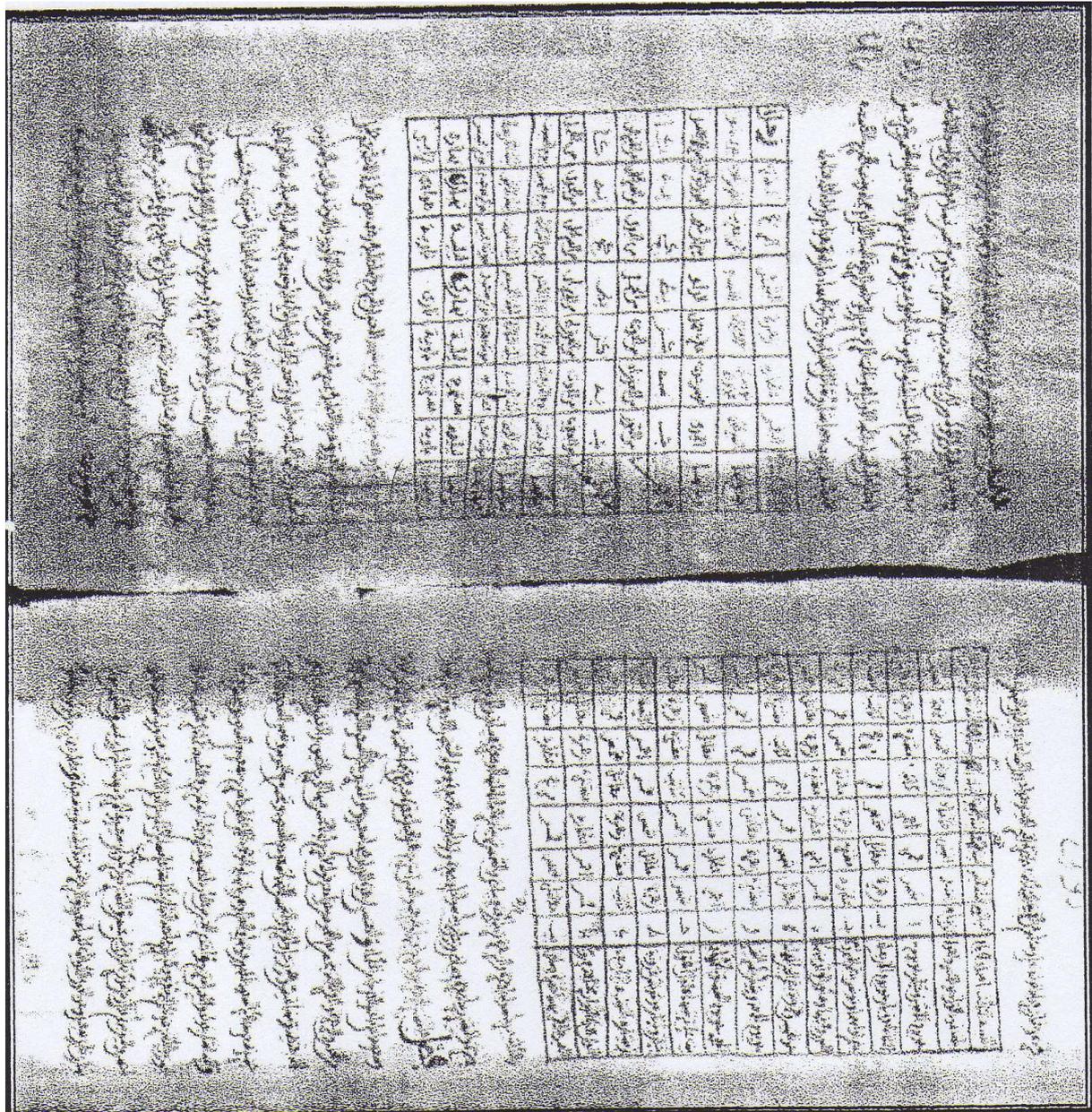
الشكل رقم: (01) يوضح المناطق الثلاثة الكبرى المكونة لإقليم توات من كتاب: توات والأزواد لـ محمد الصالح حوتية



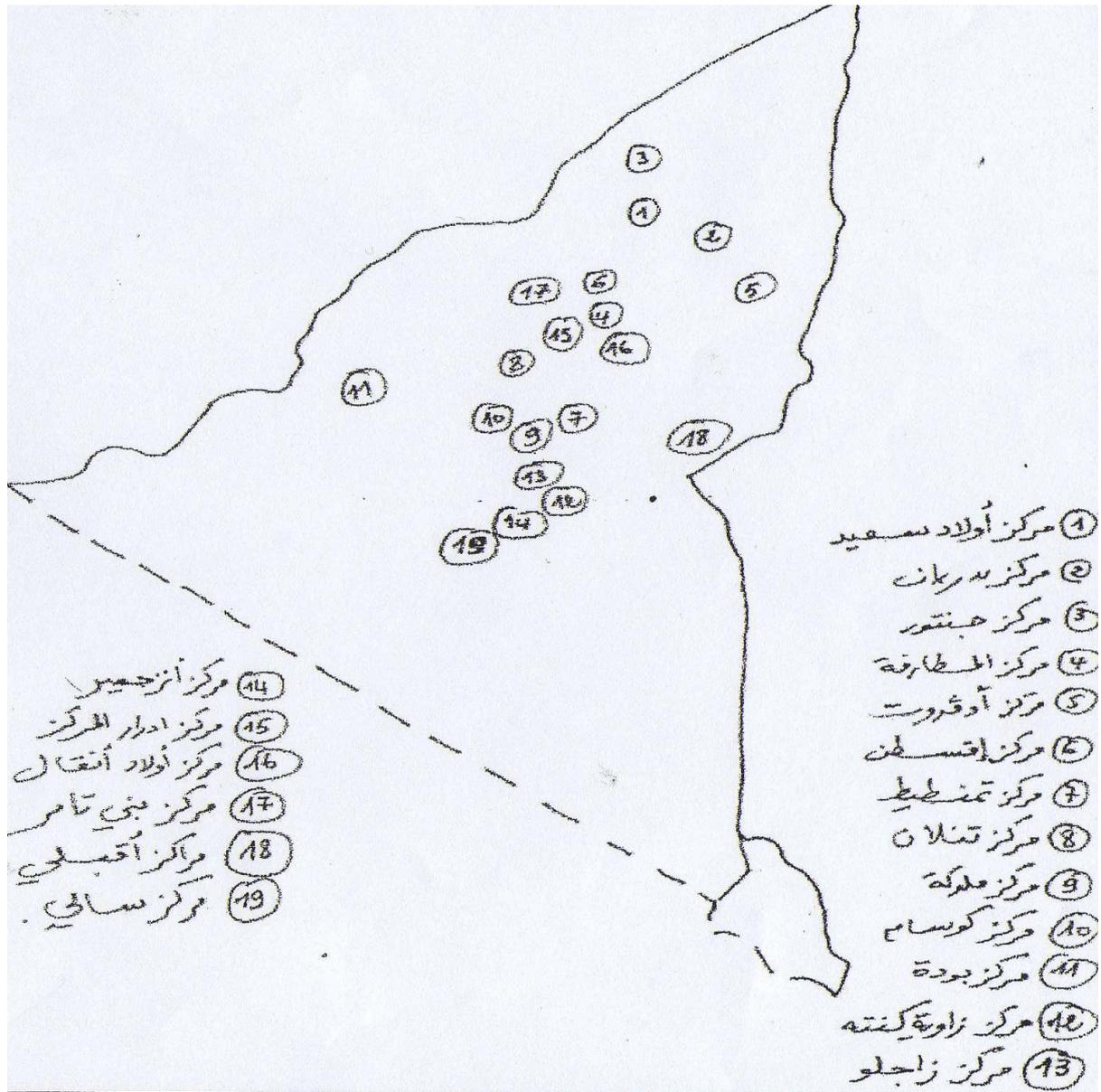
الشكل رقم: (03) مخطوط لتفسير القرآن الكريم مُصَوَّر بيدي من المكتبة
البكرية بتمنيط يوم 2011/04/26م.



الشكل رقم: (05) مخطوط يوضح شرح مختصر حول ألفية ابن مالك مُصوّر بيدي من المكتبة البكرية بتمنيط يوم 2011/04/26م.



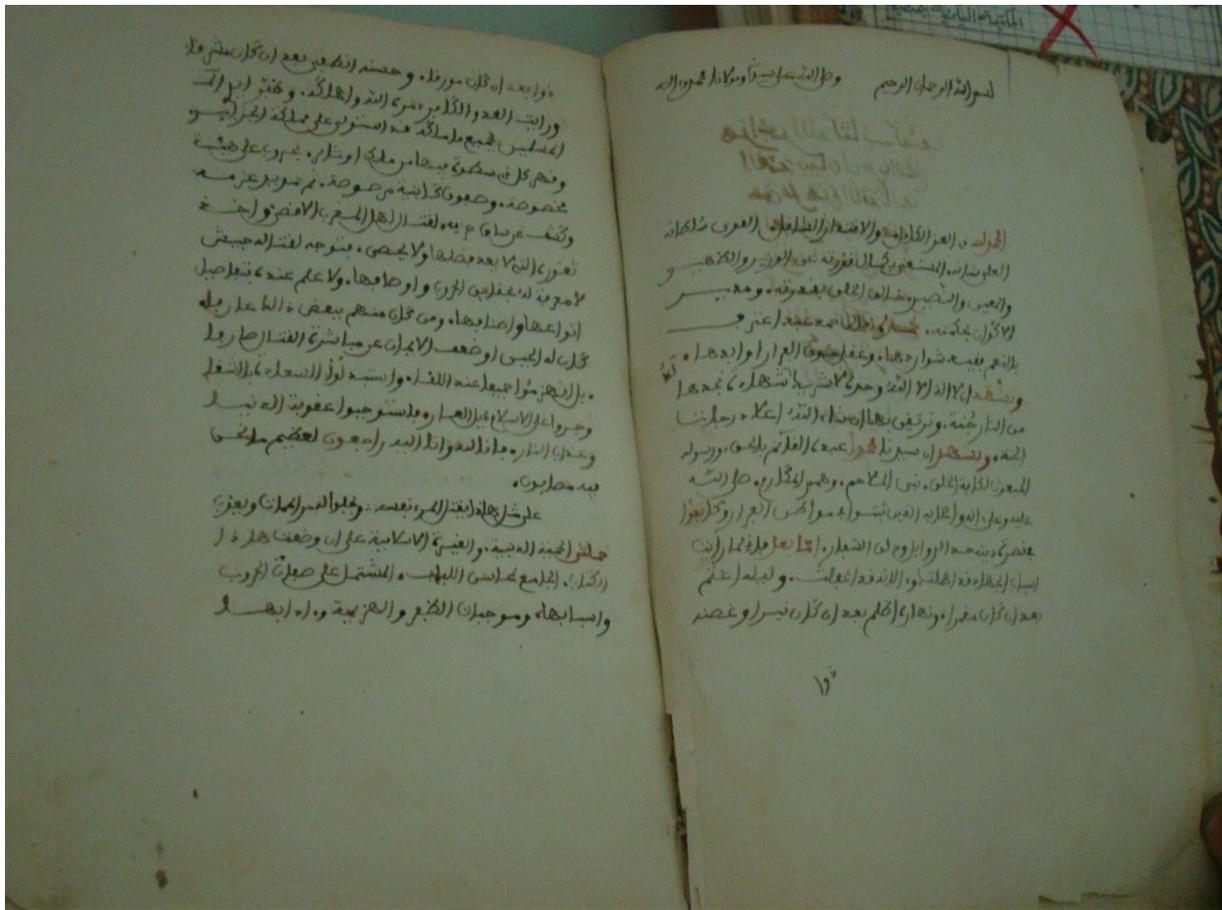
الشكل رقم: (06) يوضح نموذج من العلوم التي اشتغل بها التواتيون * علم الفلك* من كتاب: توات والأزواد لـ محمد الصالح حوتية



الشكل رقم: (07) يوضح بعض مراكز العلم في المنطقة من كتاب: توات والأزواد لـ محمد الصالح حوتية.



الشكل رقم: (08) مخطوط يوضح حركة التأليف في علم النحو مُصَوَّرٌ بِيَدِي
من المكتبة البكرية بتمنطيط يوم 2011/04/26م.



الشكل رقم: (9) مخطوط يبين كيفية المحافظة على النفس مُصَوَّر بيدي من المكتبة البكرية بتمنيط يوم 2011/04/26م.



الشكل رقم: (10) يوضح كيفية توزيع مياه الفقارة (القسرية) بتمنيط



شكل رقم: (12) يوضح صناعة السعف في المنطقة من كتاب: توات والأزواد لـ محمد الصالح حوتية.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية ورش.

المصادر:

المخطوطة:

- بغية المقتصد السائل حول ما حلّ بتوات من المسائل، مخطوط بخزانة بن الوليد باعبد الله أدرار.
- درّة الأعلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، القاضي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق (1374هـ/1955م)، مخطوط، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، ولاية أدرار الجزائر.
- نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، محمد بن عمر البوداوي، مخطوط، خزانة بن حسان تنلان، أدرار.

المطبوعة:

- أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، دط، دت.
- إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، صادق الرافي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393هـ/1973م.
- إفريقيا، مار مول كرينخال، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، المغرب، 1984م.
- إقليم توات خلال القرنين 18 و19م، فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.
- الإتياع والمزاوجة، ابن الحسين أحمد بن فارس، تحقيق كمال مصطفى، مطبعة السعادة، مصر.

- الاستقصا لدول المغرب الأقصى، أحمد أبو العباس الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.
- الاشتقاق، ابن دريد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.
- الأمالي، أبو علي القالي، القاهرة، ط3، 1926م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم الشريف، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة بآ وبجرا، أبو القاسم بن أحمد الزياني، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، دار نشر المعرفة، الرباط المغرب، ط2، 1991م.
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، أبي هلال العسكري، تحقيق عزة حنين، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1970م.
- الخصاص، ابن جنبي، حققه محمد علي النجار، بيروت لبنان، دار الهدى للطباعة والنشر، دط، دت.
- الرحلة العياشية، أبو سالم العياشي، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، أبو ظبي، ط1، 2006م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية، أحمد بن فارس، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الحسن أبي علي بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2001م .
- الفاضل في اللغة والأدب، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دط، دت.
- القول البسيط في أخبار تمنطيط، محمد بن بابا حيدة، تحقيق فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
- القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب، محمد بن أبي السرور الصديق الشافعي، تحقيق سيد أبراهيم سالم، دار الفكر العربي، مصر، دط، دت.
- الكامل في اللغة والأدب، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، مؤسسة المعارف، بيروت، دط، دت.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، دط، 1991م.
- اللغة، فندريس جوزيف، تعريب الدواخلي والقصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، دط، دت.
- المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث، أبي موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المدني الأصفهاني(ت581هـ)، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط1، 1408هـ/1988م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه محمد جادى المولى وآخرون، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط.
- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، أبي عبيد البكري (ت487هـ)، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، دط، دت.

- المقتضب، المبرّد، للشيخ محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دط، 1963م.
- النّهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (606/544هـ)، تحقيق أحمد بن محمد الخراط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، دط، دت.
- النّوادر في اللّغة، أبو زيد الأنصاري، بيروت، دط، 1894م.
- تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وآخرون، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1408هـ/1987م.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4، 1974م.
- تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية 16-20م، يحيى بوعزيز، دار هومة، الجزائر.
- تاريخ إفريقيا والمغرب، الرقيق القيرواني، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحاني، القاهرة، ط1، 1994م.
- تاريخ الدّولة الزّيبانية بتلمسان، ابن الأحمر، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة، مصر، ط1، 2001م.
- تاريخ الدّولتين الموحديّة والحفصية، الزركشي، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م.
- تاريخ السّودان، عبد الرحمان السعدي، طبعة هوداس، باريس، 1964م.
- تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 2001م.

- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، 1387هـ/1967م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(380/282هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، دط، 1324هـ/1964م.
- جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، محمد بن عثمان الحشاشي، تحقيق علي مصطفى المصبرات، لبنان، 1965م.
- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق سهيل ذكار و خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، 2000م.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1401هـ/1981م.
- سرّ الليالي في القلب والإبدال، أحمد فارس الشدياق، مطبعة العامرة السلطانية بالأستانة، 1284م.
- سرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق حسن هندراوي، دمشق، دار القلم، ط1، 1985م.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي(279هـ)، حكم وعلق عليه الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1437هـ.

- صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (261/206هـ)، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ/1991م.
- فتح الشُّكُور في معرفة أعيان علماء التُّكُور، أبو عبد الله الطالب محمد البرتلي، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1981م.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشُّوكاني، اعتنى به يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1428هـ/2007م.
- فقه اللُّغة وأسرار العربيَّة، أبي منصور الثُّعالي، ط2، 1373هـ.
- قطف الزُّهراء من أخبار علماء توات، عبد العزيز سيدي عمر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1985م.
- معلمة الصِّحراء، عبد العزيز بن عبد الله، وزارة الأوقاف، المغرب، 1976م.
- مغني اللُّيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق حنا الفاخوري، ط2، 1997م.
- نيل الابتهاج بتطريز الدِّياج، أحمد بابا التمبكتي، كُلية الدعوة الإسلاميَّة، طرابلس، ط1، 1989م.
- وصف إفريقيَّا، حسن الوزاني، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، المغرب، ط2، 1983م.

المراجع:

- أسس علم اللُّغة، ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة، دط، 1983م.

- أثر القبائل العربية في الحياة العربية خلال عصري الموحدين وبنو مرين، مصطفى أبو ضيف، مطبعة دار النشر المغربي، المغرب، ط1، 1982م.
- أضواء على المغرب العربي، عبد الملك خلف التميمي، دار البصائر، الجزائر، 2011 م.
- إعراب القرآن، أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية، ط2، 1985م.
- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995م.
- الإبدال في اللغة العربية، طالي عبد الحفيظ، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، 1990م.
- الإبدال في ضوء اللغات السامية، كمال ربحي، جامعة بيروت العربية، 1980م.
- الإبدال، أبو الطيب اللغوي، تحقيق عز الدين التبوخي، دمشق، مطبوعات المجمع العربي، دط، 1960-1961م.
- الأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية، ماجد الصايغ، إشراف: عفيف دمشقية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1990م.
- الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، ماليز روتقن، ترجمة سامي الكعك، أكاديمية لبنان، 2007م.
- الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، رجب عبد الجواد إبراهيم، دار القاهرة، مصر، ط1، 2002م.
- الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديده للخطر اليهودي بصحراء توات والصّقع السوداني، عبد الله حمادي الإدريسي، ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011م.

- التاريخ الثقافي لإقليم توات، حاج أحمد الصّديق، دار الخبر، الجزائر، ط2، 2011م.
- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط2، 1987م.
- التّضاد في ضوء اللّغات السّامية، ربحي كمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1975م.
- التّطبيق الصّرفي، عبده الرّاجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1984م.
- التّطور اللّغوي التاريخي، إبراهيم السّامرائي، دار الأندلس، ط2، 1981م.
- التّطور اللّغوي علله وقوانينه ومظاهره، رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1983م.
- الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، مولاي بالحيمسي، الجزائر، د ط، 1979م.
- الحركة الأدبيّة في إقليم توات من القرن 7 إلى 13هـ، أحمد جعفري، منشورات الحضارة، ط1، 2009م.
- الرّحلات بإقليم توات (دراسة تاريخية وأدبية للرّحلات المخطوطة بخزائن توات)، كروم عبد الله، مؤسسة النشر دحلب، الجزائر، 2007م.
- الرّحلة العليّة إلى منطقة توات، محمّد باي بلعالم، دار هومة، الجزائر، 2005م.
- الرّقصات والأغاني الشّعبية بمنطقة توات، عاشور سرقمة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004م.
- الرّوايا والصوفية والغرابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، عبد العزيز شبيهي، دار الغرب وهران، الجزائر، دط، دت.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، تحقيق سامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، دط، 1425هـ/2004م.
- الصّروف في تاريخ الصّحراء وسوف، إبراهيم العامري بن محمد السّاسي، تحقيق الجيلاني بن براهيم العوامري، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977م.
- العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، عبد المالك مرتاض، الشركة الجزائرية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981م.
- العامية في ثياب الفصحى، سليمان محمد سليمان، مكتبة العربي، القاهرة، ط1، 2003م.
- العربية تاريخ وتطور، إبراهيم السّمراي، مكتبة المعارف، بيروت لبنان، ط1، 1993م.
- القيم والعادات الاجتماعية، فوزية دياب، بحث ميداني في بعض العادات الاجتماعية دار النهضة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، د ط، 1398هـ/1978م .
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الرّاجحي، الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1420هـ.
- اللهجات العربية نشأة وتطور، عبد الغفار حامد هلال، ط2، 1999م.
- اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريجة، بيروت، دار الجيل، 1989م.
- اللهجة التّواتية الجزائرية، معجمها بلاغتها أمثالها وحكمها عيون أشعارها، أحمد جعفري، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2013م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، بيروت، 1980م.

- النّبذة في تاريخ توات وأعلامها، عبد الحميد بكري، الطباعة العصرية، الجزائر، 2010م.
- الوجيز في اللّغة، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق، ط3، دت.
- اليهود في المغرب العربي 642-1071م، عبد الرّحمن بشير، عين للدراسات والبحوث الإسلامية، مصر، ط1، 2001م.
- اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، عطاء أبو ريبة، أترك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005م.
- تاريخ الجزائر الثّقافي، سعد الله أبو القاسم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.
- تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزق إبراهيم، دار الثقافة، القاهرة، 1996م.
- تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
- توات والأزواد، محمّد الصّالح حوتية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.
- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال المعيار المغرب للونشريسي، كمال أبو مصطفى السيد، مركز الإسكندرية، مصر، 1996م.
- دراسة الصّوت اللّغوي، أحمد مختار عمر، توزيع عالم الكتب، ط3، 1985م.
- دراسة اللّهجات العربيّة القديمة، داود سلوم، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1986م.
- دراسة في فقه اللّغة، صبحي صالح، بيروت، ط9.
- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، عبد اللطيف عصمت، دار الغرب الإسلامي، المغرب، ط1، 1988م.

- سلسلة علماء توات، عبد الحميد بكري، دار الغرب، وهران، 2008م.
- شرح المفصّل، ابن يعيش، طبعة المنبرية، دط، دت.
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل، شهاب الدين أحمد الحفاجي، تحقيق محمد كشاش، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1998م.
- علم اللّغة بين القديم والحديث، عبد الغفّار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي مصر، ط2، 1986م.
- علم اللّغة، علي عبد الواحد وافي، مصر، دار النهضة للطبع والنشر، ط7.
- عيوب المنطق ومحاسنه، أحمد تيمور باشا، بقلم إبراهيم أنيس، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، دط، دت.
- فقه اللّغة، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط6.
- في الأصوات العربية (دراسة في أصوات المدّ العربيّة)، غالب فاضل المطليبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ط1، 1984م.
- في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، ط9، 1995م.
- محمّد بن أبّ المزمري 1160هجري، أحمد أبّ الصّافي جعفري، ط1، دار الكتاب العربي الجزائر، 2004م.
- مدينة تلمسان، يحي بوعزيز، دار الغرب، وهران، 2004م.
- معالم التّاريخ الإسلامي، عصام الدّين عبد الرّؤوف الفقي، دار الفكر، القاهرة، د. ت.
- مقدّمة كتاب اللّغة كائن حي، جرجي زيدان، دار الهلال، ط2.
- من أسرار اللّغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة البيان العلمي، ط2.

- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، عبد الواحد وافي، مطبعة العالم العربي القاهرة، دط، دت.

الموسوعات والمعاجم:

- الصحاح، الجوهري، تحقيق محمد تامر، دار الحديث القاهرة، 2009م.

- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، دط، دت.

- المخصّص، ابن سيده، بيروت، طبعة الأميرية بيولاك، دط، 1379هـ.

- المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية (معجم عربي أعجمي وأعجمي عربي)، محمد رشاد الحمزاوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.

- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دط، دت، 232/24.

- المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، ط1، 1429هـ/2008م.

- المعجم المفصّل في علم الصّرف، راجي الأسمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

- الموسوعة العامّة لتاريخ المغرب والأندلس، نجيب زيب، تحقيق أحمد بن سوادة، دار الأمير، بيروت، ط1، 1995م.

- الموسوعة العربية الميسّرة، أحمد أمين، مصطفى عقّت وآخرون، دار الجيل بيروت، القاهرة، تونس، ط2، 2001م.

- قاموس ردّ العامّي إلى الفصيح، أحمد رضا، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1981م.

- لسان العرب، ابن منظور، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1968م.

- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض، بيروت، 1980م.
- معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير، رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1423هـ/2002م.
- معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، أحمد تيمور، تحقيق حسين نصّار، مكتبة دار الكتب والوثائق القومية المصرية، القاهرة، ط2، 2002م.
- معجم شمال المغرب، عبد المنعم سيّد عبد العال، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1968م.
- معجم متن اللّغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1377هـ/1958م.
- مقاييس اللّغة، ابن فارس، تحقيق أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، 2008م.
- موسوعة القبائل العربيّة، محمد سليمان الطيّب، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001م.
- موسوعة المدن الإسلاميّة، أمنة بوحجر، دار أسامة، الأردن، ط2، 2010م.
- موسوعة عباقرّة الإسلام، محمّد أمين فرشوخ، دار الفكر بيروت، 1989م .

المراجع بالأجنبية:

- Religion Rites Etmutations ;Noureddine toualbi ; Entreprise Nationale de Livre ;Alger ;1984.

الرسائل الجامعية:

- الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (من خلال نوازل الغنية للبلبالي)، بن عبد المؤمن بهيعة، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم الحضارة الإسلامية، وهران، 2006م.
- الدراسات اللغوية بتوات والأزواد من القرن 10هـ إلى نهاية القرن 14هـ، الصديق حاج أحمد، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009-2010م.
- الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات (1112. 1421هـ/1700.2000م، عبد الله بابا، مخطوط رسالة ماجستير قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2011/2012م.
- العلاقة بين المغرب والسودان في العصر المريني، ماجد كريمي، رسالة لنيل الدبلوم العالي في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1987-1988م.
- ألفية الغريب نظم الزجاجاوي الشهير بابن العالم، دراسة وتحقيق بقادر عبد القادر، رسالة ماجستير، جامعة أدرار، 1429/1430هـ.
- المنهج الدعوي للإمام المغيلي، نور الدين حاج أحمد، مخطوط رسالة ماجستير، قسم أصول الدين، جامعة باتنة.
- غاية الأماني في أحوبة أبي زيد التتلافي (1189هـ) دراسة وتحقيق، رشيد بايوسف، مخطوط مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2012. 2013م.
- محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره 870 - 909هـ/1465 - 1503م، أحمد الحمدي، رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الحضارة الإسلامية، 1999 - 2000م.
- مسعودي الزهراء، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والعشرين، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة أدرار، 2009/2010م.

- موضوع ملاحظات في اللسان الشمالي بالمغرب المعجم التطواني نموذجاً، د. رشيد الحضري، مجلة كلية الآداب بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي، المملكة المغربية، العدد 10، 2000م.

الدوريات:

- الأحوال الصحيّة والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي، ناصر الدين سعيدوني، مجلة الثقافة، عدد 92، الجزائر، أبريل 1986م.

- الأضداد اللغوية الفصيحة في العامية الجزائرية، عبد الجليل مرتاض، مجلة التراث الشعبي، العدد السادس، 1980م.

- التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها، محمد باي بلعالم، أعمال الملتقى الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار، أدرار في: 13-14 شعبان 1405هـ/3-4 ماي 1985م.

- الحاج بلقاسم الحسين، أحمد أبا الصّافي جعفري، مجلة النخلة، العدد 7، سنة 2011م، تمسقلوت، أدرار.

- دليل ولاية أدرار، إعداد عبد الرحمن الضّب وأحمد نيكلو وعلي حرّوز، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية، أدرار، 1999م.

- الموقع الجغرافي والعمري لإقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، نعيمة طيّب بوجمعة، أعمال الملتقى أدرار تيهرت، 2009م.

- مفردات فصيحة حفظتها اللغة الشعبيّة، خالد أحمد المشهداني، مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث والرابع، 1981م.

- نبذة عن حياة الشّيخ سيدي أحمد ديدي (ت1370هـ)، عبد الحميد بكري، مجلة التراث، عدد 1، تمّنيط أدرار، ماي 2013.

فہرس

فهرس المحتويات

مقدمة

- الفصل الأول التعريف بمنطقة توات.

*- المبحث الأول دراسة جغرافية واقتصادية للمنطقة:..... 7

1. دراسة جغرافية..... 7

- (ا) تسمية المنطقة بـ " توات"..... 7

(ب) الموقع الجغرافي..... 12

(ج) تضاريس ومناخ المنطقة..... 13

(د) المقاطعات الجغرافية المشكلة لمنطقة توات..... 17

2. دراسة اقتصادية .

أ) النشاط الفلاحي بالمنطقة..... 20

ب)النشاط التجاري بالمنطقة..... 25

ج)أهمية المنطقة في التبادل التجاري . مناطق التبادل التجاري..... 25

المبحث الثاني: دراسة اجتماعية وثقافية للمنطقة..

1. دراسة اجتماعية..... 34

34..... أ) التشكيلة البشرية لمنطقة توات

45..... ب) نماذج من التراث الشعبي بالمنطقة

54..... 2. الحياة الثقافية بالمنطقة

55..... أ) . المؤسسات العلمية

57..... ب) . العلوم التي اشتغل بها التواتيين

65..... ج) نماذج من رواد الحركة العلمية بالمنطقة

الفصل الثاني: بين مصطلحي القلب والإبدال

74..... 1. المبحث الأول: بين مصطلحي القلب والإبدال

75..... أ) . الإبدال القلب لدى القدامى والمحدثين

85..... ب) . دواعي الإبدال والقلب

89..... ج) . التطور الصوتي

المبحث الثاني: الجانب المعجمي في لهجة توات.

100..... . اللهجة التواتية في مستوياتها الإفرادية

101..... أ) مستوى القواعد

103..... ب) مستوى بنية الكلمات

103..... . ظاهرة الإبدال

105.....	- ظاهرة القلب المكاني.
107.....	-ظاهرة الإعلال.
107.....	-ظاهرة النحت.
109.....	-ظاهرة الحذف.
110.....	-ظاهرة الإتياع والمزاوجة.
117.....	-ظاهرة الترخيم.
117.....	-بعض الظواهر الأخرى.

الفصل الثالث: الحركة اللغوية والأدبية بتوات.

119.....	المبحث الأول: الحركة اللغوية بتوات.
120.....	أ) علاقة الدرس اللغوي بتوات بالشعر التعليمي.
120.....	ب)علاقة الدرس اللغوي بتوات بالعلوم الشرعية.
121.....	ج) علاقة الدرس اللغوي بتوات بعلم النوازل.
121.....	د) علاقة الدرس اللغوي بتوات بعلم الأنواء.
124.....	- مصادر الدرس اللغوي.
126.....	المبحث الثاني: الحركة الأدبية بتوات.
126.....	أ) الزوايا والمدارس القرآنية العامة.
126.....	ب) الخزانات الشعبية والدور الخاصة.

أولاً: الشعر

- 128..... - التوسل والدعاء.....
- 130..... - المدح.....
- 132..... - الرثاء.....
- 133..... - الفخر والحماسة.....

ثانياً: النثر

- 135..... - التاريخ.....
- 135..... - التراجم.....
- 136..... - الرحلات.....
- 138..... - المصطلحات الشائعة في منطوق توات.....
- 141..... - التطور الدلالي في ألفاظ التضاد.....
- 145..... - العامي الفصيح.....

الفصل الرابع: الحياة الاقتصادية بتوات ومصطلحاتها

- 162..... - المبحث الأول: الوضع الاقتصادي.....
- 163..... - الصناعة في توات.....
- 165..... - رحلات القوافل.....
- 166..... - المقاييس.....

168.....	- أدوات الوزن.
168.....	- الأسواق.
170.....	- مركز توات.
170.....	- توات من خلال النشاط التجاري والقوافل.
171.....	- الأزمات الاقتصادية.
172.....	- المبحث الثاني: المصطلحات الاقتصادية.
213.....	خاتمة.
217.....	الملاحق.
229.....	المصادر والمراجع.
245.....	الفهرس.

الملخص:

عدّ سكان إقليم توات (أدرار حاليا) الضارب في التاريخ من خلال المخطوطات والمصادر التاريخية بتعدد فئاته الاجتماعية المختلفة اللغة العربية الركيزة الأولى في بحوثهم، ذلك لأن اللفظ والكلام لا يستقيم ولا يكون على وجهه الدقيق إلا إذا تمكن المتكلم من إتقان اللغة العربية خاصة النحو والإعراب، مع أن منطوقهم أصابه بعض الظواهر اللغوية كالإبدال والقلب والنحت... أما الحركة الشعرية فكانت مزدهرة بفضل علمائها الذين أبدعوا فيها، فحزائن المنطقة لدليل على ما كان عليه التواتيون من اهتمامٍ بجميع أغراض الشعر وفنون النثر ساهم في وجود الكثير من المصطلحات الأدبية والاقتصادية التي لا تزال تحمل دلالات في الفصيحة العربية نشطت حياتهم المتنوعة.

الكلمات المفتاحية: إقليم توات، المصطلح الأدبي، المصطلح الاقتصادي، المخطوط.

Résumé:

La population la région Touate compté (Adrar actuellement) dans l'histoire à travers des manuscrits et des sources historiques de la multiplicité des différentes classes sociales du premier pilier de la langue arabe dans leurs recherches, parce que le mot est incorrect. à moins qu'il permet à l'orateur de maîtriser d'autant plus que l'expression de la langue arabe, avec cette blessure de certains phénomènes linguistiques cœur et la sculpture ... le mouvement poétique était en plein essor grâce à ses scientifiques qui ont excellé dans la région Fajzain des preuves de ce qu'il était Altoatyon de l'intérêt de toute poésie pour les arts en prose ont contribué à l'existence de nombreux termes littéraires, qui exerce toujours une connotation dans l'éloquence arabe active leur diversité.

Mots-clés: région Touat, le terme littéraire, le terme économique, le manuscrit.

Abstract:

People of ancient and historical province of Touat (Adrar currently), which appeared through manuscripts and historical sources with its various social categories considered the Arabic language, as the first pillar in their research, because the word and speech is not upright and is not on the exact face unless the speaker can master the Arabic language especially the grammar and expression, Although their language has been hit changed by some linguistic phenomenons such as substitution, transformation and adjustment ... The poetic movement was thriving thanks to the scientists who created them, the region treasurers proved that. the Taoist gave an importance to all purpose of poetry prose which contributed to the existence of a lot of literary terms and significances which is still carrying e Arabic which activated lives.

Key-words: the province of Touat, Literary Term, Economic Term, Manuscript.

ملخص الرسالة:

عدّ سكان إقليم توات (أدرار حالياً) الضارب في التاريخ من خلال المخطوطات والمصادر التاريخية بتعدد فئاته الاجتماعية المختلفة اللغة العربية الركيزة الأولى في بحوثهم، ذلك لأن اللفظ والكلام لا يستقيم ولا يكون على وجهه الدقيق إلا إذا تمكن المتكلم من إتقان اللغة العربية خاصة النحو والإعراب، مع أن منطوقهم أصابه بعض الظواهر اللغوية كالإبدال والقلب والنحت... أما الحركة الشعرية فكانت مزدهرة بفضل علمائها الذين أبدعوا فيها، فخزائن المنطقة لدليل على ما كان عليه التواتيون من اهتمامٍ بجميع أغراض الشعر فنون النثر ساهم في وجود الكثير من المصطلحات الأدبية والاقتصادية التي لا تزال تحمل دلالات في الفصيحة العربية نشطت حياتهم المتنوعة.

ذكرها ابن بطوطة وابن خلدون بأنها نقطة استقبال وتصدير للمنتجات باتجاه الشمال والجنوب، فاستقبلت فواكه ومنتجات الشمال إضافة إلى منتجاتها المحليّة، وعملت على نقلها إلى بلاد السودان التي كانت في ذلك الوقت من أغنى بلدان الدنيا بمنتجاتها النفيسة والتي يأتي الذهب على رأسها، وبهذا كانت المنطقة عبارة عن ميناء صحراوي لتنشيط الحركة التجارية بين بلدان إفريقيا، وربما لولا تلك الأهميّة لما كان للمنطقة أن تجد مكاناً لها في تاريخ ابن خلدون.

ومن النتائج التي خلّفها الجهل بالتاريخ الدقيق للمنطقة، أن دار خلاف كبير بين الباحثين حول أصل تسمية هذه الجزء من الصحراء بهذه التسمية، ومما عقّد الأمر أكثر الاشتقاقات الكثيرة التي تحملها التسمية من الناحية اللغوية والدلالية، وبهذا جاءت عدّة روايات لتفسير سبب تسمية الإقليم ب: توات.

منطقة توات هي إحدى مناطق الإقليم التّوّاتي الثّلاث (قورارة، توات، تيدكلت)، ونظراً للمكانة الكبيرة التي كانت تحظى بها المنطقة مقارنة بجيرانها، أطلق اسم الإقليم عليها، وهي تقع ما بين نهايات الهضبة العليا للقرارة التي تشكّل الحافة الشرقيّة لودي مسعود، والحافة المقابلة له المسماة

العرق الغربي الذي يتوسط الأوطان التالية: المغرب الأوسط والأقصى وجميع بلاد السودان وبلاد
الهقار.

تضم المنطقة عشر مقاطعات رئيسة هي: بودة، وتيمي، وتمنيط، وبوفادي، وفنوغيل،
وتامست، وزاوية كنتة، وسالي، وأنجمير، ورفان. وكل مقاطعة تحتوي على مجموعة من القصور
والواحات.

تتميز منطقة توات بمساحة شاسعة ساعدت على تنوع المنتجات الفلاحية، وتعد هذه الأخيرة
الحرفة الأساسية للمجتمع باعتباره مجتمعا زراعيا بالأساس، لكن الفلاح التواتي واجهته مجموعة من
العوائق حالت دون تطور إنتاجه ومنها: ارتفاع درجة الحرارة مما يؤدي إلى تبخر المياه وزيادة عمل
الجفاف في المنطقة، ثم الرياح القوية التي تؤدي إلى إفساد المنتجات، واعتماد الفلاح التواتي على
الوسائل التقليدية وهذا يؤدي إلى الحد من الإنتاج.

تشكل منطقة توات من تركيبة بشرية مختلفة، انعكس هذا الاختلاف على ثراء المنطقة وغناها
على المستوى الحضاري ثقافيا واقتصاديا، وساهم في تشكل هذه التركيبة المختلفة عدة عوامل منها:
الموقع وتوفر الأمن.

وقد أشرنا لبعض الأمثال والحكم التي تصور لنا بعض العلاقات الاجتماعية القائمة بين أبناء
المنطقة كالسعادة والزواج والشقاء وغيرها، وهي علاقات تجسدها الأمم العربية الأخرى، بالإضافة إلى
العادات والتقاليد والمناسبات ... ساهمت في وجود تغييرات ظواهر لغوية أصابت منطوقهم.

اعتبر سكان الإقليم اللغة العربية الركيزة الأولى في بحوثهم ، ذلك لأن اللفظ والكلام لا يستقيم
ولا يكون على وجهه الدقيق إلا إذا تمكن المتكلم من إتقان اللغة العربية من جميع أنماطها من نحو
وإعراب وبيان.

يعد الإبدال واحدا من جملة التغيرات الصوتية الأكثر شيوعا في العربية، فهو يعتري الصوت حين يجاور غيره أو يأتلف معه في سياق ما، بحيث يتحول الصوت الواحد إلى صوت آخر، مع الإبقاء على سائر أصوات الكلمة، ومع احتفاظها بدلالاتها ومعناها الأصلي، وهكذا تشترك الكلمتان أو الكلمات في صوت أو أكثر، في حين يبدل صوت منها بصوت آخر يكون قريبا منه في نشأته من جهاز النطق، أو قد يشتمل على شيء من خواصه، كما قد يكون بعيدا عنه، فتنشأ ألفاظ متشابهة في المبنى المعنى، ومن ثم "كان الإبدال عاملا فعالا من عوامل نمو اللغة.

اللغة العربية هي إحدى اللغات التي اعترتها هذه الظاهرة في كثير من مفرداتها، فنجد أصوات الكلمة الواحدة تتغير ليحل صوت مكان آخر، مع إبقاء الأصوات الأخرى دون أن يؤدي ذلك إلى تغير في المعنى، ونقف حيارى إزاء ذلك حين نحاول معرفة الكلمة الأصل.

وهناك من أشار إلى مسألة الإبدال ضمن تناولهم لقضايا اللغة العربية، ولهم فيه رأي آخر يردون في ضوئه أكثر صور الإبدال إلى ضرب من التطور الصوتي، كما يدخل أحيانا في اختلاف اللهجات، ويجعلون السبب في كثير من صور الإبدال إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمة.

ومن هؤلاء نذكر إبراهيم السامرائي، الذي يرى أن العربية قد اشتملت على لغات عدة هي لغات القبائل المختلفة، وطبيعي أن يحصل الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة، وعلى هذا فإن كثيرا مما حُمِّل على الإبدال داخل ضمن هذه اللغات.

وقف المحدثون عند ظاهرة القلب، ووجدوا أن اللهجات العربية اختلفت في تردد هذه المصوتات فيما بينها، فما كان بالضم في لغة قد يكون بالكسر أو الفتح في لغة أخرى، أو ما كان بالضم في لهجة يرد مفتوحا أو مكسورا في لهجة أخرى، واختلفوا في رؤيتهم إلى هذه الظاهرة.

المؤكد أن كثرة صور القلب إنما نشأت من جراء دخول مستويات اللهجات العربية القديمة في العربية الموحدة، غير أن مرده كثرة هذا القلب أختلف فيه، فرده البعض إلى عامل البيئة، أي أن الصيغة المشتملة على الضم تنتمي إلى بيئة بدوية، وأن المشتملة على الكسر تنتمي إلى بيئة حضرية.

واللغات الإنسانية تتباين في استجابتها لهذين العاملين، كما تختلف في مبلغ انتشارها فمنها ما تتاح له فرصة مواتية فينتشر في مناطق واسعة من الأرض، ويتكلم به عدد كبير من الأمم الإنسانية كالعربية قديماً، ومنها ما تسد أمامه المسالك فيقضى عليه أن يظل حبيساً في منطقة ضيقة من الأرض وبين فئة قليلة من الناس، ومنها ما يكون وسطاً بين هذا وذاك، فلا تتسع مناطقه كل السعة ولا تضيق كل الضيق.

والظاهر في قوانين اللغات أن أياً منها متى ساحت وانتشرت في بقاع واسعة من الأرض، وتكلم بها أجناس وطوائف مختلفة من الناس، عليها الاحتفاظ بوحدها وأنظمتها اللغوية الأولى أمداً طويلاً، بل لا تلبث أن تتشعب وتنشطر إلى لهجات شتى، تسلك كل واحدة منها سبيلاً أو نهجاً يواتيها.

اللغة العربية لم تنج من هذا القانون العام، فقد أخذت تتفرع منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض، وتختلف عن الأصل الأول الذي انتسلت منه في كثير من المظاهر الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، كما تميزت الرقعة الجغرافية التي انتشرت فيها بالشساعة وتنوع الأقاليم، وغلب على أهلها الترحال والتجوال.

فالجزيرة العربية كانت مسرحاً كبيراً توزعت العرب في أرجائها، مشكلة قبائل شتى تركزت بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، واختصت كل قبيلة أو جماعة متحدة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة خاصة، تتميز عن غيرها بسمات صوتية ونبرات خاصة تجعلها منفردة، إلى جانب بقائها مشتركة في بعض الأصول والأسس مع أخواتها، وإن اختلفت بعضها في كثير من المظاهر اللغوية.

يتأكد لدينا أنه من الطبيعي أن يكون للغة العربية المشتركة لهجات تمثل صوراً نطقية تختلف من قبيلة إلى أخرى، ويعد سعة انتشارها السبب الرئيسي في ذلك، غير أن هذا السبب لا يؤدي إلى ذلك بشكل مباشر، بل هناك عوامل أخرى أدت إليه ومهدت الفرص لظهور لهجات مختلفة.

يعد الاحتكاك من أهم العوامل التي تؤدي إلى نشأة اللهجات، وهذا الاحتكاك يكون نتيجة غزو يؤدي إلى صراع لغوي "لأن اللغة عندما تدخل إلى بقعة جغرافية جديدة فإنها لا تدخل إلى فراغ لغوي، بل يجب أن يكون هناك قوم أو أقوام يتكلمون لغات مختلفة، وفي هذه الحالة يحدث واحد من أمرين: إما أن تتغلب لغة الغازي فتحل المرتبة الأولى وتصبح لغة البلاد الرسمية، أو أن تتغلب لغة المغزوين وتبقى محافظة على سيادتها ... وفي الحالتين يطرأ تغيير في اللغتين سواء أماتت الأولى أم انتصرت الثانية، ونتيجة هذا الصراع اللغوي تظهر في اللغة، وفي التاريخ شواهد كثيرة على أثر الصراع اللغوي.

إن أول ما يمكن أن يقف عليه أي دارس للهجة التواتية هو شدة الصلة بينها وبين اللغة العربية الفصحى إلى الدرجة التي تجعلك أحيانا تقف معها -استعمالا- على بعض التعابير والصيغ الفصيحة والمتجذرة في لغتنا العربية، والتي غابت عن الاستعمال طوعا أو كرها عن لغتنا الفصحى ومن ثم صح اعتبار هذه اللهجة وفي كثير من مفرداتها عبارة عن فصحى محرفة ليس إلا، وهذا التحريف موزع على مستويات عدة أهمها: القواعد والبنىات والحركات والحروف، وهو ما سنقف عنده دراسة وتوضيحا.

لم يكن التواتيون بدعا ممن حولهم فقد اشتغلوا واهتموا بالعلوم والفنون التي كانت سائدة في عصرهم غير أن الملاحظة المبدئية التي يمكن الإشارة إليها هي أن التواتيين قد خصوا العلوم اللغوية باهتمام يفوق العلوم الأخرى، وقد تعامل التواتيون مع هذه العلوم بثلاث تعاملات، فمنهم من اشتغل بتدريسها، ومنهم من اهتم بالتأليف، ومنهم من أولع بنسخها.

أما العلوم اللغوية المشكلة للحركة اللغوية بتوات فقد حظي النحو بعناية من لدن اللغويين التواتيين، مقارنة مع غيره من العلوم اللغوية الأخرى، فأولوا مكانة مرموقة بين العلوم اللغوية لما لهذا العلم من أهمية في تقويم اللسان.

أما بالنسبة للصرف فإن التأليف فيه كان شحيحا إذا ما استثنينا مؤلف: "روضة النسرين في مسائل التمرين" لمحمد بن أبي المزمري، بالإضافة إلى بعض المؤلفات الصرفية الأخرى.

وبالنسبة للبلاغة فهي الأخرى لم تحظ بعناية من طرف اللغويين التواتيين، فقد كان التأليف فيها نادرا، اللهم إلا ما ألفه "أبو عبد الله سيدي محمد بن علي" وسماه "مقدمة في أنواع الاستعارات"، وبعض المنظومات القليلة الأخرى.

ارتبط الدرس اللغوي بتوات ارتباطا وثيقا بالشعر التعليمي، ولا أدل على ذلك من كثرة المنظومات، والأراجيز اللغوية التي نظمها لغويو توات، كما التصق الدرس اللغوي بالعلوم الشرعية بهذه المنطقة التصاقا قويا، حتى إذا ما رجعنا إلى كتب التراجم وجدنا أن أغلب الذين ترجموا لأولئك الأعلام يصدرون ترجمتهم بقولهم: (كان فقيها، محدثا، مفسرا، لغويا، نحويا، عروضيا)، وإذا قمنا بمسح لعلماء اللغة بتوات وجدناهم لا يخرجون عن هذه القاعدة، فما من علم من أعلام الدرس اللغوي بتوات إلا وجدناه فقيها ونحويا.

ويرتبط الدرس اللغوي أيضاً بتلك النوازل اللغوية والألغاز والأحاجي النحوية، التي كانت تنزل على العلماء.

لقد حظيت المنظومات اللغوية التي بعناية خاصة في الدرس اللغوي بتوات، ويفسر ذلك العدد الهائل من المنظومات اللغوية التي نظمت ودرست وشرحت وحشيت في الدرس اللغوي بتوات وذلك على مستوى التدريس كالأجرومية والألفية ولامية الأفعال، وغيرها من المنظومات اللغوية الأخرى، وأما على مستوى التأليف فإن النظم شكل حضورا قويا بالدرس اللغوي بتوات، ولعل الغرض التعليمي كان من بين الأسباب المباشرة في وجود هذا الكم الهائل من المنظومات اللغوية بالدرس اللغوي بتوات.

هناك منظومات كثيرة ومتعددة والتي يمكن اعتبارها مصدر للدرس اللغوي بتوات ومن أبرزها منظومات محمد بن أب المزمري، ومما يلاحظ هنا هو أن هذه المنظومات مختلفة المضامين فبعضها في الصرف وبعضها الآخر في النحو والعروض وما إلى ذلك، وهذا الاختلاف دليل على أن الرجل كان

أديبا وشاعرا في الوقت نفسه، كما أن كثرة المنظومات دليل على مكانة الرجل في الدرس اللغوي بتوات.

كانت توات منذ تاريخها المبكر منارا للعلم وسط هذه الصحراء الشاسعة، حيث توافد عليها الكثير من العلماء من كافة الأقطار العربية، ومع مرور الأيام ازداد التواصل وتوسع وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري، ومن ثم انكبت النفوس على الدرس وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر، وتعتبر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثم كان لنا هذا للمؤلفين والمؤلفات، نشط الحركة الأدبية في شتى المعارف والعلوم، فقد استخدمت جل هذه العلوم والدراسات في خدمة كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وتعد الزوايا مراكز العلم والثقافة العربية والإسلامية، وقد لعبت دورا بالغ الأهمية في نشر الإسلام واللغة العربية، وتخرج منها العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم، والزوايا من هذه الناحية تعتبر مدارس ابتدائية وثانوية ومعاهد عالية في آن واحد.

الجدير بالذكر أن جهود الطلبة التواتيين لم تقتصر في تحصيل الإجازة العلمية والأدبية من العلماء التواتيين، بل أن البعض منهم سافر إلى خارج الإقليم للحصول على الإجازة العلمية والأدبية من كبار علماء الأقطار العربية، بعد ملازمتهم إياهم مدة من الوقت يعودون بعدها إلى توات وقد أصبحوا من خيار العلماء، حيث يتولون مناصب القضاء والإفتاء والتدريس.

ونذكر أيضا من جملة المشايخ التواتيين الذين درسوا في الخارج الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني، الذي أخذ العلم على يد الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد بن أمبارك السجلماسي وأجازته، وعلى يد الشيخ محمد بن زكريا الفاسي، وعلى يد الشيخ محمد حفيد ميارة وغيرهم كثير.

كانت الحركة الأدبية لأغراض الشعر في قصائد عديدة لغرض التوسل والدعاء، والمدح والثناء والفخر والحماسة، أما النشر فإننا لا نجد مؤلفات كثيرة، لأن التواتيين اهتموا بالشعر أكثر من النشر،

وربما يرجع ذلك إلى سهولة حفظه لما يمتاز به من وزن وقافية، وإذا قلبنا الخزائن التواتية لم نعثر إلا على عدد قليل من المؤلفات النثرية نذكر منها: التاريخ والتراجم والرحلات والوصايا... الخ.

وقفت بعدها على المصطلحات الأدبية للإقليم القديمة والحديثة التي سارت على ألسن أهل توات المتضمنة الكثير من المفردات الصحيحة الفصيحة والتي غابت في عصرنا الحالي، و يمكن القول أن هذه المفردات والمصطلحات حافظت على دلالتها ومعانيها القديمة بالرغم من بعض التغييرات التي طرأت عليها، إلا أنها لم تغير وتؤثر على مضمونها وأصلها الفصيح.

أما الحياة الاقتصادية فقد قامت على أربعة أنشطة هي: التجارة والزراعة والصناعة والرعي، ولا تكاد أي حياة اقتصادية في أي منطقة من العالم إلا وتقوم على هذه الأنشطة.

فالتجارة كانت الداخلية منها والخارجية، فالداخلية بين الأهالي والخارجية كانت عن طريق القوافل التجارية القادمة من المغرب والسودان، كما تتميز توات بكثرة المياه المتمثلة في الفقاقير، لذلك فالزراعة كانت مزدهرة خاصة التمور، و أهتم التواتيون بممارسة الصناعات الحرفية التقليدية، كالأبسطة النسيجية المعروفة بالدكالي وصناعة السلال والحصير والقفاف من سعف النّخيل.

كانت توات مركز عبور الكثير من القوافل التجارية تأتيها من جهات عديدة نذكر منها: أهم الطرق التي تربط أقاليم توات بجزائر الحضارة في الشمال الشرقي والغربي والوسط.

مارس التواتيون الكثير من الصناعات وذلك حسب المواد المتوفرة محليا والوسائل البسيطة التي يملكونها من بينها نجد النجارة وصناعة الجلود والحدادة وصناعة الحلي.

كانت القوافل التواتية الآتية من الأزواد تتجه مرتين في السنة إلى توات، في شهر ماي تكون الرحلة الأولى والثانية في شهر أكتوبر ومحمل القافلتين تتكون ما بين ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف جمل يطلق عليها تسمية "أكابار" ينتظرها سكان توات في مواقيتها فتأتي بالعبيد و جلود الأبقار والذهب وريش النعام واللحم وتنشط الحياة الاقتصادية بقدموها، بإقليم تيدكلت يقايضون بمنتجاتهم المحلية

المتمثلة أساساً في التمر والتبغ والحبال المصنوعة من الليف، ويرجع قافلة السودان تصل إلى إقليم "تينجورارين" قوافل الشمال تأتي بالحبوب والصفوف والغنم والقطن ومواد استهلاكية أخرى لتعود بالمنتجات المحلية و سلع السودان كالعبيد وريش النعام والعاج.

ومن بين المقاييس التي تعارف عليها الناس وتعاملوا على أساسها نجد: الشبر والذراع والقدم والفرسخ ... أما الموازين فتمثلت في: المثقال والدينار والمد والصاع ...

إن العملة هي مقياس لكل تعامل مالي سواء على المستوى المحلي أو الخارجي، كما أن لها مدلولاً حضارياً لا يمكن إهماله فهي تعطي الصورة الصادقة بتطوير المجتمعات وتعكس الدور الاجتماعي في مدى تداولها والتعامل بها، فالعملة التي كانت متداولة محلياً هي العملة التي كانت تضرب بدار النقود التي تعرف بدار السكة، كانت في شكل مستدير من مزج المعادن والسبائك الذهبية والفضية، إلا أن الفضة كانت أكثر المعادن طلباً التي يتم استيرادها من مناطق أخرى.

أما عملية المقايضة والبيع والشراء فكانت عبر أسواق محلية ومراكز تجارية، وهي التي يرتادها سكان القرية التي توجد فيها السوق المحلية عندهم، وفي الغالب يوجد فيها بعض الدكاكين البسيطة، أما معظم البضائع فكانت تعرض في العراء، كما يتبادل فيها البضائع الرخيصة الأثمان، ويعقد سوقاً أسبوعياً يكثر فيه الناس بعض الشيء عن الأيام الأخرى، وتتضاعف فيه كميات البضائع بهذه الأسواق.

أما الأسواق الجهوية فتتواجد مراكزها في الأقاليم الحكومية، وكانت تصلها جماعات التجار من خارج المنطقة الموجودة بها، كما كانت توجد فيها بضائع أكثر كمية وتنوعاً منها في الأسواق المحلية، فيمارس فيها التبادل بين المنتجات الجهوية والمحلية والخارجية.

أما الأسواق الكبرى وأغلبها كان يقع شمال البلاد وكانت تجري عن طريقها حركة الاستيراد والتصدير مع الخارج، وفيها يتم عقد الصفقات الكبيرة بين التجار الموسرين، ويقصد هذه الأسواق

التجار من جميع الجهات، وكانت أهم هذه الأسواق في تمبكتو- جني- غاو - توات- قورارة- تيدكلت.

وتعد توات مركز إنعاش لتجارة القوافل، إذ تقع في واحة غنية وتزود التجار بالغذاء والماء العذب وتوفر الكلاً للدواب، كما يتم بها تغيير الجمال والأدلاء وغالباً ما يقوم تجار السودان وبنجار الساحل الشمالي بعرض سلعهم بها.

إن التجارة في الصحراء لم تكن تخضع لإجراءات الحدود من التفتيش والتعريفة الجمركية، فإن التاجر يواجه المخاطر في طريقه بما في ذلك خطر السطو والنهب، فللقوافل تقطع مسافات شاسعة في ظروف مناخية صعبة، وهي مضطرة لسلوك طرق معينة تقع على جنباتها نقاط المياه وهذا الاعتبار يسهل كثيراً مهمة قطاع الطريق والقبائل التي تعيش على السلب والنهب، على أن الطرق التجارية كانت تتمتع عادة بحماية فعالة من بعض القبائل التي يهملها استمرار تيار التبادل التجاري الذي يمدّها بما تحتاج إليه من منتجات الخارج.

كل هذا ساهم في وجود مجموعة من المصطلحات الاقتصادية، قمت بالبحث عن دلالاتها في أمهات المعاجم والقواميس لبيان ارتباطها بالعربية الفصحى على الرغم من تداولها على ألسنة العامة من الناس فترة طويلة، تبين لنا أن هذه المنطقة لها بعداً حضارياً نتمنى من الباحثين إظهاره للنور ليستفيد منه المجتمع والأمة.

Introduction:

In the name of God the Merciful and prayers and peace be upon His messengers

Since its early history, Twat has been a center of knowledge in the midst of this vast desert, where many scholars from all Arab countries have come to visit it. As the days progress, communication has expanded and intensified with the forms of cultural interaction. And admiration for the reality of this interaction in various knowledge and science, and used most of these sciences and studies in the service of the Book of God and the Sunnah of His Messenger peace be upon him.

The population of the province of Tuwat Arabic language is the first pillar in their research, because the word and speech is not upright and is not on the exact face unless the speaker can master the Arabic language, especially grammar and expression, but the movement of poetry was thriving thanks to the scientists who created them, It was the totes of interest in all the arts of poetry of praise, lamentation and begging ... contributed to the revitalization of their life.

It is not surprising to find a great number of literary and economic terms, which still bear their meanings and uses from a long time, and this has filled my concerns since I was studying and learning, and the benefit of the wisdom of many elders to suggest the region's tremendous scientific momentum and knowledge, From the vaults of science, which are of its multiple varieties, and the manuscripts are only evidence of that, if we did not rush the time to protect and achieve and show the light of this great treasure, and the efforts of researchers and interested in continuing to convince the owners of these manuscripts the need to benefit people including and highlight it.

This diverse literary and scientific heritage shows us the structure of the society and its components inherited by a generation from a generation that shows us the depth of the human soul and its perception of life. Man's performance and individual and collective practices are mainly related to the structure of his country. His actions are a pattern of behavior in his life that requires disclosure and study.

The Arabic language, like other languages, is still subject to changes and distortions that sometimes occur in some of the words spoken by the general public to the geographical space and differences in customs and traditions and ways of living, but they bear their meanings with different pronunciation, but the

scientists of the province of Twat classed and created, Angles and mosques and what they received by the sheikhs, who still continue to give them to this day of jurisprudence and literature and poetry ... shows their devotion to Islam.

The environment was suitable for worship and dedication to science through its strategic position, which is a link between Fez and Tlemcen and the Western Sudan, in addition to the joint commercial and economic transactions formed by these multiple trips back and forth established a link between them.

Hence the importance of research in revealing the meaning of the various terms used among people shows the simplicity of the culture of society away from the manifestations of cost and complexity, which is what we try to stand in this study, tagged: "literary and economic terms in the province of Tuat and its civilizational concept"

The reason for my choice for this subject for subjective reasons and the most important of which are:

- Reviving Touat's history, highlighting some of its diverse areas.
- The state of neglect suffered by the scientific heritage in the area of Toat.
- I belong to this region and live all its conditions.
- enrich the linguistic dictionary of the Twitin to stand on some of the linguistic terminology in the public sphere and its association with the clear.
- To show the cultural dimension of the Toat area of the various sciences of science.
- Being very close to the community and its verbal practices.

In addition, the instrumental expression and its rich terminology in the depth of social life highlight the extent to which the language is preserved, because it is often classified as non-existent. It is only a return to the mothers of books and dictionaries to show their origin.

The province of Tuwat is one of the regions that has played a scientific and cultural role that extends to its neighboring regions as a transit area and a meeting between the north, south, east and west of the Maghreb and the successive civilizations and cultures of the Sahara and the continent in general.

He was known for his strong connection to Islam, which had been known to him since the first century AH / 7th century AD by Muslim merchants and Arab migrations that began to flow into the region.

The area of Twat was always distinguished by the great number of scholars and angles that enabled the city of Twatt to be referred to by the historians and the owners of the tracts and monasteries such as Assthari, Ibn Hawql and Ibn Battuta ..., the twelfth and thirteenth Hijri / 18th and 19th centuries witnessed the movement of scientific activity and intellectual thought, Behind him a group of scientists became poles of science and the authors of a message.

However, the research on this subject tries to answer many questions, perhaps the most prominent: What is the nature of the province of Twatt? What is its importance? And how is scientific life? What are the most prominent literary and economic terms that the general circulation? Does it have a link with cleverness? What are the linguistic manifestations that struck his voice?

A plan consisting of an introduction and four chapters was adopted. The first chapter dealt with the definition of the province of Tuwaat and the origin of the name, the statements of the historians about it, the history of the region through commercial trips, the geographical location of the region and its natural conditions,

The second chapter explained the terms of substitution and the heart and its reasons, such as dialects, due to the different geographic and social factors and the friction of languages with each other in the development of sounds, laws and changes.

In the third chapter, the linguistic movement in Tuwat province included the linguistic lesson in the forensic science or the science of calamities and grammar, using some evidence, then talking about the sources of the linguistic lesson, and then turning to the literary movement with bits of interest in Quranic angles and schools and the manuscripts of the various prose and poetry purposes Then to the lexicon side of the dialectic at their individual levels in the rules, structures, movements and letters, moving to the common terms in their operative.

While in the fourth chapter examined the economic situation and its components, referring to some flights, standards, scales and business activity with convoys, and then reference to some economic crises, focusing on the most

important economic terms in the public operative associated with the scandal. The search results are summarized in the main findings.

The approach adopted by the descriptive approach, with the use of some budgets between linguistic and linguistic phenomena, as is not without research from the historical approach to the interpretation of these phenomena by reference to their origin.

The difficulties that faced me in this research were: the lack of sources and references, which led to the scarcity of information and the lack of data except a few of them and some university letters, in addition to the convergence of some concepts may confuse them.

It is based on a number of sources, the most important of which are the following: A manuscript such as: The Book of Judge Muhammad bin Abdul Karim bin Abdul Haq (Durat Al-Pawamim in the News of Morocco after Islam), this source contains some events that occurred in the area of Twat. On the history of the region, as well as the book of Muhammad al-Tayeb bin Haj Abdul Rahim (simple say in the news of Tantitit), but the printed book of the lessons of Ibn Khaldun, Ibn Battuta trip ...

The references have varied and varied according to their location from the research, including: The Book of Twat and Azuad to his friend Mohammed Al-Saleh Al-Houthi and also this reference is important in identifying the history and conditions of the region, and the story in the history of Tuat and flags of Abdel Hamid Bakri, and the Algerian dialect book for Ahmed Jafari in two parts that benefited from it Much.

Finally, I have done my utmost to reveal this research, and I will not claim that I put the issue right, asking the Lord Almighty to inspire me to succeed and pay, thanking Dr. Mohamed Abbas for the supervision and follow-up.

And the God of the intent behind.

Abdallah Harma

Tazoult / Adrar on 16/05/2017.

Conclusion:

The research led to general and specific results.

- During the twelfth century AH, the Twat region witnessed a quantum leap in many fields, especially scientific ones, which contributed to its intellectual and cultural construction, which was reflected on its inhabitants despite the difficulty of living in the desert environment and its cruelty.

- It is no wonder that the region is witnessing a cultural diversity of its breadth and its multiple dialects: Vorara, Tawat, Tidekelt, and Tranzvat of Zenith, Amity and Taravia.

The following are:

- The province of Toat is a history-ridden through texts, manuscripts and landmarks that still bear witness to this.

- This region is a geographical area of Algeria is a link between the north and south, where is the transit area of commercial convoys as well as riding pilgrims.

- The name of the region is still the difference based on the origin of the name is Arab or barbaric?

- The simplicity of society and its proximity to the standard of living made it live a kind of stability.

- The strategic and economic importance of the region among the regions of Algeria.

Al-Zawiyyah was known for its qualitative renaissance through the memorization of the Holy Quran, the teaching of various religious sciences and the honor of the people, and thanks to it the Arabic language grew up and maintained its identity and identity. Its scholars and scholars succeeded in reforming society and spreading Islam and Arabic in the countries of Africa and the Sahara in general.

- The departure of the region from the political strife in the Islamic Maghreb made it a kiss for full-time to science and worship and harbor the various human races.

- The spread of centers and angles in most oases and regions of the region, which helped the scientific and religious renaissance, in addition to the separation of discounts and repair of the inter-related and help people in their lives, and this necessitated suitability with the age.
- Graduated from this region scientists and students spread their knowledge and literature in each region when they studied and then Oftoa and Alfawawin.
- The language hit the melody by associating the Arab rams, which gives us a sound composition that leads us to a certain.
- The phrase barbaric bear most of the qualities that distinguish them in the cleverness.
- The tendency of the general tone to shorten the speech and facilitate the pronunciation, while ensuring consistency of sounds and harmony with each other.
- A dialect is a method of use that arises in special circumstances for communication and connection between individuals.
- The region contained a considerable number of scholars and jurists who wrote in the poetry of the Prophet, including the son of the father of the Prophet and Muhammad ibn al-Mabrook Budawi.
- The language of the generality is no different from classical Arabic in its use of vocal phenomena such as substitution, heart and relaxation.
- The division of speech in the vernacular of the name and deed and character we see a close convergence with the Arabic language.
- The linguistic replacement of the origins of its phenomena and roots to the dialects of ancient Arabic, because the dialects of Algeria share with the dialects of ancient in many phenomena and characteristics and indications.
- The Altawtin struck some of the sculpture and distortion of some weights and morphological forms of acts and names and sentences and structures.
- General changes in the dialectic are subject to general purposes, mechanisms and motivations that are subject to all languages for renewal, effort and conciliation in order to facilitate.

- Focus on speed in communicating the meaning away from the method, which expresses by dialect to achieve it.

- I tried to collect and root some of the terms in their agreement and approach to the Arabic based on the old Arabic dictionaries such as Ibn al-'Arab to the son of the perspective and standards of language for Ibn Fares and Al-Sahah al-Jawhari, and I concluded in this study that many of the terms do not depart from the Arabic language.

- Altawati resort to scientists and the general public to use a set of terms related to the field of literature and economy and employment for their multiple purposes, which have Arab origins influenced by customs and traditions passed down generation by generation, made their region an urban pole added to the chain of poles Algerian and Arab.

Finally, I hope that this study has added new, and I do not claim knowledge of all aspects of the subject. I hope that these research papers will be the basis for more accurate and in-depth studies to reach more accurate scientific results.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة تلمسان



المؤتمك والإضطال

عرب علم

مجلة يصدرها مخبر

تعريب المصطلح في العلوم
الإنسانية والاجتماعية

العدد : 13 - 14 السنة : مارس 2017
رقم الإيداع القانوني : 1542 - 2004

ISSN: 2507 - 7678



دار النشر والإنتاج والتوزيع

قطعة بودغز عين النجار تلمسان-الجزائر
هاتف / فاكس: 43-38-40-60 (0) 213 +
E-MAIL: KKOUNOUZ@YAHOO.FR

WWW.KKONOUZ.COM

المعتمد في الاصطلاح
مجلة يصدرها مخبر تعريب المصطلح في العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تلمسان
مدير المجلة: أ.د محمد عباس
مجلة علمية أكاديمية محكمة

السنة مارس 2017

العدد: 13 - 14

أ.د محمد عباس
ص.ب: 927 تلمسان
0775.83.15.59
043.20.41.89

المدير المسؤول:
عنوان المراسلة:
الهاتف:
الفاكس:

email.feth.abbas@gmail.com

المقالات لا تُردّ إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر

لجنة التحرير

د.ميلود قردان
د.ابن عزة عبد القادر
د.فتوح محمود

أ.د محمد عباس
أ. مغني حنان
أ.بوضياف محمد الصالح

لجنة القراءة

أ.د مختاري زين الدين
أ.د قدور إبراهيم عمار
أ.د العراقي لخضر
د.بن عزة عبد القادر
أ.د عوني أحمد
أ.فتيحة عباس

أ.د محمد عباس
أ.د دكار أحمد
أ.د زروقي عبد القادر
أ.د تاج محمد
أ.د بوزيان أحمد
أ.د باقي محمد

الهيئة الاستشارية

أ.د عشراقي سليمان (وهران)
أ.د عراي أحمد (تيارت)
أ.د كروم بومدين (تلمسان)
أ.د عزّوز أحمد (وهران)

أ.د صالح بلعيد (تيزي وزو)
أ.د عبد الله بوخلخال (قسنطينة)
أ.د عبد الجليل مرتاض (تلمسان)
أ.د الطيب بن جامعة (تيارت)

المحتويات

7	أ.د/ محمد عباس	تصدير
9	أ.د/ عبد الخالق رشيد	العدول عن مقتضى الظاهر من الحال - دراسة في المصطلح وتداعياته-
21	د/ بوعمامة نجادي	التناسق وأثره في الانسجام النصي - دراسة تحليلية -
33	د/ سيد أحمد محمد عبد الله	الصناعة الحجاجية والمناظرة في منهج الإمام القرطبي.
47	أ.د/ دكار احمد	المصطلح التربوي في الفلسفة
53	أ/ صورية بوكلاخة	التداخل بين مصطلحي أصول الفقه و أصول الدين
65	عبد القادر لا نصاري	الالتفات عند ضياء الدين بن الأثير (ت 677 هـ) قراءة في المفهوم والأغراض
79	أ.د/ محمد عباس	مفاهيم نقدية في تحليل الخطاب الشعري
91	د/ فتحي محمد	قراءة في الشعر الجزائري القديم، بكر بن حماد التاهرتي أمودجاً
107	أ/ خطاب بن شهرة	تأصيل صناعة البديع بإتباع أثر الجاحظ
129	أ/ سعاد بلعباس	صِلاتُ القَرابة بين العربية واللغات السامية
147	أ/ محمد ربحي	دراسة دلالية لرسالة الضب للبشير الإبراهيمي
157	أ/ فتيحة عباس	الجهود العلمية لدى عبد القاهر الجرجاني
177	أ/ فتوح محمود	المصطلح النقدي عند محمد مندور بين المورد العربي والثقافة الوافدة
187	أ/ شيباني رحمة	مصطلح التناسق بين العرب والغرب

- 193 أ/ عائشة خالدي تطور مفهوم الحضارة بين الشرق والغرب»
- 203 أ/ علي لخضاري مفهوم الإعجاز في الدراسات البلاغية والنقدية
- 211 أ/ بن الصالح طيب المفهوم الدلالي لمصطلح القيم الخلقية ودورها في بناء المجتمعات الإنسانية
- 227 أ/ عبد الله حرمه المصطلحات الدينية والتعليمية بحاضرة توات
- 245 أ/ رابع مليكة صورة المثالية في فضيلة المنفلوطي

المصطلحات الدينية والتعليمية بطائفة توات

أ عبد الله حرمه - كلية الآداب واللغات - جامعة تلمسان.

ملخص:

يعد إقليم توات من الأقاليم الضاربة في عمق الصحراء نظراً لموقعه الاستراتيجي في مركز التقاء القوافل التجارية وربطها لشمال وجنوب القارة الأفريقية، وتوات (ولاية أدرار حالياً) هي جزء من صحراء الجزائر ذات نخيل وأشجار وأبار وقرى، عرفت بارتباطها الشديد بالإسلام منذ الوهلة الأولى؛ فسخرت كل مؤهلاتها الطبيعية والبشرية للاهتمام بالعلم ودراسته من زوايا ومدارس ومساجد ... مما ولد لديها العديد من المصطلحات في المجال الديني والتعليمي المرتبطان بالتقاليد المعروفة عندهم.

Abstract:

The province of Touat is one of the striking regions in the depth of the desert. This is due to its strategic location at the convergence of trade caravans center and its interconnect between the north and south of the African continent. Moreover, Touat (State of Adrar currently) is part of the Algerian desert which contains palm trees, wells and villages is known for its deep linkage with Islam since its outset. Furthermore, people of Touat invested all their natural and human qualifications of interest to serve and obtain science and its branches. Koranic schools, schools and mosques were used to do so. This led to the birth of several new words, both religious and didactic, which are directly linked to the customary traditions of Touat.

مقدمة:

يزخر إقليم توات بالعديد من الزوايا والمدارس والكتاتيب، التي لعبت دوراً بارزاً في المحافظة على الهوية العربية الإسلامية لسكان إقليم توات منذ نهاية القرن 9هـ/15م، ويرجع سبب انتشار الزوايا بالمنطقة إلى وقوعها على الخط التجاري الرابط بين شمال بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، مع تمتع المنطقة بالأمن والاستقرار وهو ما سمح بانتقال و بروز العديد من العلماء

والزهاد الذين كان لهم دوراً هاماً في تنشيط الحياة الثقافية والاجتماعية، عن طريق تأسيس زوايا دينية وعلمية أشهرها الزاوية البكرية والتَّيْلَانِيَّة والكُنْتِيَّة وغيرها من المؤسسات التي ساهمت في إثراء دور فعال في ازدهار الحركة العلمية.

1. تنشيط الحركة التعليمية بتوات

أ) إنشاء الكتاتيب القرآنية:

تسمى الكتاتيب أو (أقربيش)(1)، ويسمى في توات المحضرة، ومنهم من يسمونها (بالمسيد) أي المسجد ومنهم من يسميها (الجامع)، تعد المرحلة الأولى للتعليم القرآني، يلتحق بها الصبيان من سن الخامسة أو السادسة، مهمتها تعليمهم الحروف الأبجدية والكتابة ثم بعد ذلك تحفيظ القرآن الكريم(2)، باستخدام أدوات الكتابة وفق الرسم العثماني وبرواية ورش عن نافع عن طريق أبي الأزرق باعتبارها الرواية السائدة في المنطقة، بالإضافة إلى تعلم مبادئ العقائد والتجويد بالاعتماد على المتون المتخصصة في التجويد والفقهاء، و تعليم القرآن له مكانة ربانية عند المولى عز وجل حيث يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (3)، وقوله أيضاً: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42) ﴾ (4).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ﴿ يا أبا هريرة علم الناس القرآن وتعلمه فإنك إن مت وأنت كذلك زارت الملائكة قبرك كما يزار البيت العتيق، وعلم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة، فلا تحدث في دين الله حدثاً برأيك ﴾ رواه الخطيب البغدادي.(5)

إن تعليم القرآن والدخول إلى أقربيش(6) (الكتاب) يكون بإقامة حفل على شرف الصبي، تكون بإعداد مائدة طعام لطلبة الكتاب والأقارب والأحباب وأول ما يكتب في اللوحة « بسم الله الرحمن الرحيم » قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن»، وبعد ذلك يتدرج الطالب في الحروف الهجائية (أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ...) (7)، فعند إتقانها ينتقل إلى سورة الفاتحة ويكون ذلك بتلقين الشيخ للصبي، ويمرنه في ذات الوقت على الكتابة.

● مراحل التعليم في الكتاتيب : تنقسم إلى ثلاث مراحل:

○ المرحلة الأولى: يكتب المعلم في بداية الأمر للتلميذ لوحة بخلق القلم، بدون حبر فيترك أثر الآيات ليقوم التلميذ فيكتب على أثرها بالحبر أو الصمغ وهكذا يتدرج على رسم الحروف وربط الكلمات.

- **المرحلة الثانية:** هي كتابة نص السورة على الرمل، ويعبد نقلها الصبي إلى اللوح بالحبر والقلم حتى يتحكم في الخط.
- **المرحلة الثالثة:** يتمثل في الإملاء، ويكون بعد بلوغ التلميذ مرحلة معينة، وذلك بعد التمكن من الخط عن طريق « الرَّمْ » (8) ويكون ذلك عند بلوغ الطفل « سورة » يس « يبدأ في الإملاء » « الفَتْوَة » (9)؛ حيث يجمع المعلم حوله العديد من التلاميذ فيبدأ في الإملاء عليهم وهم يكتبون، وعند انتهائهم من الكتابة ينظر إليها الشيخ ويصححها، وعادة ما يبدأ الإملاء في أقصر السور إلى غاية وصول الصبي سورة البقرة، وهي النهاية (10)، ولمن يريد ضبط القرآن الكريم فمتى وصل سورة البقرة فإنه يعود على القرآن، وعادة ما تقام مأدبة غداء لتلاميذ المدرسة القرآنية وذلك لبلوغ الطفل سورة البقرة، فوصوله إلى حزب « يستبشرون » (سورة آل عمران) يسمى عند أهل المنطقة « بالسلوك » (11)، عندها يأخذ المعلم لوح الطالب فيكتب فيه بعد البسملة سطرًا من حزب يستبشرون، ثم يناوله للحاضرين من علماء المنطقة لكي يكتب كل منهم كلمة تبركاً إلى نهاية الثمن وبعد الكتابة يقوم الشيخ بترتيل ذلك الثمن بمعية الحاضرين، وفي الأخير تختم السلوك (12).
- ومن العادات الشائعة في المنطقة يلزم على الطفل أن يعيد تكرار ما قرأه وهنا تبدأ مرحلة الحفظ والإدراك لمعاني القرآن، فكل يوم أربعاء يقوم الطلبة بإلقاء المعوذتين ويدرك أنه تمكن من حفظ القرآن الكريم، تقام لأجله كذلك وليمة كبيرة على شرفه، ويسمى هذا عند أهل توات « الحفوض » (13) تقام فيه طقوس السلوك (14) فهذه المرحلة ما هي إلا بداية لمرحلة التدرج والالتحاق بسلك طلبة الفقه والحديث.
- وحفظ القرآن بإقليم توات يقوم على:
1. البداية بأقصر السور.
 2. العرض وهو قسمين:
 - العرض الأول: ويكون بتلقين الشيخ للتلميذ، وتصحيح أخطاء الكتابة.
 - العرض النهائي: عند الحفظ وبعد محو اللوحة.
 3. التكرار: ويكون بالمراجعة الدورية وتخصص المدارس يوم الأربعاء والخميس للتكرار.
 4. الإملاء: وهو كما وضحناه في المرحلة الثالثة (15).
 5. القراءة الجماعية: في كل يوم بعد صلاة المغرب تقوم المدارس القرآنية بتلاوة الأحزاب الأربعة الأخيرة من القرآن الكريم بهدف ضمان حفظ أدنى منه، مع بعض المتون الفقهية والأدعية

بين المغرب والعشاء، وتكون بالتناوب حزبين يومياً (تبارك، الجن، عم، سبّح) (16).

● الأدوات المستعملة في الكتابيب وأهم الدروس المقدمة:

أما بالنسبة للأدوات المستعملة فهناك القلم المصنوع من القصب واللوح، والمحبرة والحبر، وهي بالتفصيل كالآتي:

1. القلم: تصنع من القصب أو من الجريد النخيل وأعواده دقيقة مسطحة ولا يصلح للقلم إلا إذا جفّ القصب واستوى، فيقوم التلاميذ بقطعه وبريه بالموس أو الشفرة، فالقطع يكون على طرف القلم، حتى إذا دق رأسه يشق من النصف شقاً خفيفاً لكي يسهل انسياب الحبر. (17)

2. اللوحة: عبارة عن لوحة خشبية ملساء تطلّى بمادة بيضاء تدعى محليا بالصمصاد (18) (الصلصال) في بعض المناطق ويجلب الأجود من بودا (19)، وهذه اللوح يتغير حجمها بتغيير المستوى التعليمي (20).

3. الحبر: يدعى أحيانا بالصمغ وهو السائل الذي ترسم به الحروف، يصنع من مادة تفرزها أشجار الطلح في المنطقة ويسمى العلك (الدموع)، والمادة الصوفية تستخرج من الشاة، وفي بعض المناطق يصنع من صدأ القدر (الكحال).

4. المحبرة: يسميها أهل توات الدواة، وهي قارورة صغيرة من الزجاج أو الحديد يوضع فيها الصمغ والصوف ويخلط جيداً حتى يسودّ، وتترك في الشمس مدة.

5. أدوات أخرى: مثل الأوراق، والجلود وهذا نجده عادة في الكتب المخطوطة بالخزائن التواتية....

ب/ تأسيس الزوايا والمعاهد العلمية:

عُرفت الزاوية في أوائل القرن الثامن الهجري، وكانت تطلق على مكان معد للعبادة، و تشتمل على مرافق لإيواء الطلبة وعابري السبيل، وقيل أنها عرفت في المغرب بعد القرن الخامس الهجري، وسميت في بادئ أمرها بدار الكرامة أو دار الضيافة ثم عرفت الزاوية بعد ذلك بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية، يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد، كما كانت تتخذ مأوى لطلبة القرآن والعلم (21).

1. مفهوم الزاوية: هي مؤسسة دينية روحية اجتماعية عبارة عن مجموعة من البيوت والمنازل المختلفة، تشتمل على قاعة خاصة للصلاة بها محراب وضريح لأحد أولياء الله الصالحين تعلوه غرفة لتلاوة القرآن وتعلّم اللغة العربية، وأخرى يسكن فيها الطلبة، وغرف لإيواء

المهاجرين وعابري السبيل.

لقد ارتبطت الزاوية في المغرب الإسلامي بلفظ الرباط (22) وهي مكان يجتمع فيها الناس للعلم والعبادة، وهو ما حدث في عصر المرابطين، مذهب عرف التعليم وجهة أخرى أنشئت الرباطات، وهي أصل الزوايا من حيث كونها انقطاعاً للتعليم والعبادة، وكان ذلك بعد قدوم عبد الله بن ياسين (23) إلى إفريقيا واختياره مجموعة من قبائل صنهاجة والانعزال بهم على نهر السنغال ليقوم بباطه هناك، فالنظام القائم في الرباط يشبه إلى حد كبير نظام المرابطين في حديثه عنها: « وقد عرفنا أنها أصلاً كانت رباطاً للجهاد، ثم تطورت إلى مراكز للتعليم والعبادة » (24). ويشير صلاح مؤيد العقبي إلى الزوايا بمنطقة الجنوب الجزائري فيقول عنها: « عرفت منطقة الجنوب الشاسعة المترامية الأطراف عدداً لا بأس به من الزوايا التي انتشرت منذ عهد بعيد هنا وهناك... » (25).

لقد عرف إقليم توات انتشاراً كبيراً للزوايا، وتوسعاً في دائرتها وذلك بفضل رجالها الذين عرفوا بالعلم والتقوى والصلاح وتشير الوثائق إلى أن أول زاوية تم إنشاؤها بالإقليم هي زاوية سليمان بن علي في حوالي (581هـ - 1185م) (26)، ثم تواصل بعدها تأسيس الزوايا في كامل أرجاء الإقليم بفضل رجال حملوا لواء العلم على عاتقهم، هذا الارتفاع الذي قدمته أعلى درجات التصوف وقاعدته مسيرة عمر الإنسان في طلب العلم.

ويرى الشيخ « محمد باي بلعالم » أن تاريخ الزوايا يرجع إلى تاريخ نشأة المنطقة التواتية بمناطقها الثلاث: « قورارة ، توات، تيدكلت » والباحث عن تاريخ نشأة الزوايا بمسجد أول نشأتها في تاريخ توات، فتوات هي الزاوية وقد أطلق عليها الكثير من قرى البلديات، وهذا أكبر دليل على العناية التي كان يوليها سلفنا الصالح لهذه المؤسسة ، فأول زاوية أنشئت بالإقليم وهي «زاوية حينون بأولف» والتي يرجع تاريخ تأسيسها إلى دخول الإسلام للمنطقة وقد أسس مسجدها في القرن الثاني للهجرة (164هـ) (27).

ويرجع سبب انتشار الزوايا منذ نشأتها إلى يومنا هذا إلى عدة أسباب منها:

1. صلاح الزاوية والبقاء للأصلح، لأنها بنيت على دعائم تصب منها مجاري روحية وقيم إنسانية، ولو كانت غير ذلك لذابت ذوبان الباطل.
2. كون الزاوية مست الإنسان كجوهر لا كرقم تشده أطماع الثروة أوجب التملك، كما يحدث الآن في بعض الزوايا التي انحازت عن شعارها الديني والاجتماعي.

3. قوة المعتقد الذي بنيت عليه والرامي إلى الارتقاء بالإنسان إلى مصاف المثالية والزهد واتباع طريقة أسيادنا، بالتحلي بالأوصاف الحميدة والتخلي عن الأمور الدنيوية التي تغير عقل الإنسان من إنسان زاهد إلى إنسان محبّ للدنيا كثعلبة «حمامة المسجد»(28).

2. أنواع الزوايا: يمكن تصنيفها إلى قسمين:

1* التصنيف الوظيفي: من ناحية الوظيفة التي تقدمها هناك ثلاثة أنواع من الزوايا:

أ) زوايا العلم: هي الزوايا الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم واللغة العربية والتصوف الإسلامي، بها مدرسة لتحفيظ القرآن ومسجد مخصص لإيواء للطلبة مثل: زاوية سيدي أحمد الرقاد بزواوية كنتة، وزاوية مولاي هيبه بأولف.

ب) زوايا الإطعام: تأسست هذه الزوايا منذ قرون(29)، فهي زوايا خيرية لإيواء الفقراء والزوار والغلبة من المساكين، فهي مأوى أو دار السبيل.

ت) زوايا العلم والضيافة: فهذه الزوايا تجمع بين العلم والضيافة حيث تقوم بالدورين معاً، فمن هذه الزوايا مثلا زاوية سيدي البكري، وزاوية سيدي بلكبير (حديثه العهد)، حيث يقول فيها السيد الضب عبد الرحمن: « من محاضر العلم إلى زوايا الفقه، قوم على عشق الحبيب تسامروا من منارات كوسام ومهدية أبرقت إلى تيليلان بمهد الأشراف في الأدغاغ أينعت وتسامت ربوع الطهر تزداد تألقاً بابن الكبير سليل الأكابر للنشء معلماً»(30).

2* التصنيف الجغرافي: هناك فرعين:

الفرع الأول: زوايا تم بناؤها على أرض اشترت من طرف المؤسس الأول للزاوية(31) حارس القصر أو القرية مثل: زاوية تيليلان (1058هـ - 1613م) بعد مغادرة الحاج سيدي أحمد بن يوسف قصرا أولاد أونقال في تيمي واتجه صوب تيليلان لبناء زاويته هناك.

الفرع الثاني: هي الزوايا التي تبقى داخل القصر، حيث تكون أملاكها داخله مثل : زاوية زاجلوا « سيدي علي بن حنيني»(32).

1. الهيكل التنظيمي للزاوية ودورها:

تتكون الزاوية من عدة هيئات تشرف عليها وتقوم بعدة خدمات تجاه المؤسسة وهي:

أ) شيخ الزاوية: الشيخ هو الذي يرجع إليه الفضل في إنشاء الزاوية فصلاحيته مطلقة في التصرف في أملاك الزاوية وهو واضع البرامج وله عدة خدمات منها:

❖ التدريس: لأن الهدف الأساسي في إنشاء الزاوية هو نشر العلم والتوعية الدينية.
❖ السهر على سير الزاوية: بالتنظيم وتعيين دور كل فرد، فكل حسب عمله.
❖ النظر في نفقات الزاوية: ويكون كذلك بتعيين ميزانية للزاوية ويكون الاعتماد فيها على الأوقاف والأحباس التابعة لها كالأراضي الصالحة للبناء، ويشرف الطلبة على العمل في الحقول عند نهاية الدراسة.

❖ الإمامة في الصلوات: وتكون بإمامة الناس في الصلوات الخمس وإلقاء الخطب والدروس.
❖ استقبال الضيوف، وإدماج الطلبة الجدد، الذين يأتون في العطلة الصيفية.

(ب) هيئة التدريس: يعينها الشيخ وتكون من الطلبة النجباء والقدامى في الزاوية.
(ت) جماعة القصر والبلد: هم جماعة يتولون استقبال الضيوف في غياب الشيخ.
(ث) هيئة الخدمات: تتكون من أشخاص متطوعين، كانت في القديم عادة في العرق السائد في المنطقة من العبيد أو الخماسة، وأما اليوم فأصبح كل شيء بيد الطلبة.
(ج) لجنة المسجد: هي لجنة خاصة لتسيير أمور المسجد، تقوم بالتنظيف والترميم.
أما مصادر تمويل الزاوية فهي:

الأوقاف والأحباس التابعة لها من المنازل، فقارة، إبل ومواشي، مختلف أنواع العقارات التي هي ملك للزاوية، يتم زرعها واستصلاحها من طرف طلبة الزاوية، هذا إضافة إلى ما يوجد به أهل البر والإحسان.

يوضح لنا الأستاذ قلوب مكي أدوار الزوايا ويجملها كالتالي(33):

1- الدور جهادي وذلك قصد الدفاع عن المنطقة في عهد المغيلي مع اليهود.
2- الدور الديني وذلك بنشر الدين الإسلامي في ربوع إفريقيا « دور الكنتة ».
3- الدور الإصلاحي مثل الزاوية البكرية لها دور إصلاحي لا يستهان به ذكره صاحب « جوهرة المعاني ».

4- الدور الاقتصادي والأمني والتحكيم أثناء النزاعات والخلافات، كالزاوية البلبالية وزاوية سيدي أحمد بن موسى بكرزاز، وزاوية تسفوات الجرارية.

كذلك الزاوية الرقانية لعبت دوراً تاريخياً في الثقافة والتجارة ما بين توات والسودان الغربي وغيرها.

2. الحفاظ على الموروث العلمي والثقافي بتوات (خزائن المخطوطات):

المخطوطات هي إحدى الأوعية الفكرية التي تجمع عصارة فكر أي شعب كان، ونحن في هذه

الأسطر نريد أن نعطي ولو لمحة موجزة عن أهم المخطوطات الموجودة في الإقليم إبان القرنين (17 و18م).

والمخطوطات في إقليم توات كثيرة ومتنوعة إذ تشير بعض الإحصائيات أنه كان بالإقليم في السنوات الأولى من الاستقلال أزيد من مائة خزانة بها حوالي عشرون ألف مخطوط (34) في أغراض مختلفة، فهناك مخطوطات خاصة بالفتوى والنوازل والتقاييد ومخطوطات الرحالة ومخطوطات تاريخية ومخطوطات التراجم والسير، والسبب الذي أثرى المنطقة بهذا الكم الهائل هو وجود المنطقة في مركز الطرق التجارية (35)، وقد لعبت القوافل التجارية والرحلات إلى جهات مختلفة دورا أساسيا في جلب أعداد كثيرة من المخطوطات ابتداء من القرن العاشر الميلادي، حيث تتميز بقيمتها العلمية، ومن هاته المخطوطات نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أ- مخطوطات الفتوى والنوازل:

مختصر النوادر: لعبد الرحمن بن عمر التينلاني وهو كتاب نسخه تلميذه محمد بن مالك القبلاوي، ونوازل الزجلاوي ونوازل الجنتوري إضافة إلى نازلة له محمد بن أب المزمرى « حول تغريم الخماس ».

ب- مخطوطات الرحالة: وهي كثيرة ومتعددة منها:

مخطوط « رحلة في طلب العلم لسجلماسة وفاس » للشيخ عمر بن عبد القادر التينلاني (ت 1152م) ورحلته كذلك إلى الحج، ورحلة الحاج عبد القادر بن أبي بكر هيبية الله الشريف التواتي (36).

هـ- مخطوطات تاريخية: ونقصد بها المخطوطات المتخصصة بتاريخ إقليم توات:

- دورة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام لمحمد بن عبد الكريم التمنيطي.
- نقل الرواة عن من أبدع قصور توات ألفه الشيخ محمد بن عمر بن محمد البوادي.
- القول البسيط في أخبار تمنيط مؤلفه محمد بن الطيب الحاج عبد الرحيم المشهور « ابن بابا حيدة ».
- تراجم علماء الدغامشة قورارة للحاج بن عبد الكبير المطارفي... والقائمة طويلة لا نستطيع حصرها.

ح- التقاييد: هي عبارة عن معلومات وملاحظات كان يعتمد العلماء كتابتها على الهوامش وذلك لكي لا تضيع تتمثل في معلومات حول النسب، أو البيع أو الشراء...، ويذكر منها تقييد حول

قصر ملوكة وتقييد حول نسب المغيلي(37).

ض- التراجم والسير: وهي كثيرة ومتنوعة نذكر منها: مخطوط « فهرسة التينلاني » للشيخ عبد الرحمن بن عمر التينلاني، ومخطوط « الدررة الفاخرة » لمحمد بن عبد القادر بن عمر التينلاني(38).

وتعد خزائن المخطوطات أحد العوامل التي أسهمت في الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية للأمة لاحتوائها على رصيد علمي هام، يظهر من خلاله مراحل تطور المجتمع الصحراوي منذ النشأة، وبالتالي فهي تربط الماضي بالحاضر لتوفرها على مادة مصدريّة يمكن للباحثين التعرف فيها على الجانب الخفي في البحوث الأكاديمية خاصة الجانبين « الاقتصادي والاجتماعي »(39).

فاحتواء الخزائن على ثراء علمي لا يمكن عدّه إلا بتحقيقه، وذلك بالعبارة والمثابرة وإعادة نسخه كي تستفيد الأجيال القادمة.

3. تنشيط حركة الكتابة والتأليف:

أ. أشهر من اشتغل بالكتابة والتأليف بتوات:

إن من أبرز من اهتم بالكتابة والتأليف حول المنطقة هم علماء أجلاء، بحور التصوف من أمثلة ذلك:

○ الشيخ البكري بن عبد الكريم: هو من أكبر فقهاء تمنطيط ولد (1042هـ - 1633)، أخذ النحو عن الشيخ محمد بن علي الوجروتي وأخذ عن الشيخ الحاج القاضي التواتي، وكانت له إجازة في الديار المصرية، تولى مهنة التدريس ومنصب القضاء (1092هـ) (40) سلك بالناس مسلك العدل، عرف بكثرة اجتهاده في سائر العلوم الشرعية.

○ الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم التواتي: يرجع نسبه إلى تيطاف من بلاد توات، تنقل مع أسرته في ربوع المنطقة أخذ عن والده وعن ابن عمه الفقيه عبد العالي، المختصر والألفية ودرس شتى العلوم انتهت إليه الفتوى والتدريس في توات بعد وفاة الشيخ أبي حفص، توفي رحمه الله (- 1160 1747م) (41)، ألف رحمة الله عليه: « شرحه للمختصر، منظومة التصوف، منظومة في قضاء الدين ونظم قصيدة في الفرائض.

○ الشيخ الزجلاني: هو الشيخ ابن العالم الزجلاني ينتسب إلى قصر زاجلو، أخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن التينلاني يرجع إليه علماء توات في شرح المرشد المعين.

○ السيد أبي الأنوار عبد الكريم بن أحمد بن يوسف: ولد سنة 1666م / 1077هـ وتوفي بأولف

بزاوية سيدي مولاي هيبه 1754م / 1168هـ (42).

○ السيد الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي: ولد سنة 1166هـ، مات أبوه وهو صغير بدأ دراسته على يد الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن عمر، تنقل في ربوع توات للتعلم والتفقه، أصبح مفتيا ومدرسا بقرية ملوكة ثم بعد ذلك تولى القضاء، فكان قاضي الجماعة بتوات له عدة تقايد، توفي رحمة الله عليه سنة 1244هـ (43).

إن الناظر في الخزائن يلاحظ أن أغلب المخطوطات هي في الفقه واللغة والتفسير والتاريخ والتراجم والسير إضافة إلى العلوم العقلية كالمنطق والفلك.

ب. العلوم التي اشتغل بها التواتيون:

لقد اهتم التواتيون بالعلوم التي كانت سائدة ومتوفرة في عصرهم، ويعد الفقه المالكي العلم الغالب على سائر المنطقة ومن هنا نستطيع القول أن التواتيين تعاملوا مع هذه العلوم بثلاث أشكال وهي:

الاشتغال بالتدريس، الاهتمام بالتأليف، الاهتمام بالنسخ (المخطوطات).

أما العلوم التي اشتغل بها التواتيون في حياتهم خلال القرن 12م نجد:

(أ)- الفقه: يأتي في صدارة العلوم الفقه المالكي الذي اشتغل به التواتيون، ونجد أن سكان الإقليم متشبعين به، ومنتبئين لمذهب الإمام مالك، وطريقة الجنيد، وقد ذكر ذلك صاحب المرشد المعين:

فِي عِقْدِ الْأَشْعَرِيِّ وَفِيهِ مَالِكٌ وَفِي طَرِيقَةِ الْجُنَيْدِ السَّالِكِ.

لأن الأشعرية عقيدة أهل توات، سائرين على طريقة الجنيد وفقه مالك، وبالتالي فهم يجمعون بين العقيدة والفقه والتصوف المتعلقة بأقسام الدين الثلاثة وهي: الإيمان، الإسلام، الإحسان.

وفي هذا الصدد نذكر أهم المتون الفقهية التي يدرسها أبناء إقليم توات: متن الإمام ابن عاشر، رسالة «أبي زيد القيرواني» مختصر خليل لتدريس الفقه دون غيره، وهذا لحاجة أهل توات للفتوى، ومن أبرز من أبدعوا في هذا المجال سيدي عبد القادر التلاني صاحب الترجمة الذي وضع تقايد على مختصر خليل، كما برز من بينهم سيدي عبد الرحمن بن عمر التلاني (ت 1189) الذي ألف في الفقه، وسطح نجم آخر في هذا العصر وهو سيدي محمد بلعالم الزجلوي (ت 1212) جمع آراءه الفقهية وآراء أشياخه، له كتاب: «نوازل الزجلوي»، وله شرح على خليل

المسمى: « الوجيز » وكذلك شرح على « التلمسانية في علم الفرائض » وله شرح المرشد المعين.
هذا من حيث التأليف، أما من حيث التدريس والمدارسة والمطالعة فالمخطوطات الفقهية
متعددة، حيث عثر بخزائن توات على عدد منها:

- نوازل المغارسة لعبد الرحمن الفاسي.
- شرح الخطاب على مختصر خليل - مخطوط.
- نوازل القباب لعبد القادر الفاسي - مخطوط.
- شرح الزرقاني لعبد الباقي الزرقاني - مخطوط.
- حاشية الدسوقي - مخطوط (44).

وتدرس كذلك في المتون الفقهية كذلك: متن أسهل المسالك، الرحيمة في الميراث، متن العبقري،
متن القرطبي، متن العشماوية، متن الرفعي باب الفرائض، متن الحكام لابن عاصم (45).

أ) أصول الفقه: يقول الأستاذ: الصديق الحاج أحمد أن التواتيين لم يولوا عناية كبيرة بأصول
الفقه نظراً لحاجتهم للفتوى والقضاء إلا أنها وجدت تصانيف في بعض الخزائن، ورغم ذلك
وجد الكثير من المصنفات الخاصة بهذا العلم في الخزائن من بينها: شرح المنهج علي المنجور
(مخطوط)، شرح ميارة من تكميل المنهج (مخ) (46).

ب) اللغة والنحو: نظراً للارتباط الوثيق بعلم الفقه وعلوم القرآن فقد حازت الدراسات اللغوية،
القسط الوافر من اهتمام علماء الحاضرة والذين ألفوا العديد من المصنفات في هذا المجال:

✓ مختصر الدر المصون في إعراب القرآن الكريم، وهو كتاب في إعراب كلمات القرآن الكريم
اختصره أبو زيد عبد الرحمن التواتي من كتاب السمين.

✓ ألف كذلك في اللغة سيدي محمد بن بادي تأليفاً في الصرف عن المقصور والممدود، وألف
من بعده الشيخ سيدي محمد بن بادي تأليفاً سماه «بلوغ المقدم على وقاية المتعلم من
اللحن الثلم».

✓ مؤلفات محمد بن أب المزمرى: ألف الشيخ في اللغة العديد من المؤلفات نذكر منها:

✓ نبيل المواد من لامية المجراد (مخ).

✓ النفحة الزندية على شرح التحفة الوردية (مخ).

✓ روضة النسرين في مسائل التمرين (مخ). (47)

ت) التفسير وعلومه: لقد اهتم شيوخ المنطقة اهتماماً بالغاً بعلم التفسير حيث يعتبر

الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي أول من ألف في تفسير القرآن الكريم سماه «الفتح المبين في شرح القرآن الكريم» (48)، إضافة إلى وجود العديد من المصنفات في خزائن المخطوطات من بينها:

- ❖ تفسير الشاطبي للقرآن الكريم، شرح الجزولي علي بن بر.
 - ❖ تفسير ابن أبي علي ابن الجوزي، تفسير ابن عطية.
 - ❖ تفسير الجواهر الحسان الثعلبي، شرح الغزالي علي بن بر.
- هذا بالإضافة إلى التصوف والتاريخ والسير والتراجم وعلم المنطق والجغرافيا والفلك، وغيرها من العلوم التي كانت تدرّس في المنطقة.

4. الحفاظ على العادات والتقاليد الثقافية والاجتماعية:

سادت منطقة توات عادات وتقاليد إيجابية وسلبية نحن نذكرها كترداد لتاريخ يذكر وخبر يذاع وينشر، مع أن السلبيات ولله الحمد قد اضمحلت وصارت حبرا على ورق بفضل التوجيهات الدينية التي تلقى في المدارس والمساجد والخطب والمناسبات، وقد بقيت بعض العادات متواصلة وجلها لها مساس بالعقيدة وأظنه من وضع اليهود الذين كانوا في المنطقة أو من سكانها الأقدمين، لأن الغالب أسماء عادات غير عربية (49).

أ- العادات السلبية:

إذا حلت عشية البناء فإن العريس يتكلم ويجعل في فمه قطعة من فضة ولا يزال صامتا إلى بعد الغروب حتى يرى النجوم في السماء فيباح له الكلام ويزعمون أن هذه الفعلة تصونه من المكاره، ثم إقامة السهرات الفلكلورية المختلطة بالرجال والنساء ليلة البناء، ويومها يجتمع الناس عند العريس ويجعلون له في يده الحناء وفي عينيه الكحل ويلبسونه ثيابه ثم يشيعونه من ذلك المكان إلى بيته في حفل صاخب ورقص وغناء وبارود وقراءة مدائح نبوية وما إلى ذلك مما تشمئز منه القلوب السليمة وتأباه النفوس المؤمنة المستقيمة، وخلال الحفل ترمى الدراهم للراقصين والكاكاو والسكر والبول (50).

-الولادة:

وإذا ولد أحدهم أول مولود فإنهم يطلقون طلقة بارود تفاقولا بأن يكون شجاعا باسلا يقتحم الحروب ولا يهاب المدافع ثم يجعل مسمار في المكان الذي سقط فيه الصبي من بطن أمه ولا يغسل إلا بعد مضي سنة، وأما شعره فلا يحلق إلا بعد تمام أربعين يوما من ولادته، مع أن السنة حكمت بحلقه يوم سابعه ويبقى في البيت طيلة أربعين يوما هو وأمه ويحافظون عليه من رؤية

الناس، ويعتقدون أنه إذا خرج من البيت قبل الأربعين أو رآه غير أهله يصاب بنكبة (51).

- العادات السيئة والمعتقدات الفاسدة في العقيدة وغيرها:

أما العقيدة فلا تسأل ما ابتدأوا فيها من المنكرات ففي بعض القرى تجدهم يدفنون ربعها في التراب، وفي بعضها يطبخ الربع المقدم كاملاً بدون فصل العظم عن اللحم ثم يأكله الأبناء ويعلقون العظام في سقف البيت أو في نخلة، ومنها إعطاء الرأس والجلد للقبالة أجرة لها.

ومنها ما اعتاده قوم من ترك بعض الشعر في رؤوس أولادهم من المقدم ومن الوسط الرأس ومؤخره، وفي تلك الفعلة قد نهى عنها الرسول الكريم لما فيها من التشبه باليهود.

ومنها ما يزعمه بعض القبائل من أن ولدهم إذا تجاوز فقارة البلدة التي هو فيها إلى بلدة أخرى قبل أن يكمل الحول يقع له ضرر إما فقد عضو وإما مرض وإما موت.

ومن المعتقدات الفاسدة قولهم إذا مات لرجل ولد وصلى عليه فإن أولاده كلهم يموتون في حياته ولا يخلف بعده ولد، وهذا كذب وافتراء لأن الله جعل لكل حي أجلاً.

ومنها ما يقع عند كسوف الشمس وخسوف القمر والغناء واللهو برسم طلب الإفراج عن القمر، بل وقد بينت السنة واجب المؤمنين نحو هذا الحدث العظيم قال صلى الله عليه وسلم: «إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فصلوا» (52).

ومنها من رمي الحشيش وراء المسافر من حين يخرج من بيته إلى أن يتعدى البلد فتملاً بالحشيش ويعتقدون أنه سبب له في حصول الريح والغنيمة والسلامة، ومنها صب الماء الفاضل عن دفن الميت على القبور المجاورة له.

ومنها إذا حفر القبر يترك فيه المعول إلى أن يوضع فيه الميت لئلا تسكنه الجن حسب زعمهم الفاسد.

ومما يقع في الأعياد الدينية من تبرج النساء ومصافحتهن من طرف جهلة الرجال، هذه بعض السلبات والتي كما أسلفنا صارت حبراً على ورق، بفضل التوجهات الدينية ليأتي دور الإيجابيات (53).

ب- العادات الخيرة:

يتزايد النشاط في شهر رمضان فيقبل الناس على المساجد والمدارس لسماع القرآن والمواظ

وللعباداة، وتضاء المساجد بالأنوار، حتى في البيوت تجتمع النساء ليؤدين سنة التراويح خلف محرم من محارمهن أو أحد المراهقين الحافظين لكتاب الله.

ومنها إرسال الثمار والطعام إلى المساجد لإفطار الصائمين من طرف أهل الخير والأوقاف لهذا الغرض، ومنها إحياء ليلة القدر في ليلة السابع والعشرين يهرع الناس إلى المساجد فلا تجد أحد يتخلف، ويُحي الناس الليلة المباركة بقراءة حزب أو حزبين لكل فرد إلى أن يتم القرآن، كما تشهد المساجد كذلك دروساً وألواناً من الذكر، حيث كانوا في القديم يحيون ليلة عيد الفطر بما يحيون به ليلة القدر من تلاوة وصلاة وذكر، ثم المواظبة على تلاوة أحزاب من القرآن العظيم في المسجد بعد السحور إلى وقت الصلاة ومثل ذلك في المدارس العلمية (54).

عادات عيد الفطر:

تبادل الزيارات بين أهل البلد والقرى المجاورة ومواساة الفقراء، زيادة على صدقة عيد الفطر بكسوتهم وإطعامهم بدعوة الأثرياء إخوانهم الفقراء لتناول الطعام (55).

عادات عيد الأضحى:

مساعدة الأثرياء الضعفاء بإهداء اللحوم لهم وإطعامهم، فتبادل الزيارات في الأحياء، ويجتمع جماعة القرية كل يوم في منزل لأحدهم لتناول طعام الغداء والعشاء ابتداء من يوم العيد ويستمر ذلك إلى أن ينتهي عدد المتبادلين الضيافة (56).

عادات موسم عاشوراء:

تبادل الزيارات بين الأقارب، ويسود الفرح والسرور وجوه الفقراء والمساكين حيث تدفع إليهم الزكاة، ومن لم يبلغ الزكاة فإنه يتصدق بما استطاع من دراهم أو خبز أو تمر أو حلوى أو لوز أو نوع من الأنواع المفروحات للصبيان والفقراء والمساكين (57).

عادات المولد النبوي:

قبل حلول شهر المولد النبوي ربيع الأول كل سنة جرت عادة أسلافنا رحمهم الله أنهم يتأهبون لاستقبال الذكرى الغالية العزيزة على كل مسلم، فيقبل الناس على المساجد والمدارس لتلاوة المدائح النبوية ابتداء من النصف في شهر صفر بالنسبة لبعض الجهات، أما في بعضها الآخر يبدأ الاستعداد من طلوع هلال شهر مولد النبي الكريم ويستمر ذلك إلى ليلة الثاني عشر ربيع الأول، وفيها يقع حفل عظيم يتناسب والذكرى التي تهتز لها القلوب وتنشرح لها النفوس وتتجاوب معها الكائنات، فلا تسمع أحداً إلا وهو يصلي على صاحب الذكرى ولا يتخلف عن الحضور أي

أحد، يستمر الحفل بتلاوة قصائد المدح وإلقاء الدروس الدينية في سيرة صاحب الأخلاق المرضية -صلى الله عليه وسلم- إلى الفجر، وتقدم إلى المحتفلين ألوان من الأطعمة والأشربة وفي بعض الجهات يحتفلون بذكرى يوم سابع المولد بمثل احتفال ذكرى المولد(58).

الأعياد الموسمية:

يوم دخول شهر أكتوبر تقع التوسعة على العيال وعلى الفلاحين والعمال، يوم دخول فصل الشتاء يتم تبادل الأطعمة بين الجيران، ويهرع الناس إلى البساتين زرافات ووحداً ليقتطفوا من خضرتها ألواناً فيأكلونها(59).

عادات متنوعة:

من العادات في النكاح ضيافة العريس، والصداق يدفع عروضاً يشترطون به كساء وأساور وخلخال(60) وخلالة وخواتم من فضة، وفي بعض البلدان يقيم العريس في بيت البناء طيلة سبعة أيام وزيادة في إعلان النكاح وإفشائه، ويجتمع عنده رفاقؤه وأقرانه كل يوم يذهبون معه للمسجد فيؤدون جميعاً صلاة العشاء وبعدها يشيعونه إلى منزله وهم يقرؤون البردة فيكرمهم بالطعام أو الشاي(61).

الخاتمة:

تعد البيئة العلمية التي نشأ فيها التواتيون مصدر فخر واعتزاز لهم، من حيث أنها هيأت ممارسة الشعائر الإسلامية التي انعكست على حياة المجتمع فاندمج مع ما تدعو إليه، وما انتشر الزوايا والشيوخ والعلماء بهذا الإقليم في حقب زمنية إلا دليل على ذلك، وهذا ما جعلهم يطلقون مصطلحات على طرق ووسائل تعليمهم وحتى عاداتهم وتقاليدهم لوضع الأشياء بمسمياتها، وما احتوته المخطوطات من توضيحات بينت تعامل القدماء في تيسير الحركة العلمية بمجالاتها المتعددة من فقه ونحو وتصوف ... ما جعله قطباً حضارياً بارزاً.

هوامش البحث:

- 1 - حوتية محمد الصالح، المرجع السابق، توات والأزواد، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، 1/ 245.
- 2 - بن الوليد الوليد، نبذة مختصرة عن تاريخ وعلماء توات، مجموعة نقايد(مخطوط)، بخزانة بن الوليد عبد القادر، أدرار، ص 128.
- 3 - سورة الحجر، الآية 09.
- 4 - سورة فصلت، الآية 41 و42.
- 5 - باخو عبد القادر، واقع التدريس وطرق التعليم القرآني بمنطقة توات، « أدرار » رسالة المسجد،

- 64-67. المرجع السابق، العدد خاص بالجائزة الدولية، 2004، ص 64-67.
- 6 - وهو مصطلح يطلقه التواتيون على المدرسة القرآنية المصغرة.
- 7 - بن الوليد الوليد، المرجع السابق، ص 130.
- 8 - وهو مصطلح يطلقه التواتيون على مرحلة الكتابة على لوح التلميذ بقلم الرصاص ثم يعيد الكتابة عليه بالحبر.
- 9 - وهو مصطلح يطلقه التواتيون على مرحلة الكتابة مما يرويه الشيخ على التلميذ شفويًا.
- 10 - باخو عبد القادر، المرجع السابق، ص 64-67.
- 11 - وهو مصطلح يطلقه التواتيون على مرحلة وصول التلميذ إلى من سورة الناس إلى سورة آل عمران.
- 12 - باي بلعالم محمد، الرحلة العلية إلى المنطقة التواتية لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومه، الجزائر، 2005م، 2/264.
- 13 - وهو مصطلح يطلقه التواتيون على التلميذ الذي حفظ القرآن كاملاً.
- 14 - وهي قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة وخواتيم سورة البقرة، ثم يدعون الله بعد ذلك.
- 15 - باخو عبد القادر، المرجع السابق، ص 69.
- 16 - باي بلعالم محمد، المرجع السابق، 2/266.
- 17 - حوتية محمد الصالح، المرجع السابق، 2/252.
- 18 - وهو عبارة عن طين مميز يُطلى به اللوح بعد غسله.
- 19 - هو قصر يبعد عن أدرار بحوالي 20 كم.
- 20 - حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات، من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ / 17م إلى 20م، مديرية الثقافة لولاية أدرار، الجزائر، 2003م، ص 48.
- 21 - سي يوسف محمد، العامل في مقاومة الاستعمار الفرنسي لبلاد القبائل إلى غاية 1857م، رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، السنة السادسة، العدد الثامن، شعبان 1429هـ، أوت 2008م، ص 30.
- 22 - ينظر: محمد ابن مرزوق، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن أبي الحسن، الشركة الوطنية للإشهار، الجزائر، 1981م، ص 413.
- 23 - هو عبد الله بن مكوك بن سير بن علي الجزولي (ت 451هـ/1059م)، داعية ومجاهد من زعماء الإصلاح الإسلامي، جدد الإسلام بإفريقيا، ووضع الأسس لدولة المرابطين في المغرب الأقصى. من ويكيبيديا الموسوعة الحرة (الانترنت).
- 24 - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، 3/170.

- 25 - مؤيد العقبي صلاح، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، دار البصائر، الجزائر، 2002م، ص 342.
- 26 - جعفري أحمد، دور الزوايا في الحفاظ على التراث المخطوط بإقليم توات بالجزائر، مجلة التراث، العدد 112، الإمارات العربية المتحدة، ديسمبر، 2008، ص 130.
- 27 - باي بلعام محمد، الرحلة العلية، المرجع السابق، 319/2.
- 28 - نيكلو أحمد وآخرون، الزوايا واقع وأفاق الملتقى الوطني للزوايا، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار، دليل ولاية أدرار، ص 10.
- 29 - إدريس بن خويا، البعد الروحي لزواوية الشيخ مولاي سليمان بن علي -رضي الله عنه- «الندوة الرابعة للولي الصالح العلامة الشيخ مولاي سليمان بن علي، المسجد الكبير، قصر أولاد وشن، أدرار، 14 ماي 2009م/19 جمادى الأولى 1430هـ، ص 9.
- 30 - جعفري مبارك، الزوايا والطرق الصوفية ودورها في مقاومة الاستعمار في منطقة توات، مجلة النخلة، ع 4، أدرار مجموعة القروط، جوان 2008، ص 18.
- 31 - نيكلو أحمد وآخرون، المرجع السابق، ص 9.
- 32 - حاج أحمد الصديق، المرجع السابق، ص 126.
- 33 - نيكلو أحمد وآخرون، المرجع السابق، ص 11.
- 34 - جعفري مبارك، جوانب من الحياة الاجتماعية، أعمال الملتقى الوطني الثامن، جامعة أدرار، ص 121.
- 35 - دبوب محمد، علماء ومخطوطات ودورهم في الإسهام الثقافي والعلمي بمنطقة توات-، م، و، ث البحث العلمي ودوره في خدمة التراث، جامعة أدرار، قسم التاريخ، -15 16 أبريل 2008، ص 99.
- 36 - مقلاتي عبد الله، المصادر المخطوطة والمطبوعة وأهميتها في دراسة التاريخ الحضاري للجنوب الجزائري توات أمودجا، بحث نشر في أعمال الملتقى الوطني عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري، منشورات المركز الجامعي بالوادي، ص 44، 47.
- 37 - جعفري مبارك، المرجع السابق، ص 122.
- 38 - المرجع نفسه، ص 123.
- 39 - مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص 51.
- 40 - حوتية محمد الصالح، المرجع السابق، 275/2. ينظر دبوب محمد، علماء و مخطوطات، ص 96.
- 41 - المرجع نفسه، ص 280.
- 42 - محمد باي بلعام، المرجع السابق، 128/1.
- 43 - مولاي التهامي غيتاوي سلسلة النواة في أبرز الشخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، الجزائر،

منشورات 2005، panep، ص 86.

44 - حاج أحمد الصديق، المرجع السابق، ص 142-143.

45 - بن الوليد الوليد، مخطوط، ص 130.

46 - حاج أحمد الصديق، المرجع نفسه، ص 144.

47 - جعفري أحمد أبا الصافي، رجال في الذاكرة محمد ابن أب المزمري 1160هـ/1747م حياته و آثاره، دار الكتاب العربي، ط 1، الجزائر، 2004م المرجع السابق، المخطوط موجود بخزانة الشيخ باي بلعالم حقه: الأستاذ

48 - حاج أحمد الصديق، المرجع السابق، ص 145.

49- محمد باي بلعالم، المرجع السابق، 285/2.

50- محمد باي بلعالم، المرجع نفسه، 285/2.

51 - المرجع نفسه، 285/2-286.

52 - البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط 1، 2002م، ص 253.

53 - المرجع السابق، 287/2-288.

54 - المرجع نفسه، 288 /2.

55 - المرجع نفسه، 289/2.

56 - المرجع نفسه.

57- المرجع السابق.

58 - المرجع نفسه، 289 /2-290.

59 - المرجع نفسه.

60 - وهو ما تضعه النساء من حلي.

61- المرجع السابق، 292/2.

république algérienne démocratique et populaire
Université de Tlemcen



EL-MOATAMED

en Terminologie



Arabo ilm

Revue du Laboratoire
**L'Arabisation du terme en
sciences Humaines et sociales**
N°: 13-14 / Année: Mars 2017

ISBN: 1542 - 2004

ISSN: 2507 - 7678



دار النشر للإنتاج والنشر والتوزيع

قطعة بودغر عين النجار تلمسان-الجزائر
هاتف/ فاكس: 03 43 38 40 60 (0) 213 +
E-MAIL: KKOUNOUZ@YAHOO.FR

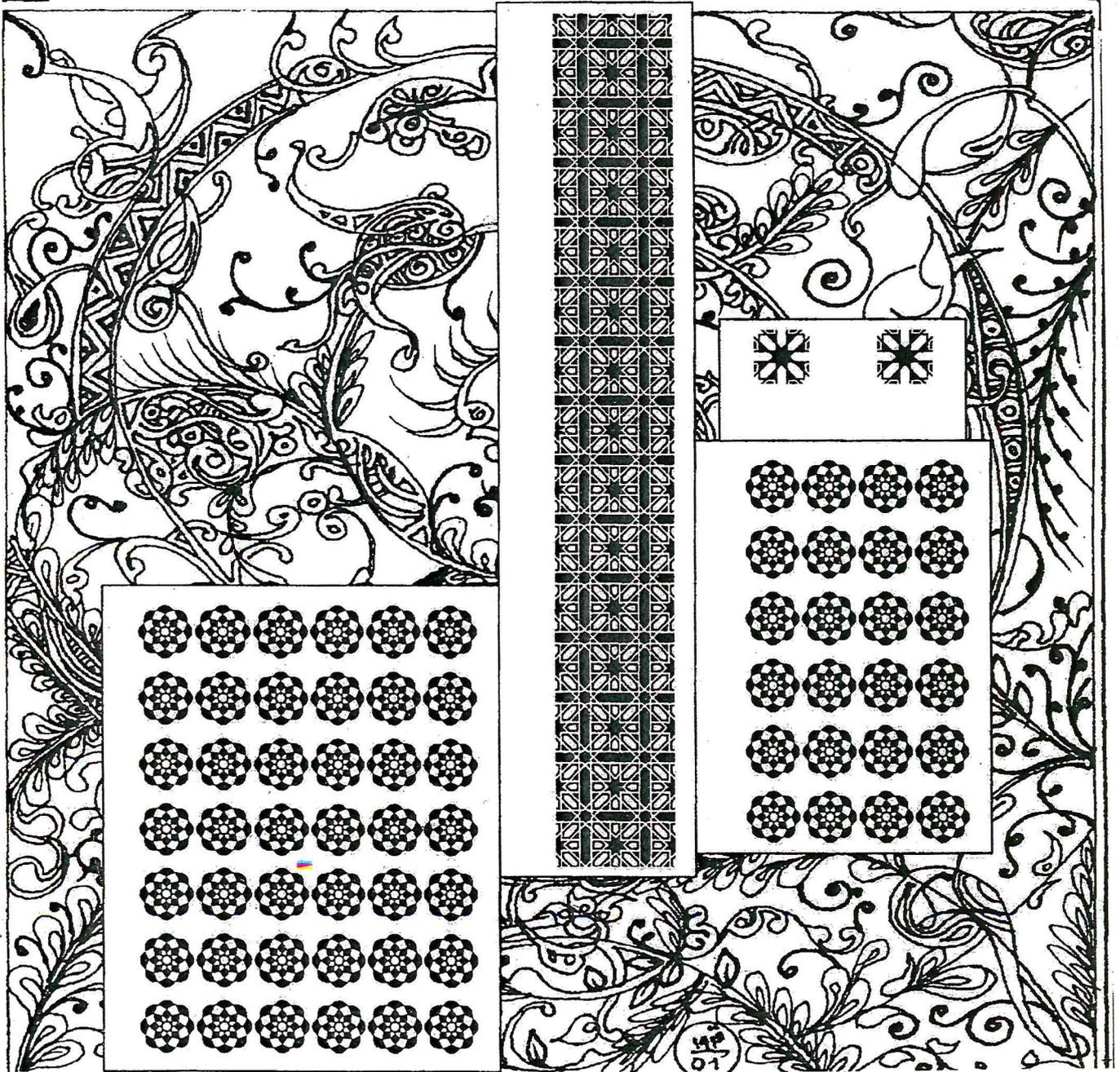
WWW.KKONOUZ.COM

العدد

34
2016

رواق

مجلة محكمة يصدرها أساتذة من قسم اللغة العربية. جامعة وهران 1. أحمد بن بله



جامعة تلمسان	ص229	البعد العلمي والعملية للطب النبوي	بلود عثمان
جامعة تيارت	ص243	المتلقي بين جدلية الفصحى والعامية في المسرح الجزائري	العياشي بختي
جامعة المسيلة	ص258	التكرار دلالاته وجماليته في ديوان قليلا وتنهمر النهايات للشاعر لمحمود مرزوق	عليوي عمر
أحمد دراية أدرار	ص273	الدور الحضاري للجامعات الإسلامية العتيقة - القرويين والزيتونة والأزهر	قوراري سليمان
جامعة بلعباس.	ص289	مَنَاهِجُ الشَّرَاحِ فِي شَرْحِ دِلَالَاتِ الأَلْفَاظِ.	طارق تركي
جامعة الشلف	ص300	الانسجام في النص التعليمي وأبعاده	عليوة أمين
وهران1 أحمد بن بله	ص321	معايير المقاربة النصية وضوابطها في المدرسة الجزائرية.	حمريط جلول سليم
وهران1 أحمد بن بله	ص330	تعليمية القواعد النحوية ودورها في صناعة المهارة الباحث.	بزاوية مختار
جامعة تلمسان	ص339	الشيخ المغيلي التلمساني العالم المتصوف	شبايبي ياسين
وهران2 أحمد بن بله	ص 355	المدينة الجزائرية أية هوية في ظل العولمة؟	صابر سعيد
جامعة بلعباس.	ص362	ظاهرة الترادف في الدرس الأصولي في ضوء مقاربة القراني	شايدة سفيان
جامعة تلمسان	ص374	الدور الاجتماعي للطرق الصوفية بإقليم توات الباحث	حرمه عبد الله
عبد الحفيظ	ص387	استحضار الثورة في الأدب الجزائري وثائق أم جمالية	مولاي كاملة

الدور الاجتماعي للطرق الصوفية بإقليم توات

الباحث **حرمه عبدالله**

دراسات عليا جامعة تلمسان.

مقدمة:

لقد استطاعت الطرق الصوفية المنتشرة بالإقليم بما فيها الشاذلية بفروعها والقادرية والتجانية وفروعها بتحلية المجتمع من كل الشوائب وكثرة البدع والخرافات التي انتشرت بالمنطقة تتمثل في دور الزوايا الصوفية لها وما قامت به من دور اجتماعي، يصعب حصره إلا أن ذلك لا يمنعنا من الإشارة إلى بعض الخدمات التي قامت بها.

1. الأدوار الاجتماعية ذات البعد الإنساني التكافلي:

(أ)- إطعام الفقراء وإكرام الضيوف: ويتمثل دور الصوفية هنا بالتضامن بتوفير الإيواء لأبناء السبيل وإطعام الطعام لاسيما في أوقات المجاعات وشهر الصوم، شهر التوبة والغفران.⁽¹⁾ ويؤكد ذلك الشيخ محمد المدني المرتضى بقوله: "إن الطريقة الصوفية مدرسة اجتماعية، تعمل على توظيف الشهرة في تفريج كرب المسلمين والتخفيف من آلامهم وذلك بتأليف القلوب على الإسلام بالإطعام والإكرام".⁽²⁾ كما عملت على ملئ الفراغ الأيديولوجي وبالتالي وقفت أمام الاندثار الحضاري للمجتمع، فلقد كانت زواياها مبعث الدولة وتأمين للمخلوع والمهزوم والمظلوم وحرر العبيد وفك الأسرى وإكرام الجائع وإجابة السائل.⁽³⁾ ففي الزاوية كان ما يعرف (بالثوبية) أي الدالة على استضافة الضيف والتباري في الظفر به، وهذه العادة هي التي تميز جل أقاليم توات مما حول المنطقة إلى زاوية كبيرة تحقق مقاصد الحديث النبوي الشريف "إذا ما مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به وولد صالح يدعو له وصدقة جارية" رواه مسلم. ومن ثم جاءت ضرورة الإطعام كصدقة جارية، ومن هنا اتخذ أصحاب الطرق الصوفية وأعلام الفقهاء والعارفين بأصول الدين، شطر هذا الحديث كقاعدة لهم، فيقوم الزوايا لهذا الغرض وأغراض أخرى.

نذكر على سبيل المثال زاوية مولاي سليمان بن علي، كان له دور الإطعام والعلم في آن واحد، والزاوية البكرية - زاوية مولاي التهامي، زاوية الشيخ الكنتي وغيرها.⁽⁴⁾ ونلاحظ أن أغلب الزوايا في توات لم تُؤسس على طريقة صوفية معينة، بل كانت مزيجاً من الطرق، وخاصة فيما يخص أولاد الطرق وأحزابها، فترى تجمعا للطرق في زاوية واحدة.

(ب)- تنظيم الختان الجماعي:

تتولى الزوايا الصوفية القيام بتنظيم ختان جماعي لفائدة أبناء المحتاجين وتغتتم في تلك المناسبات السعيدة والظروف المناخية المناسبة، وتحضر لذلك وليمة يحضرها الأطفال وأولياؤهم.

من خلال ممارسة الشعائر الدينية فإن الثقافة الشعبية فيها الأسانيد الدينية والقيم الأخلاقية الممتدة من الشريعة الإسلامية وممزوجة بالعادات والتقاليد الشعبية، لا يوجد هناك انفصال بين الدين والحياة اليومية، فلا تزال تقام الشعائر والتقاليد والممارسات الدينية في الزواج والميلاد والختان الجماعي وغيرها من الأشغال العامة التي تزيد من وحدة الجماعة القروية.

(ج)- مساعدة الفقراء والمساكين: تقوم بها الزوايا الصوفية ثجاة الفقراء ومساكين القرى، ولا يكون ذلك إلا بإرادة الخير للغير والذي لا يتم إيمان المؤمن إلا به كما أخبرنا بذلك الرسول عليه الصلاة والسلام في حديثه "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" رواه البخاري ومسلم، وقد طرح هذا الطرح عالم الاجتماع النوري إبراهيم محمود في كتابه "بحث في التصوف" حين قال: "الصوفية حياة سلوك⁽⁵⁾ اجتماعي وموقف معرفي وممارسة إنسانية، القائمة على أساس التكافل الاجتماعي في حاضرة توات وذلك بمساعدة الفقراء والمعوزين حيث تفتح أبوابها للفقراء مثل: زاوية أولاد الحاج مامون وزاوية سيدي البكري⁽⁶⁾، بوفادي ونومناس تقوم الزاوية البكرية بمساعدة فقراء ومساكين القصور السابقة الذكر، ويلعب شيخ الزاوية هذا الدور المهم بنفسه.

(د)- تنظيم الأعراس الجماعية:

لقد لعبت الصوفية دور الوساطة بين الأزواج وذلك بعقد قرانهما وتسهيل أمور العرس، وحتى مساعدة الفقراء في إكمال نصف الدين، وعند الحديث عن الزواج في إقليم توات، تبدأ طقوسه في اليوم المقرر فيه الدخول من صلاة العصر حتى بعد صلاة المغرب فتقام وجبة عشاء عظيمة على شرف العريس يحضرها القوم من كل حذب وصوب⁽⁷⁾، فبركئهم في توات من كل شيء، واستحباب وليمة العرس عند أهل توات استناداً إلى حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أنه قال لعبد الرحمن رضي الله عنه: "أولم ولو بشاة"⁸ رواه مسلم، وقال كذلك: "الوليمة في أول يوم حق والثاني معروف، وبعد ذلك دناءة"⁹ رواه مسلم والإمام أحمد وأبو داود⁽¹⁰⁾، وهذا ما يؤكد نشأة العلاقات الأسرية في المجتمعات الإسلامية، فكلها مبنية على أسس الدين لا تخرج عنه.

بعد إنهاء الوليمة بعقد القران، وبختم بالفاتحة التي يكون الكلام فيها لآل البيت الشرفاء لأن أهل الحاضرة يعشقونهم، فلا كلمة فوق كلمتهم، ويأتي بعدها العريس يلبس من طرف السادة الصوفية وثقراً بردة البوصيري ويباركه الأهل، ويقول الأستاذ عبد الرحمن الضب في هذا الشأن في بعض المقطعات حول المنطقة "ببردة المصطفى رَاهم لبسوك وعلى حب النبي لحبيبة العمرزقوك وما قدم إلا بالصلاة على النبي الحبيب عشقوا - بالعاشقين في سيدنا محمد صلوا عليه -"⁽¹¹⁾.

وهذا الدور تشترك فيها الزوايا الصوفية كلها في الإقليم التواتي ، ولقد سهلت الطرق في مصاهرة أهل توات بالأفارقة منذ دخولهم الإسلام، وهو ما أدى إلى تقارب النظم الاجتماعية، نظراً لوحدة العقيدة، وكان أثره واضحاً على الحركة التجارية بفضل دخول قيم جديدة إلى عالم الاقتصاد.⁽¹²⁾

2. الأدوار الاجتماعية ذات البعد الديني:

(أ)- إصلاح ذات البين: هو الإصلاح بين الناس وخاصة القبائل والقصور المتنازع، والتي كان ينتهي بها الأمر إلى القتال وإفساد الممتلكات وقطع المياه عن الخصم، فهنا نشير إلى دور الطريقة الشيخية⁽¹³⁾، ودور مؤسسها عبد القادر بن محمد بن سلمان الذي سعى في الإصلاح، بانتقاله للجهات والقصور المختلفة لردّ ما غُصِبَ من أموال ومنقولات، وكسّر الحواجز القبلية وتلبيتها⁽¹⁴⁾، والحضّ على صيانة أموال اليتامى، ونصح المتحدّي ورد الديون والرهن التي لم يتمكن مستحقيها من استيفائها لوقوعها في أيدي الانتهازيين.

ولقد كان شعار الطرق الصوفية هو إصلاح ذات البين⁽¹⁵⁾، وجمع القبائل المتناثرة على كلمة سواء ونشر المواساة في المآسي والأتراح والتآخي بأخوة الإسلام. ومن الأولياء نجد الولي الصالح الشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي الذي كان على يده خلق كثير وتوحّدت القبائل المتناحرة⁽¹⁶⁾ واستتبّ الأمن بتوات إلى زمن طويل من بعده. ويوضح كذلك هذا الدور صلاح مؤيد العقبى: لقد اشتهرت الزوايا بخدماتها الاجتماعية إضافة إلى رسالتها الثقافية كإطعام الطعام للفقراء والمساكين وعابري السبيل ونصرة المظلوم والفصل في النزاعات بين القبائل والأعراش مثل: زاوية سيدي أحمد بن موسى وزاوية الشيخ سيدي أحمد الرقاني (1022هـ)، وزاوية الشيخ المغيلي.⁽¹⁷⁾

قال الأستاذ: محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني "إن رسالة الزوايا كما يتضح لكل دارس نزيه رسالة شاملة شمولية هذا الدين ... فلم يقتصر دورها على التربية والتعليم بل كانت وظائفها أشمل وأعمالها أعمّ وأوسع فهي معقل تربية وجهاد ومعهد علم وعمل ... ومجلس إصلاح وقضاء ومكان مشورة، وملتقى تعاون وتضامن وتكافل"⁽¹⁸⁾.

فمن هذا نستشف أعمال ودور الصوفية في الصلح والتحكيم خاصة في الأيام المضطربة فكل الناس يلتجئون للمتصوفة ليحكموا بينهم في النزاعات، ومحلّ الاحتكام في المنطقة هو للأشراف * وحدهم بإمكانهم التوفيق بين السكان الذين يتنازعون على الأرض أو غيرها من المشاكل الدنيوية.

لقد تتبّع السادة الصوفية التواتيون في هذا الأمر تقوى الله وحسن الخلق، وتطبيق كل حكم شرعي يساهم في غذاء التقوى، امتثالاً للحديث الذي رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله

إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ... كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (19).

قامت الزاوية البكرية دورها في عمليات الصلح ووقوع النزاعات فقد كان يتم فك الخصومات من الزاوية، وحسب الروايات التاريخية فإن ظاهرة التقاء الألوية** في الحفرة الموجودة بزاوية الحاج بلقاسم بتميمون في اليوم السابع من المولد النبوي الشريف دليل على ذلك⁽²⁰⁾، مما يؤكد سعي السادة الصوفية في مصالح الناس.

(ب)- تنمية روح الاتحاد والمحبة وبتّ معاني التكافل التعاون:
تمسك السادة الصوفية الشديد بمبدأ " يد الله مع الجماعة " وتلقينه للمريدين، والالتزام التام بالاجتماع في الله مع شيخ التربية والمريدين أو المرادين في الطريقة على الذكر والمذاكرة والحضرة التي يتحقق بها العلم النافع للقلب الخاشع المقبل على الله، وهو ما يذكرنا به الشيوخ والعلماء في كل جمعة وفي كل تجمع إسلامي في معنى حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم:- " إن يد الله مع الجماعة ومن شذّ شذّ في النار" ²¹ رواه الترمذي، وهو ما يترجم عن الروح الجماعية والأبعاد الاجتماعية للتربية الصوفية الإسلامية⁽²²⁾، وتتمثل روح الجماعة خاصة في الإقليم التواتي الإعانة في بناء المساجد والكتابيات القرآنية⁽²³⁾، وتعبيد الطرقات، وتنظيف القصور والقيام بالحملات التطوعية عن طريق " النوية " التي يتعاون فيها جميع الناس في خدمة القفارات وإصلاح السواقي⁽²⁴⁾ وتجديد مصدات الرياح والزوابع الرملية.
وكما ذكرنا ما فتئ الشيخ يكررها في كل التجمعات العلمية والاجتماعية، ويعمل على محو الفوارق الاجتماعية بين الناس، ولا يتم ذلك إلا بالمحبة والمودة بين الفقراء والأغنياء⁽²⁵⁾ والشعور بأن الذئب إنما يأكل من الشاة القاصية.

لقد كان التواتيون متشبثين بسيرة المصطفى- صلى الله عليه وسلم- فكان العمل لا يتم إلا بالصلاة على الحبيب- صلى الله عليه وسلم-، فكانت لا تحضر حضرة ولا يرتبط نقاد، وما سالت قطرة أو شسوى قسرية⁽²⁶⁾ إلا بالصلاة على الحبيب -صلى الله عليه وسلم- وكذا تدكار (تأبير) النخيل وأيام الحصاد، وكان كل هذا نتيجة التربية الذاتية، ذات الأثر السلوكي بتزكية النفس وأخذها نحو الفضيلة وما يرضى الله تعالى، وإبعادها عن كل ما يسيئها أو يسيء إليها، أو يجزّعها، قال الله تعالى: (قد أفلح من زكّاه (9) وقد خاب من دسّاه (10))²⁷ والجمع بين الأمرين عند سادة الصوفية، يقول الله تعالى: (قد أفلح

من تزكّى (14) وذكر اسم ربه فصلّى (15))²⁸، وهو ما يؤكد دور الصوفية في المنطقة وهو ديمومة الطريقة من صدر الشريعة ونبع الحقيقة محمد -صلى الله عليه وسلم- وبواسطة الشيوخ عارف عن عارف، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلقد كانت الزاوية الرقانية (أسسها مولاي عبد الله الرقاني 1148هـ) برقان، والزاوية البكرية، والزاوية الكنتية وغيرها من الزوايا الصوفية، كان لها دور تنمية روح المحبة، وبتّ روح التعاون ودورها الاجتماعي في تحكيم المجتمع، في زمام الأمور كلها بيدهم.

وللوصول إلى درجة المحبة عند السادة الصوفية إلا بالتواضع، فقد سئل الحسن البصري عنه فقال (التواضع هو أن تخرج من بيتك ولا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك حق)، وكل ذلك بتحصيل درجة الإحسان في العبادات وذلك في قول صاحب المرشد المعين (ابن عاشر)²⁹:

وَأَمَّا الْإِحْسَانُ فَقَالَ مَنْ دَارَاهُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ
إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ تَهُ يَرَاكَ وَالَّذِينَ ذِي الثَّلَاثِ خُذْ أَقْوَى عِرَاكَ

(ج) - تنظيم ركب الحجيج:

تقوم بعض الزوايا الصوفية، لاسيما الواقعة على الطريق تنظيم ركب الحجيج ذهاباً وإياباً، مثل زاوية الشيخ باي بلعالم، زاوية كُنْتَة (الْكُنْتِي)، وزاوية الحاج بلقاسم (تأسست في القرن 10هـ)⁽³⁰⁾، وذلك من أجل توديع الحجاج والاستقبال الجماعي، وتتكفل بكب ما يترتب عن ذلك من أنفاق وإيواء الحجاج ومرافقتهم، وهو ما يؤكد روح التلاحم الديني الطاغية على سمات الصوفية بالمنطقة.

3 - الزيارات:

تمهيد:

الزيارة ظاهرة اجتماعية اختص بها إقليم توات الذي تُقام به أكثر من ثلاثمائة زيارة سنوياً على قبور وأضرحة بعض العلماء والصالحين التي لا تكاد تخلو منها قصراً من قصور المنطقة، فتحيي لها المواسم سنوياً قصد إحياء ذكريات أولئك العلماء والصالحين، والتتويه بأعمالهم ومقاماتهم، فما من قصر إلا وله زيارة خاصة به مرتبطة بولي أو عالم، وهي عبارة عن حفل تَجْمَعِي لسكان القصر مع أبناء عموماتهم من القصور المجاورة أو حسب النفوذ الروحي لذلك الولي أو العالم. فلكل زيارة أنصارها ومحبوها الذين ينتظرونها ويحيونها وهي وسيلة يتجلى فيها الحس الجماعي والتضامن الاجتماعي⁽³¹⁾، وهي أيضاً عبارة عن مهرجان كبير وتظاهرة اقتصادية وثقافية واجتماعية ودينية، يُقدّم إليها الثُجَار والزُّوَار من كل البقاع للفرجة وربما للتسوق ولكن غالباً ما يكون بقصد التبرك بذلك الولي.

وأيام الزيارة أياما عادية لا تُمنع فيها أشياء ولا تُباح فيها أخرى، وتُشكّل فرصة للقاء والتعارف وصلة الأرحام والتضامن، إضافة إلى زخمها الثقافي والاقتصادي المتنوع، حيث تتخلل مواسم الزيارة أهازيجاً فولكلورية أهمها: البارود والحضرة (مدح النبي - صلى الله عليه وسلم-)، إضافة إلى ما يصحبه من كسوة لضريح الولي الصالح وتبْيِضُ المَقَامِ.

تبدأ مراسيم الزيارة بنشاط يسمى (السَّلَكَة)، وهي أن يتجمع حفاظ القرآن الكريم - من البلدة أو من الذين أتوا لحضور الزيارة- لقراءة كتاب الله كاملاً من بعد صلاة عصر يوم الأول من الزيارة إلى شروق يوم الثالث منها، وبعد الانتهاء من السلكة تُقام ختمة كبيرة بالفائحة وأدعية بالصلاح للبلاد والعباد، وكذا الدعاء لأهل الزيارة والضيوف القادمين لها، ومنه مباشرة يذهب الجمع من المسجد نحو ضريح الولي الصالح وهم

يقروون في الطريق إليه قصيدة البردة، وبعد الوصول إلى الروضة يقوم شيخ البلاد بقراءة الفاتحة والدعاء. (32)

والفرق الفولكلورية حاضرة بنشاطاتها الممتعة وبآلاتها المعروفة (أَقَال، الدَّنُون، الطَّار، التَّبَّال، البندقية...). وأبرز هذه الفرق فرقة البارود وهي عبارة عن رقص جماعي لمجموعة من الرجال يتراأسهم قائد الفرقة، حاملين بنادق لإطلاق البارود، ويكون الرقص بالدوران والانضمام والتباعد، بقرع الطبول على إيقاع معين خاص بالبارود، وعند إشارة مدروسة من قائد الفرقة تُفرغ البنادق في وقت واحد يسمى التفريغ. وأغلب ما يقال أثناء الرقص مديح وأحكام تُرددها الفرقة، مثلاً يبدأ البارود بمديح فيه: (بسم الله وبالله الصالحين). ويختم بقولهم: (سيدنا محمد عليه السلام). كل هذه الأنشطة وغيرها تستمر حتى وقت المغرب فيتجمع الناس في مكان قريب وواسع لتأدية الصلاة، وتلقى بعدها دروس أغلبها مواضيع الساعة حتى وقت العشاء، وبعد الصلاة يتناول الجميع وجبة العشاء ممثلاً في طبق الكسكسي، ويقدم الشاي وتقرأ الفاتحة ويُختم الدعاء. وتُختم الزيارة بنشاط مدائحي موسيقي يسمى (الطَّبل) ومن أساسياته المزمَّار، وتكون في آخر كل أغنية (مَرْجُوعَة) تزيد فيها قوة الطبل. فيرقص الناس ويَزْهون وهم يُودِّعون الزيارة. (33)

ويبالغ أحياناً في رقص البارود، فتظهر فيه بعض البدع، والمحظورات الشرعية التي نبه مشايخ وعلماء المنطقة عليها، على الرغم مما يظهر فيها من الحس الجماعي، والتضامن الاجتماعي. ونتيجة لذلك تباينت الآراء واختلفت بين مؤيد لمثل هذه الاحتفالات ومعارض لها، واستدل كل فريق بحجج وبراهين، فنجد مثلاً أن المؤيدين للاحتفالات يرون أن هذا اليوم الغاية والقصد منه هو تذكُّر وتذكير بفضائل ومكارم والأعمال الصالحة لأولياء الله الصالحين.

أما المعارضين له يرون أن الأمور تُعدت وخرجت عن النية والمقصود، نتيجة إلى ما يرافق هذه الاحتفالات من الفتن الناتجة عن الاختلاط وغيرها، واستدلوا بهبوب الريح وكثرة الحوادث في مثل هذه الأيام نتيجة لغضب الله عز وجل (34). بل أن بعض أصحاب الزوايا يرون أن كل المظاهر الفلكلورية، ليست مما سنه شيوخ الزوايا، وإنما ظاهرة سنَّها الفَيَّاد خلال الحقبة الاستعمارية، ترسيخاً لسِمات الإسلام الجزائري كما أراده المحتل الغاصب.

أ. أشهر الزيارات بإقليم توات يرتبط موعد الزيارة بالتَّقويم القمري أو الشمسي وغالباً ما ترتبط بموسم جني التمور أو موسم الحصاد شهر ماي (أبريل الفلاحي)، وهو شهر جني أغلب المحاصيل الزراعية التي تنمو في المنطقة، وتخزينها.

1. إحصاء لأهم زيارات موسم الحصاد بأدرار

الرقم	الزيارة وصاحبها	مكانها	تاريخ إقامتها
1.	سيدي عبد الرحمن بن أحمد	وايئة	24 أبريل

28 أبريل	أولاد أحمد	سيدي محمد بلحاج	.2
أول جمعة من أبريل الفلاحي	بني تامر	الحاج محمد	.3
18 أبريل الفلاحي	بوزان	18 أبريل	.4
08 صفر	بوزان	مولاي عبد الرحمن البوزاني	.5
18 أبريل الفلاحي	تينيلان	تينيلان	.6
30 أبريل	مراثن	محمد سالم	.7
10 أبريل الفلاحي	تيطاف	مولاي التهامي الوزاني	.8
20 أبريل	مكيد	سيدي بن مشيش	.9
25 أبريل	المنصور بودة	مولاي عبد الواحد	.10
29 ماي	آدغا	بوعلالة	.11
20 ماي	المهدية	سيدي عومر	.12
28 ماي	أولاد أونقال	الشيخ الونقالي	.13
17 ماي	أولاد أوشن	مولاي سليمان	.14
17 ماي	أولاد علي	مولاي محمد الشريف	.15
22 ماي	بني تامر	بن عزيز	.16
20 ماي	المنصورية	سيدي لحسن	.17
25 ماي	زاوية البكري	سيدي محمد بن البكري	.18
02 ماي	بوفادي	سيدي عومر	.19
03 ماي	نومّاس	سيدي يوسف	.20
01 ماي	ز.سيدي. عبد القادر	سيدي عبد القادر	.21
18 ماي	لحمر	الوزاني مولاي الحسان	.22

23.	سيدي أحمد بن يوسف الملياني	تماسخ	16 ماي
24.	بانديلو	تيلولين	01 ماي
25.	مولاي عبد المالك الرقاني	رقان	01 ماي
26.	مولاي علي بن بوبكر	الهبة	07 ماي
27.	سيدي بن ابراهيم	لعماريين	19 ماي
28.	سيدي المخفي	اغرم علي	28 ماي
29.	الجيلاني	تينيلان	01 ماي
30.	سيدي أحمد	اغبود	الثلاثاء الثاني من ماي
31.	مولاي الشريف	تنقلين	الثلاثاء الأول من ماي
32.	بن حمادي	المطرفة	27 ماي
33.	سيدي أحمد بن ابراهيم	الساهلة	09 ماي
34.	سيدي الحاج بن أحمد	أولاد راشد	22 ماي
35.	مولاي عبد الله	تيمقطن	ماي
36.	أبي الأنوار	تيمقطن	ماي
37.	سيدي اعلي بن باحمو	الساهلة	27 ماي
38.	سيدي أحمد الدرويش	أولاد علي	26 ماي
39.	بابا عبد الرحمن ولجاج	تيط	ماي
40.	مولاي الحسان ولد الرقاني	أولف	01 ماي

ب. زيارة المولد النبوي الشريف بزواوية سيدي بلقاسم بتيميمون يحتفل السكان بالمولد مع رؤية هلال ربيع الأول، وذلك بإطلاق البارود والزغاريد ابتهاجا بالشهر الذي ولد فيه المصطفى - صلى الله عليه وسلم-، وتردد المدائح كقصيدة البردة والهمزية وغيرهما، في ليلة المولد النبوي يسهر الجميع في المساجد يرددون المدائح حتى طلوع الفجر، وعند الضحى يتبادل الأقارب والأصدقاء الزيارات⁽³⁵⁾، يتحمل تكاليف هذه الزيارة زاوية سيدي بلقاسم وكل سكان إقليم

تَجُورارين من تَبْكَوزة إلى تيميمون، فتصبح بيوت السكان مفتوحة لكل الضيوف الوافدين تؤمن لهم الطعام...⁽³⁶⁾

ت. تظاهرة (السبوع) بتيميمون:

مؤسس هذه الزيارة هو سيدي بلقاسم بلحوسين، ويمثل السبوع (مرور أسبوع من ذكرى ميلاده -صلى الله عليه وسلم-)، بالنسبة لسكان تيميمون والمناطق المجاورة لها، تظاهرة ثقافية واقتصادية تجذرت في التقاليد المحلية على مرّ السنين⁽³⁷⁾، ويمثل السبوع عيد ميلاد مزدوج في الواقع، فهو مولد نبي الإسلام، وكذلك مولد فعل مؤسس قام به الولي الصالح سيدي الحاج بلقاسم، الذي استعاد السلام والصلح بين فصيلتين متنافستين، كانت انشقاقتهما قد بثت الفوضى والفرقة في كل أنحاء القورارة⁽³⁸⁾. فمنطقة تيميمون شهدت حروباً بين القبائل فسعى الشيخ سيد الحاج بلقاسم إلى إقامة صلح بينها لوضع حد لتلك الحروب وساعده في ذلك تلميذه سيدي أحمد بن يوسف الذي عقد مؤتمر صلح بين كبراء منطقة قورارة وشيوخها عنده في زاويته بماسين وتصالح الشيوخ في ساحة زاوية سيد الحاج بلقاسم التي تعرف بالحفرة في يوم 18 ربيع الأول مساء.

وبعد أن توفى الشيوخ جميعاً أصبح الآن يُمثّل لكل شيخ بعلم، حيث تلتقي الأعلام في ماسين ليلة 18 ربيع الأول، ومساء ذلك اليوم تلتقي في الحفرة بزواوية سيد الحاج بلقاسم أعلام الشيوخ، وكاعتراف بفضل المرابطين في إشاعة الصلح والسلم في المنطقة يقوم أبناء توات بزيارة قبور هؤلاء الأولياء والزوايا التي تحمل أسماءهم، مرة كل سنة بمناسبة المولد النبوي الشريف⁽³⁹⁾، ففي اليوم السابع يحتفل سكان تنجورارين بزيارة سيدي بلقاسم أو زيارة أسبوع المصطفى، وفيه تصل الأولوية القادمة من تيميمون مصحوبة بطلقات البارود ولكل لواء تسابيح خاصة به، فالحاملون لألوية تيميمون يرددون كلمة لا اله إلا الله، والحاملون ألوية سيدي بلقاسم ينشدون: "بسم الله بسم الله"، في حين حاملي ألوية سيدي الحاج أبي محمد يرددون: "يا رسول الله يا رسول الله"⁽⁴⁰⁾، يتم لقاء الأولوية في (الحفرة) وهي حفرة العلمة أو العلماء، نسبة للأولياء الصالحين الذين حضروا أول لقاء دعاهم إليه الشيخ سيدي الحاج بلقاسم، ويقصد أيضاً من ورائه صرف المصائب والكوارث عن أهل المنطقة ككل. فيتوافد حاملو الأولوية الاثني عشر عدد تلاميذ الشيخ المتوزعين في مختلف مناطق تيميمون لنشر العلم متبوعين بأهل المنطقة التي يتواجدون فيها، حيث تمشي بعض الوفود أكثر من عشرة كيلومترات لبلوغ "الحفرة" وهي رقعة جغرافية واقعة بين أربعة جبال ومجموعة كثبان رملية بمحاذاة زاوية الحاج بلقاسم مكان الملتقى الذي يجمع تلاميذ الشيخ وتلتحم فيه الأعلام قبيل صلاة المغرب، إلا أن السؤال الذي لم نجد له جواباً ورفض تلاميذ الشيخ التعليق عليه إلا بـ"سر وحكمة لا يعلمها إلا الله" هو تلاحم وتصادم الأعلام بمجرد وصول الوفود إلى الحفرة، ففي حين رجح البعض أن يكون الأولياء الصالحون في صراع حول المجلس الأقرب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال آخرون أنهم في تعانق وتلاحم بعد طول فراق...⁽⁴¹⁾ بعدها يُعيد كل شيخ لواءه إلى زاويته. وقبل غروب

الشمس والانصراف، يتجه جميع الحاضرين إلى ساقية سيدي الحاج بلقاسم لشرب كمية من الماء تبركاً بهذا الولي الصالح. وبعد تناول مأدبة العشاء تُقام ليلة أهاليل الكبرى التي تستمر حتى طلوع الفجر على وقع شعري وغناء بربري زناتي لا وجود فيه للضوء، ينشط هذا الحفل رجال ونساء من مختلف الأعمار مختصين في هذا الفن. (42)

إحصاء الزوايا بإقليم توات في هذا الموضوع:

الرقم	الزاوية	مؤسسها	مكانها
01	الرقانية	مولاي عبد الله الرقاني	رقان
02	الكنية	أحمد الكنتي	زاوية كنتة
03	سيدي عبد القادر	سيدي عبد القادر	زاوية سيدي عبد القادر
04	باي بلعالم	محمد باي بلعالم	أولف
05	سيد البكري	سيدي البكري	زاوية سيدي البكري
06	مولاي سليمان بن علي	مولاي سليمان بن علي	أدغا
07	سيدي أحمد بن موسى	سيدي أحمد بن موسى	كرزاز
08	سيدي بلقاسم	سيدي بلقاسم	تيميمون

الخاتمة:

إن المتأمل في مسيرة التاريخ لإقليم توات يجده متضمناً الكثير من المواقف التي تبنى على أساس التشارك، وهو ما أشرنا إليه في هذه السطور المبينة للدور الفعال الذي قامت به الطرق الصوفية والزوايا بأنواعها في الربط بينها وبين المجتمع، سواء في إكرامه أو تنظيمه أو الصلح بين متخاصميه حتى أفراحه وأتراحه ... القائمة على ترسيخ مبادئ الدين الإسلامي ومنهج خاتم رسله -صلى الله عليه وسلم-.

الهامش:

1 - يراجع أرزازي محمد، الأبعاد السوسولوجية والرمزية للممارسة الصوفية في الجزائر، مجلة المواقف، معهد خاص، تصدر عن معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطبولي، معسكر، ابريل 2008م، ص 74.

2 - محمد المدني المرتضى، ورقة في البعد الاجتماعي للتصوف، الملتقى الإسلامي العالمي، ص

- 3 - يراجع نيكلو أحمد وآخرون، الزوايا واقع وآفاق الملتقى الوطني للزوايا، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار، دليل ولاية أدرار، ص 10.
- 4 - يراجع إدريس بن خويا: البعد الروحي للزاوية الشيخ مولاي سليمان بن علي-رضي الله عنه- الندوة الرابعة للولي الصالح العلامة الشيخ مولاي سليمان بنعلي، المسجد الكبير، قصر أولاد وشن، أدرار، 14 ماي 2009م/ 19 جمادى الأولى 1430هـ، ص 9.
- 5 - يراجع عبد الله عباس، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي خلال القرنين (9 / 10 هـ - 15 / 16 م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف بشار وقويدر، جامعة الجزائر، 2000 / 2001م، ص 126.
- 6 - يراجع محمد المدني المرتضى، المرجع السابق، ص 385.
- 7 - يراجع عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، الطباعة العصرية، الجزائر، 2010 ، ص 27.
- 8 - صحيح مسلم، 1042/2.
- 9 - صحيح مسلم، 1985/4.
- 10 - عبد القادر الجيلاني: الغنية لطالبي طريق الحق في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية (470- 561 هـ)، فهرسة عبد الكريم العجم، دار البشائر، دمشق، 1996، 63/1، 64.
- 11 - عبد الرحمان الضب، مقتطفات من تاريخ المنطقة وعاداتها " غير مفهرس".
- 12 - يراجع مقدم مبروك، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بالإمارات وممالك أفريقيا الغربية خلال القرنين 8 و9هـ، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2002م، ص 150.
- 13 - يراجع محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، خلال القرن 12- 13 هـ، 18-19هـ، دار الكتاب العربي، 2007م، 1 / 205.
- 14 - يراجع أرزازي محمد، المرجع السابق، ص 47.
- 15 - يراجع نواري محمد بن عبد القادر، الطرق الصوفية في أرض توات، الندوة العلمية الخامسة لتجسيد مآثر الشيخ العلامة سيدي مولاي سليمان بن علي" الزوايا التواتية ودورها التربوي والتعليمي والاجتماعي"، جمعية زاوية مولاي سليمان، أدرار، 15 ماي 2010م، ص 9.
- 16 - يراجع بن خويا إدريس، الهجرة إلى توات في القرن السابع الهجري، الندوة الرابعة، المرجع السابق، ص 11.
- 17 - يراجع صلاح مؤيد العقبى، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، دار البشائر، الجزائر، 2002م، ص 39. وينظر: مقدم (مبروك)، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي

بالإمارات وممالك أفريقيا الغربية خلال القرنين 8 و9هـ، ج1، دارالغرب للنشر والتوزيع، وهران 2002م، ص 342.

18 - رزوقي عبد الله، واقع في إقليم توات بين مقتضيات الأصالة ومتطلبات الرسالة: مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الرابع عشر، جامعة وهران، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2010، ص 213.

* - الأشراف: أصلهم من المغرب جاؤوا من تافيلالت (1709هـ). ورد شريفاً أرض توات واسمه مولاي أمبارك بن مولاي مامون مع 30 فارساً، فاستضافهم أهل الفضل بتوات، وفي السنة الموالية ورد الشريف مولاي أمحمد بن مولاي علي ومعه 40 فارساً من البربر.

19 - صحيح مسلم 120 / 16، سنن الترمذي 54 / 6، مسند أحمد 2013 / 7 / 2.

** - الألوية: يصطاح عليها أهل المنطقة بالعامية (الأعلام) وهو رمز كل ولي صالح.

20 - سرير ميلود وآخرون، دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات (وحدة بحث) جامعة أدرار، ج1، 2000، ص 22.

21 - سنن الترمذي، 466/4.

22 - يراجع محمد المدني المرتضى، المرجع السابق، ص 384.

23 - يراجع باي بلعالم محمد، الرحلة العلية إلى المنطقة التواتية لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دارهومه، الجزائر، 2005م، 322/2.

24 - محمد ميزوري، الفقارة ماضيا وحاضراً، اجتماعات وتاريخ، د.ت، ص 31، 36.

25 - نواري محمد بن عبد القادر، الطرق الصوفية، المرجع السابق، ص 9.

26 - عبد الرحمن الضب، مقتطفات من تاريخ توات، د.ت.

27 - سورة الشمس، الآية 9-10.

28 - سورة الأعلى، الآية 14-15.

29 - يراجع عبد الواحد بن عاشر الأندلسي الفاسي، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، قدمه: الحسن بن علي الكتاني، د ط، 1420هـ، ص 10-11.

30 - يراجع نيكولو(أحمد)، المرجع السابق، ص 10.

31 - يراجع محمد حوتية: توات والأزواد، 376-373/2.

32- <http://tidi.ahlamontada.net>

33- <http://www.shababadrar.net>

34- <http://tidi.ahlamontada.net>

³⁵- يراجع محمد حوتية، توات والأزواد، 376-373/2.

³⁶- المرجع نفسه.

³⁷- <http://www.timimoun.arabstar.biz> حقيقة احتفال مدينة تيميمون بالمولد النبوي

الشريف

³⁸- <http://www.vitamedz.com>

³⁹- Op.cit.

⁴⁰محمد حوتية: توات والأزواد، 376-373/2.

41- <http://www.alukah.net!!!>

¹- <http://www.timimoun.arabstar.biz> يراجع كيف تحيي تيميمون ذكرى المولد النبوي

الشريف؟

القلم

بين يديك أيها القارئ الكريم العدد الرابع (34) والثلاثون من مجلة القلم التي مازالت تضحّي بكلّ إمكاناتها في سبيل نشر ما جادت به قريحة المثقفين الجامعيين على مختلف مستوياتهم العلمية إثراء للثقافة الجزائرية، وكلّ ما له صلة بها في العالم العربي.

فالقلم ترحّب بكلّ الموضوعات الجادة والجديدة لتحافظ على سبيلها ومستواها منذ إنشائها عام (2001م) إلى يومنا.

فهي ما زالت تشجّع كتابها الجامعيين على نشر ما له صلة بالثقافة الجزائرية قدمها وحديثها.

مدير المجلة



دار النشر والنشر والتوزيع
قطعة بوجدغر عبر النجار تلمسان-الجزائر

هاتف/ فاكس: 43-56-58-48 (0) 213 +
E-MAIL: KKOUNOUZ@YAHOO.FR

WWW.KKOUNOUZ.COM